

الحروب القوطية

تأليف

بروكوبيوس القيصرى

دراسة وترجمة وتعليق

دكتورة عفاف سيد صبره

استاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد
جامعة الأزهر

الجزء الثانى

منتصف السادس والكتاب السابع

الناشر

دار الكتاب الجامعى

٨ شارع سليمان الحلبى بالقاهرة

الحروب القوطية

تأليف

بروكوبيوس القيصرى

دراسة وترجمة وتعليق

دكتورة عفاف سيد صبره

أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد
جامعة الأزهر

الجزء الثانى

منتصف السادس والكتاب السابع

الناشر
دار الكتاب الجامعى
٨ شارع سليمان الحلبى بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الجزء الثاني من « الحروب القوطية »

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه ومن تبعه ووالاه الى يوم الدين •

وبعد •••

لقد قدمنا فى الجزء الأول من كتابنا دراسة وترجمة وتعليقا على الكتاب الخامس ومنتصف السادس للمؤلف اليونانى بروكوبيوس القيصرى ، عن مؤلفه « الحروب القوطية » والتى قام الاستاذ هنرى ديونج Henry Dewing بترجمتها الى اللغة الانجليزية •

وها نحن اليوم أمام الجزء الثانى من كتابنا الذى نقدم فيه ترجمة الجزء الثانى من كتاب الاستاذ ديونج والذى يحوى ترجمة بقية الجزء السادس والجزء السابع من كتاب الحروب القوطية لبروكوبيوس ، ولعل ما قدمناه فى مقدمة الجزء الأول من كتابنا عن المؤلف بروكوبيوس والأسلوب الذى اتبعه فى تاريخه يعتبر كافيا ولسنا فى حاجة الى اضافة معلومات فى هذا الموضوع ، كما أن ما قدمناه أيضا بخصوص نشأة دولة القوط الشرقيين لا يدعونا لتكرار ذلك فى هذا الجزء •

وسنكتفى فى مقدمتنا هذه بتقديم للموضوعات والنقاط التى قدمها لنا بروكوبيوس فى ثنايا هذا الجزء فقط •

لعلنا قد رأينا فى نهاية الجزء الأول أن القائد نارسيس وصل الى ايطاليا بناء على أوامر الامبراطور جستنيان لمساندة بليزاريوس فى قتاله مع القوط وان القائدين بدءا فى التعاون سـويا من أجل صـالح الامبراطورية ، فبدأ فى اتخاذ مدينة فيرميوم Firmum أساسا للانطلاق منها لمواجهة القوط ، ورسما خططا جيدة الا أن بروكوبيوس أظهر لنا بعد ذلك كثيرا من الخلافات التى ما لبثت أن دبت بين القائدين .

لقد أكثر نارسيس من الخطب التى كان يلقيها على الجيش ليحدد لهم خطته فى المعارك ، وقد أسهب بروكوبيوس كثيرا فى سرد هـذه الخطب .

وانتقل بروكوبيوس بعد ذلك الى أن أحد أسباب الخـلاف بين نارسيس وبليزاريوس كانت حول القائد حنا الذى كان يحارب ضـمن القيادة البيزنطية .

استرسل بروكوبيوس بعد ذلك فى وصف أحداث المعارك الجانبية التى دارت بين القوات البيزنطية وبين القوط ، ووصف قيادتها وتحركات القواد والجيـوش ، ومن أبرزهم كان القائد الديجـر Ildiger الذى عين رئيسا للفرقة الموجهة الى أرمينيوم Ariminum ، وبعـدها يترك بروكوبيوس حديثه لينتقل الى أحاديث فرعية مثل حادث المـرأة الرومانية التى تركت طفلها وأرضعته ماعز ، وقامت على تربيته حتى سمى اجثيوس وهذا الطفل أصبح له شأن كبير فيما بعد .

أوضح بروكوبيوس أحوال القوط فى هذه الآونة حيث ما زالوا تحت قيـادة ملكهم فيتيجيز Vittigis وأن الهزائم كانت تتـوالى عليهم مما أفقد الناس روحهم المعنوية ويئسـوا من انتصاراتهم نتيجـة لتفوق جيش بليزاريوس ونارسيس ، وقيام الديجر التابع للبيزنطيين بتحويل معظم القوط الذين وقعوا تحت قبضته الى عبيد .

أما الحدث الذى أبرزه بروكوبيوس فيما بعد وكان له أهمية فى سير الأحداث هو قيام القادة بالايقاع بين نارسيس وبليزاريوس مما أدى الى قيام نارسيس بالعمل فى جبهات بعيدة عن بليزاريوس وبدأوا يزينون لنارسيس أنه أعلى مركزا فى الامبراطورية بالنسبة لبليزاريوس لأنه كاتم أسرار الامبراطور فكيف يسمح لنفسه أن يتلقى أوامره من مجرد قائد مثل بليزاريوس ، وقدم بليزاريوس خطبه لجنوده بين فيها أن الامبراطور جستنيان لم يرسل نارسيس للعمل كقائد وانما ليعمل تحت لواء بليزاريوس ، لذلك احتدم الخلاف بصورة كبيرة بين القائدين مما دفع نارسيس الى اتهام بليزاريوس بأن الخطط التى يعدها جميعا تعمل ضد صالح الامبراطورية البيزنطية .

ولعل هذا الصراع الذى أبرزه بروكوبيوس بين القائدين كان له أثره فى قيام القوط بهجوم على مدينة اوربينوس الا أن بليزاريوس دبر ضدهم خطة أرغمتهم على تسليم المدينة له مما أدى الى زيادة حقـد نارسيس عليه ، خاصة وأن نارسيس فشل هو والقائد حنا عندما قاما فى هذه الفترة بمهاجمة حصن كاسينا .

ونجد أن بروكوبيوس بعد استغراقه فى سرد هذه الأحداث يخرج بنا فجأة عن مجرياتها وتطورها ، ويدخل فى وصف جغرافية المدن التى كانوا فيها فى هذه الآونة وصفا دقيقاً خاصة مدينة ارفينتوس ، كما يصف لنا كشاهد عيان أحداث المجاعة التى حدثت فى بيسينيوم ، كما وصف وصفا أقرب الى الخيال أحوال النسوة اللاتى كن يعشن فى ارمينيوم حتى انهن كن يأكلن لحوم الرجال .

وبعد ذلك ينتقل مرة أخرى الى أحداث الحرب فيذكر أن فتنـة نارسيس أتت أكلها ، خاصة بعد أن تمرد جند بليزاريوس عليه ، وقرروا انهم لن ينفذوا الا أوامر نارسيس ، الا أن هذه الأوامر أدت الى الطامة الكبرى فقد هزمت الجيوش الرومانية البيزنطية على يد القوط فى ميلان ، وخضعت ميلان للقوط ، وعندما وصلت أنباء هذه الهزيمة الى مسـامع

الامبراطور جستنيان قرر استدعاء نارسيس واسناد القيادة الى بليزاريوس .

أما عن القوط ، فيذكر بروكوبيوس انهم بعد انتصارهم على البزينطيين قرروا مراسلة الفرس ، وبعثوا اليهم مبعوثين من قبلهم يحرضونهم على البيزنطيين مما أدى الى قيام الفرس بخرق الهدنة المعقودة بينهم وبين البيزنطيين وهاجموهم وانتهكوا حدودوهم مما أدى الى قيام الامبراطور جستنيان باستدعاء بليزاريوس ليتولى الحرب ضد الفرس على أن يعقد معاهدة هدنة مع القوط عام ٥٣٩ م .

وقبل أن ينفذ بليزاريوس أوامر سيده جستنيان قرر مهاجمة مدينة أوكزيماس وهو فى طريقه الى رافنا رغم تفوق القوط عليهم ، وقد كان المؤرخ بروكوبيوس ملازما لبليزاريوس فى هذه المعركة ووصفها لنا وصف شاهد عيان ، وعرض عليه خطة جديدة فى مهاجمة القوط عن طريق استخدام الأبواق والتمييز بين بوق الاستدعاء وبوق الانسحاب .

الا أن بروكوبيوس ، وهو يسرد لنا هذه التفاصيل يدخل بنا فى سرد الأحداث القتالية على جميع الجبهات الرومانية مما أدى الى تداخل الأحداث وصعوبة الفهم على القارىء . رقم (٣٥)

وقد تعرض القوط فى هذه الفترة لخطر جديد مفاجىء لم يكن من جانب الرومان وانما من جانب الفرنجة حكام غالة الذين انتهزوا فرصة ضعف القوط — رغم المعاهدات التى كانت بين الجانبين — وقاموا بالهجوم على القوط ، وقتلوا أعدادا كبيرة منهم ، ولم يسلم البيزنطيين من هجومهم أيضا ، ولم يجبر الفرنجة على العودة الى بلادهم الا انتشار المرض بين رجالهم ، ووفاة معظم رجالهم من سوء التغذية واصابتهم بأمراض الاسهال والدوزنتاريا .

وينتقل بعد ذلك بروكوبيوس الى الحديث عن مدينة أوكزيماس التى يحاصرها الرومان ، ويبين كيف عانى القوط داخلها من قلة المؤن وشدة

الحصار حتى أن الرومان المحاصرين للمدينة شعروا هم الآخرون باليأس لاستماتة القوط فى عدم التسليم .

لذلك دبر بليزاريوس خطة لمهاجمة المدينة الا أنها فشلت وأصيب هو الآخر أثناء تنفيذه لها ، الا أن بعض الجنود الأرمن وهم من الفرق التى كانت قد قدمت مع نارسيس نجحوا فى أن يحولوا الهزيمة الى انتصار ، وأجبروا العدو على العودة الى الحصون وأضطر القوط الى التسليم ، ودخل بليزاريوس المدينة .

وبعد استسلام مدينة أوكزيماس سمع الفرنج بذلك فقرروا التحالف مع القوط ضد البيزنطيين .

وقد عرض لنا بروكوبيوس بعد ذلك بعض الأحداث الهامة التى بدأت تظهر على هذه الساحة وهى أن فيتجيز ملك القوط سلم للرومان فأرسل بليزاريوس مبعوثين من قبله لعقد شروط التسليم التى طالب زعيم القوط فيها أن يسلم نصف الحصيلة الملكية للامبراطور ويبقى الباقى له ، وأن يحكم نصف المنطقة ، والرومان نصفها ، الا أن بليزاريوس لم يرض عن هذا الاتفاق ورفض التصديق عليه ، فأرتاب القوط فى أمره ، ورفضوا هم الآخرون التوقيع قبل موافقته أولا .

لذلك فكروا فى الاتصال سرا ببليزاريوس ، وعرضوا عليه أن ينصبوه امبراطورا عليهم وعلى الغرب كله ، وأن يخلع طاعته للامبراطور جستنيان والسبب الذى دعاهم الى ذلك هو خوفهم من أن يحملهم البيزنطيون الى القسطنطينية ويوطنوهم هناك .

رفض بليزاريوس هذا العرض رفضا باتا ، ونحن نعرف أن مؤرخنا بروكوبيرس كان صديقا شخصيا لبليزاريوس ، لذلك فهو يؤكد على ذلك حتى لا يظهر صديقه بالخيانة للامبراطور وللقضية الوطنية .

ويؤكد بروكوبيوس انه شاهد بنفسه دخول الجيش الرومانى رافنا الا أن الوشاة بعثوا للامبراطور ، وبينوا له أن بليزاريوس يدبر انقلابا ضده لذلك كرر الامبراطور استدعاءه لبليزاريوس ، ولكن بروكوبيوس يدافع ويقول ان هذا الاستدعاء لم يكن بسبب الوشاية وانما بسبب الجبهة الفارسية .

تحرك بليزاريوس نحو القسطنطينية فى الوقت الذى تركت قيادة الجيوش الرومانية فى ايطاليا الى تيزاس وحنا . وقام القوط بتعيين ملك اخر عليهم يدعى ايرياس الا أنه تهيب من هذا المنصب فى هذه الظروف لذلك قام ايرياس بتقديم اليانوس عليه ليكون ملكا ، وقام زعماء القوط بالموافقة على تنصيبه، وقد قام الذيبانوس بدعوتهم للتأكد من حقيقة رحيل بليزاريوس فتقابلوا معه وتأكدوا من حقيقة تنفيذ الاتفاقية التى سبق وأن عقدوها معه ، وحثوه بطريق اسفزازى على أن يقبل الملك عليهم وأن ينصبه الديبانوس الا أن بليزاريوس رفض للمرة الثانية احتراما لسيده جستنيان وأخذ طريقه صوب القسطنطينية سنة ٥٤٠ م .

الكتاب السابع

عند هذا الحد تنتهى أحداث الكتاب السادس لبروكوبيوس ، وندخل فى أحداث الكتاب السابع الذى تبدأ أحداثه بوصول بليزاريوس ومعه فتيجيز وأطفال الديبانوس وكثير من أموال القوط الى بيزنطة الا أن بليزاريوس وحسب اعتراف بروكوبيوس لم يحظ بتقدير جستنيان ، أو على الأقل لم يلق منه ما لاقاه من قبل أيام انتصاره فى الحروب ضد الوندال ، ولكن يحاول بروكوبيوس أن يرفع من شأن صديقه فوصف لنا وصفا فيه اسهاب كبير للحفاوة التى قابل بها الشعب قائده حتى أن اسمه أصبح على كل لسان على حد تعبير بروكوبيوس .

انتقل بروكوبيوس بعد ذلك للجبهة الايطالية وللقوط بالذات حيث قاموا بالتجمع حول الديبانوس ، الذى فشلت جميع المؤامرات التى دبرها الرومان ضده ، ولمع نجمه ووصل صيته الى مسامع الامبراطور جستنيان ، ولكن هذا الملك القوطى ما لبث أن قتل اذ تعرض لمؤامرة من قبل أحد رجال الجيبداى أثناء حفل عشاء .

وقام القوط بتنصيب ايراريك وهو من قبائل الروجى Rogii التى تداخلت مع القوط — ملكا عليهم الا أنه ما لبث أن توفى بعد فترة وجيزة ، وبعدها قرروا تنصيب نويلا Totilla ابن أخ الديبانوس .

كان لتعيين توتيلا ملكا على القوط وقع سىء على نفسية الامبراطور جستنيان الذى أصدر أوامره للرومان بالتحرك جديا ضدهم فى ايطاليا . فتحرك الجيش الرومانى صوب فيرونا وغيرها من مدن الشمال وانتصر الرومان ، فتحرك القائد توتيلا وحث جنوده على الكفاح ، عندئذ انتصر القوط على الرومان انتصارا لم يتحقق لهم من قبل ، واستولوا على راياتهم ، واستعدوا لاستكمال المعارك فتوجهوا الى فلورنسا فتصدى لهم الرومان ، الا أن القوط تفوقوا عليهم ، وبرز توبلا الذى نجح فى توحيد صفوفهم حتى عام ٥٤٢ م واندفع اليه أبناء جنسه من كل حدب وصوب ، فتوجه نحو كاسينا ، وكمبانيا ، وبنفنتوم ، ومع ذلك فقد نال شهرة طيبة بين الرومان لمعاملته الانسانية لهم .

قرر جستنيان تعيين القائد ماكسيمنيوس حاكما على ايطاليا وعلى القوات الرومانية .

وقد قام الرومان بتعيين ديمتريوس سيفالينى حاكما على نابلى ، لكنه أهان توتيلا كثيرا مما أدى الى قيام القوط بايقاعه فى كمين وأسروه وقطعوا لسانه وكلتا يديه .

وقد فشل الرومان فى تحقيق السيطرة مرة أخرى على القوط فى نابلى منذ قام أهل نابلى بتسليم مدينتهم للقوط .

وبعد انتصار القوط على الرومان فى نابلى ، أشاد بروكوبيوس بحسن معاملة توتيلا للرومان بها ، حتى فى توزيعه للطعام ، وقيامه بتحطيم جميع أسوار نابلى حتى لا يستخدمها الرومان ضد القوط مرة أخرى .

وقد أستمر بروكوبيوس فى وصفه لحسن أخلاق القوط وزعيمهم وأوضح سوء مسلك الرومان ، حتى أن توتيلا أرسل بهذا المعنى الى السناتو فى بيزنطة مبينا سوء تصرفات الرومان تجاه القوط فى ايطاليا ، ومطالبا المجلس بوضع حل لقضية القوط .

وفى نفس الوقت أرسل توتيلا جزءا من جيشه الى كلابريا للاستيلاء على حصن درايوس ، وأتجه هو وجزء من جيشه ناحية روما ، وعندما وصلت هذه الأنباء الى مسامع الامبراطور جزع جزعا شديدا على مصير الرومان فى ايطاليا اضافة الى أن البيزنطيين مشغلون بمحاربة الفرس .

لذلك أمر جستنيان بليزاريوس أن يعود الى جبهة القوط فى ايطاليا مع قليل من الجيش . لأن غالبيته على جبهة الفرس — وأن يصحبه قائد منطقة الليريا المدعو فيتاليوس ، وبعدها قرر الاثنان التوجه صوب سالونى على مقربة من رافنا عاصمة القوط — فى الوقت الذى استسلم فيه أهل درايوس الرومان للقوط — فأرسل لهم بليزاريوس نجدة من الجيش والتموينات دفعت أهل البلاد الى المقاومة مرة أخرى ، لذلك فكر توتيلا فى خديعة بليزاريوس بأن أرسلوا له خطابا ادعو أنه مكتوب بيد بونوس أخى حنا القائد على احدى الفرق الرومانية وكان الغرض من ذلك التعرف عن قرب على حقيقة القوة العسكرية المرافقة له ، وقاموا باخطار توتيلا بحقيقتها — فى الوقت الذى وعدهم بليزاريوس بالاستعداد لمساعدة بونوس .

تحرك توتيلا تحركا سريعا ، فاستولى على قلعة تيبور فى الوقت

الذى اتجه فيه بليزاريوس صوب رافنا ، والتقى بالقوط فيها واتجهت فرقة من البيزنطيين الى مدينة اميلا ، وهربت الفرق الاليرية منها لأنهم لم يتسلموا مرتباتهم ، وقد أرسل بليزاريوس فرقة أخرى الى اكريماس، قتل قائدها رسيلاس على يد القوط .

أما عن الفرقة التى اتجهت نحو رافينا ، فقد دخلت فى صراع حربى مع توتيلا فهزمت قوات توتيلا ، وتراجعت نحو اكريماس ، لكن القوط شعروا بأن قوة بليزاريوس ليست ضاربة لذلك قرروا مناوأتها .

لذلك فان بليزاريوس كان عاجزا بهذه القوات القليلة عن أن يقدم المساعدة للمدن المحاصرة ، لذلك أرسل الى جستنيان يطلب منه المدد من المال والرجال .

ويتحدث بروكوبيوس كثيرا عن نشاط القوط فيدخل بنا فى حديثه عن نشاط توتيلا على فيرموم ، واسكولوم ، واسبوليتوم ايزمنيش ، حتى انه تحرك صوب روما وحاصرها ، وعامل أهلها معاملة طيبة — لذلك فانه بعد استيلائهم على نابلى أصبح القوط مسيطرين على الطريق البرى والبحرى القادم من صقلية .

ومع ذلك لم يغفل توتيلا القوطى الأراضى الشمالية فاستولى على أراضى اميليا ، وأتجه نحو بياكنزا .

قام بليزاريوس باقامة معسكره بالقرب من روما حتى ينجح فى دفع القوط عنها وانقاذ أهلها من الحصار المضروب عليهم من قبل القوط ، لكن بليزاريوس خاب أمله أمام النجاح الساحق لتوتيلا ، ويعزو بروكوبيوس ذلك لسوء حظ بليزاريوس ، وتألق نجم توتيلا .

نتيجة لهذه الأحداث قرر بليزاريوس معاودة طلب النجدة من الامبراطور ، لذلك استنجد جستنيان بقبائل الايرولى الذين بعثوا بفرقة

منهم تحت قيادة فيلموث للتوجه صوب تراقيا من أجل الانضمام الى جيش بليزاريوس •

وهنا انتقل بنا بروكوبيوس من الحديث عن الحروب والقتال ليدخله فى دراسة طويلة عن قبائل السكلافينى والانتاى وتشيلبوديوس وعاداتهم ونظم حكمهم ، ومعتقداتهم ، ثم بين أن جستنيان بعث اليهم ليستقروا عند مدينة توريس ليقفوا أمام القوط •

وفى الوقت الذى كان الامبراطور يجهز فيه قواته هذه •• كان بليزاريوس قد أرسل قوة صوب روما نجحت فى تحقيق انتصار هناك الا أن القوط ما زالوا محاصرين لها •

وقد استسلمت مدن أخرى للقوط مثل دورازو فى الشمال • وبعد أن يأس أهل روما من طول الحصار ونفاذ المؤن بعثوا أحد أساقفة المدينة ويدعى بلاجيوس للتفاوض مع توتيلا بشأن عقد هدنة قصيرة ، الا أن توتيلا رفض نهائيا ، كما رفض التنازل عن أى مدينة من المدن التى استولى عليها أو عن أى من العبيد الذين آلوا اليه ، ففشلت سفارة بلاجيوس فى الوقت الذى وصل فيه الحال داخل روما الى قمة التدهور ، وفضل الناس الموت على الحياة وظل بروكوبيوس يصف لنا هذه الأحوال السيئة باستفاضة كبيرة •

أما عن جيش بليزاريوس فى هذه الفترة فقد انضمت اليه القوات القادمة من بيزنطة والتى كانت تحت قيادة حنا واسحق •

وقد أخذت هذه القوات طريقها من درايوس الى برنديزى واستعد توتيلا لمواجهة الجيوش الرومانية القادمة فأمر رجاله أن يضعوا جميع الممرات والمنافذ تحت الحراسة المشددة ، واتجهت فرقة من القوط الى كلابوا لتقف أمام قوات حنا ، الذى نجح فى التصدى لهذه القوات وأفسد عليها أغراضها •

وقد عمل بليزاريوس من جهة أخرى على ضرورة ايصال التموينات الى الرومان المحاصرين داخل روما •

ولكن الأحداث التى يصفها بروكوبيوس فيما بعد تدعو للأسى على الرومان ، ففى الوقت الذى حقق فيه بليزاريوس انتصارا مبدئيا على القوط ، كان سيفتح أمامه أسوار المدينة ، قام اسحق أحد القـــادة الرومان بتحويل الانتصار الى هزيمــة ، فقد ترك جبهته واتجــه الى بليزاريوس ليشاركه نصره • عندئذ نجح القوط فى القبض على اسحق ومرض بليزاريوس فى أثر ذلك •

أما عن الوضع داخل روما فقد كان بها قائد رومانى يدعى بيزاس استغل الظروف الاقتصادية التى تمر بها المدينة وتاجر بأقوات الناس واحتكر الغلال التى بها ، فنمت ثروته على حساب الأهالى الضعفاء ، فقام بعض الحراس بالاتصال بتوتيلا ليسلموا اليه المدينة ، فنجح توتيــلا فى تنفيذ الخطة ، فهرب بيزاس من المدينة ، وسقطت روما فى يــد القــوط •

وبدأ بروكوبيوس يتحامل كثيرا على بيزاس ، الذى سبب هــذه النكبة للرومان وتحول أهل البلاد الى عبيد للقوط ، رغم أنه يثنى على حسن معاملة توتيلا لأهل البلاد • فارتفع نجمه بين الأهالى فى الوقت الذى قام فيه توتيلا باهانة أعضاء مجلس السناتو الرومان مذكرا اياهم بما فعلوه فى الماضى مع ملكهم ثيودريك وأتالاريك وأبلغهم أنهم ناكرون للجميل •

وقد أجبر توتيلا الأسقف بلاجيوس على أن يرأس مجموعة يتوجه بها الى جستنيان فى بيزنطة يطلب منه أقرار السلم مع القوط • والا سيهدم توتيلا روما ويجعل عاليها سافلها ، وذكر توتيلا فى الخطاب المرفق أنه طلب سلمى وأنهم سيكونون حلفاء لهم ، اذا وقفوا معهم موقفــا سلميا ، حتى انه سيدعو جستنيان « أباه » اذا وافق على طلبهم هذا •

وعندما وصل المبعوثون الى جستنيان وسمع لطلبهم ردهم وأعطاهم خطابا الى توتيلا يفيد أنه قد عين بليزاريوس قائدا عاما ، وله وحده حق عمل تسوية مع توتيلا •

وقد اضطر توتيلا لاستخدام العنف مع الرومان فى ايطاليا ، وذلك لقيام بعض الرومان في لوكانيا باغلاق الطريق أمام القوط ، فحاول توتيلا التصدى لهم ، لكنهم قتلوا أعدادا كبيرة من القوط ، فما كان من توتيلا الا أنه قام بهدم روما رأسا على عقب ، فبعث اليه بليزاريوس خطـابا يؤنبه فيه على فعلته هذه ، ويذكره بماضي روما العريق ، وأن ما قام به من عمل لا يتسم بأى مسحة حضارية ، وهدده بالحرب ان لم يتوقف عن أعماله هذه في روما •

اصبح جميع الاقليم جنوب خليج أيونيا باستثناء درايوس خاضعا للقوط وحاول القائد حنا الرومانى التصدى لهم مما جعل توتيلا يأخذ حذره دائما من ناحية أى محاولة للرومان فى هذه المناطق •

رغم هذا التفوق القوطى الا أن توتيلا تعرض لخيـانة أدت الى دخول الجيوش الرومانية الى سبوليتوم ، واتجاه جيش بليزاريوس نحو روما وتقابل مع القوط في موقعة انسحب فيها القوط من أمامهم فنجح بليزاريوس فى الاستيلاء على تارنتوم ، فى الوقت الذي استولى فيه توتيلا على حصن لوكانيا الملاصق لكلابريا ، واتجه صوب رافنا •

أما بليزاريوس فقد اتجه بحرا نحو روما ، وقام ببناء السور الذى حطمه توتيلا عند الحدود •

وقد التقت جيـوش بليزاريوس وتوتيـلا ، الا أن النصر لاح لبليزاريوس واستمر القتال فترة طويلة انهزم فيها القوط وبدأ رجالهم يعنفون توتيلا على هذه الهزائم •

لذلك ترك توتيلا حصار روما واتجه الى تيبور ثم حاصر بروزيا وبها

أعداد كبيرة من الرومان الا أن جنوده كانوا مستائين منه ومما أصابهم فى روما لذلك بدأ يلقى عليهم الخطب الحماسية ويستثير هممهم وأكثر بروكوبيوس من سرد هذه الخطب ، لذلك وافقوه على اكمال الحصار على بروزيا •

وينتقل بروكوبيوس تاركا هذه الجبهة ليعرج بنا على فرقة القائد حنا فى لوكانيا حيث كان توتيلا مصرا على ضرورة ملاقاة حنا ، فاتجـه اليه هناك عن طريق لا يعرفه حنا حتى لا يشعر بقدومه ، وكان من الممكن أن يستفيد من خطته هذه ، ويأسر جيش حنا بأكمله الا أنه دخل معهم فى حرب سريعة ليلا ، فهرب الرومان الى الجبال ، ولم يقم القـوط الا بنهب المعسكر الرومانى فقط ، وانسحبوا من حيث أتوا •

وبعد ذلك قرر الامبراطور جستنيان ارسال قوة أخرى لمساعدة بليزاريوس فى ايطاليا • منهم كثير من الايروليين والأرمن وغاليريان قائد أرمينيا والقادة بيزانيوس وسيرجوس ابن أخ سولومون وفيروس •

وقد نزل فيروس درايوس ، لكنه لم يرغب فى البقاء هناك لوجود جيوش حنا ، الا أن فيروس لم يلبث أن داهمته قوات القوط بقيادة توتيلا وقضت عليهم وعلى من معهم من الايرولى •

اتجه بليزاريوس بعد ذلك صوب صقلية فى طريقه الى تارنتوم وهنا يطوف بنا بروكوبيوس فى وصف المناطق الموجودة فى صقلية أسمائها وسبب هذه التسميات والعقائد السائدة بين أهلها ، فخرج عن الموضوع القتالى فى صفحات كثيرة •

بعد ذلك عاد بنا مرة أخرى الى بليزاريوس وقواته التى اتجهت صوب تارنتوم الا أن الظروف المناخية منعته عن ذلك فاستقر فى كروتون ، وبعث بقوات بقيادة فازاس الأيبيرى ، وباريقش للقاء توتيلا ، الا أن جيوش توتيلا كانت قد سئمت الهزيمة ، فقتل فازاس ، وعندما عـلم

بليزاريوس بذلك ترك مكانه واتجه صوب مضيق مسينا فى صقلية ، وقد تحركت فرقة من فرق السكلافينى لتتبع بليزاريوس فى هذه الحملة .

عند هذا الحد يقف بنا بروكوبيوس ، وينتقل فجأة الى الحديث عن مصر ونهر النيل الذى أغرق أراضيها ، ثم انتقل الى قصة الحوت الذى كان يخيف البيزنطيين ويؤثر على الحركة الملاحية ، وتكلم عن الوسيلة التى اتبعها جستنيان للقضاء عليه — وفى هذا خروج عن الأحداث القتالية .

الا أن بروكوبيوس يعلل ذلك بأنه استنتج أن ما حدث بالنسبة لمصر وبالنسبة للحوت كان له تأثير على مسار الأحداث .

ولابد أن نؤكد أن النبوءات قد غلبت كثيرا على السرد التاريخى لبروكوبيوس .

وصلت الى بليزاريوس امدادات أخرى من جستنيان ، فى الوقت الذى توجهت فيه أنتونينا زوجته الى بيزنطة تطلب المدد ، لأن الحامية الرومانية فى روما قتلت القائد الرومانى لأنهم فى حاجة الى أموال ومؤن ، وتوعدوا بليزاريوس انه اذا لم يرسل اليهم أموالهم ، فانهم سيلجأون للقوط .

وقد بدأ دور بليزاريوس فى الجنوب بمحاولة نجدة بعض المدن التى فى حوزة القوط .

وقد رأى الرومان أن يتبعوا الخطة التالية وهى أن يتوجه بليزاريوس الى روما يصحبه جيش حنا أيضا بحرا ، وربما يدفع هذا التصرف توتيلا الى ترك الحصار عن المدن الأخرى ، ويخرج فى أثرهم الا أن بروكوبيوس لم يكمل لنا نتيجة هذه الخطة .

وقد قام أهل مدينة روسكيان المحاصرون من القوط جنوبا بعد أن

فقدوا الأمل فى مساعدة بليزاريوس بالتفاوض مع توتيلا فوافق على خروج الجنود الرومان من المدينة دون أن يتعرض لهم بأذى بشرط أن يتركوا أسلحتهم داخل المدينة .

وفى الفصل الحادى والثلاثين يخرج بروكوبيوس نهائيا عن أحداث القتال ويدخل بنا الى بيزنطة حيث الامبراطور جستنيان ، فيذكر وصول أنتونينا زوجة بليزاريوس الى هناك لطلب النجدة ، ووفاة الامبراطورة ثيودورا صديقتها فى هذه الفترة ثم ينتقل الى قصة اثنين هما أرتابانيس وجيرمانوس ، وكيف كان للظروف التى مروا بها أكبر الأثر على علاقتهم السيئة بالامبراطور جستنيان .

وقد تعرض جستنيان لمؤامرة من قبل أرساكيس الذى حاول الاتصال بخسرو ملك الفرس ضد الرومان ، ولما كشفت خيانته أبعد من البلاد وعزل من منصبه العسكرى ، لذلك اجتمع أرساكيس مع أرتابانيس، وكانا متأكدين من أن جيرمانوس وأبنائه سيساعدونهما ، فدبر أرساكيس مؤامرة ضد جستنيان ، وحاول أن يشرك معه أرتابانيس وشخصا أرمنيا آخر يدعى تشانارانغس وحاول أن يشرك جيرمانوس وأبنائه فى هذه المؤامرة ، الا أن جستينوس ابن جيرمانوس رفض الاشتراك فى المؤامرة، وأفشى سرها لمرسيلوس قائد الحرس الامبراطورى الذى أراد أن يتحقق من صدقها ، وعندما دبر له جستينوس فرصة التحقق من ذلك — خاصة وانهم أرادوا أن يدبروا مؤامرتهم بقتل جستنيان بعد عودة بليزاريوس الى بيزنطة — وبعد أن وصل الأمر الى الامبراطور قرر عزل أرتابانيس من منصبه ، وقتل بقية الرجال .

وانتقل بروكوبيوس فى الفصل الثالث والثلاثين الى علاقة

اللومبارديين والجبيداى بالامبراطورية البيزنطية ، وكيف تسابقت القوتان للحصول على تعضيد من جستنيان حتى نجح اللومبارديون فى الحصول على ذلك .

وفى الفصل الخامس والثلاثين انتقل بروكوبيوس الى وصف عودة بليزاريوس الى بيزنطة ، وعن نهاية حروبه فى ايطاليا وعن حياته فى بيزنطة وثرواته ، ودخل فى موضوع فرعى يتعلق بنبوءة ظهرت لبليزاريوس فى المنزل الذى يعيش فيه ، كانت تشير لانتصاره على الوندال فى أفريقيا .

ثم يرجع مرة أخرى الى اللومبارديين وملوكهم ، والصراع الدائر بينهم ثم دخل فى موقف توتيلا ، وكيف انه نجح فى الاتجاه الى دلماشيا ونزل فى حصن لورثيت وهزم الفرق الرومانية وذلك بفضل معونة أحد حراس بليزاريوس الذى فر اليه .

وعند هذا الحد من الأحداث أنهى بروكوبيوس تاريخه فى الكتاب السابع الذى نحن بصدد ترجمته والذى انتهت الأحداث فيه الى العام الرابع عشر من الحروب القوطية حتى عام ٥٤٩ م .

وقد اكتفيت عند ترجمة هذين الجزأين اللذين شملا من الكتاب السادس حتى الكتاب السابع .

والى هذا الحد من أحداث الحروب القوطية نتوقف فى هذه الدراسة رغم اننا قد أشرنا فى الفصل الأول الى أن نارسيس سيستكمل الدور فى ايطاليا وسيسحق قوى القوط نهائيا فى عام ٥٥٢ م .

واننى اذ انهى فى مقدمتى هذه لهذا الجزء من العمل العلمى الهام بل والمصدر الأساسى من مصادر العصور الوسطى وعصر جستنيان على

وجه الخصوص أتوجه الى الله تعالى العلى القدير أن يجعل هذا العمل العلمى يؤدى دوره فى خدمة طلاب فرع العصور الوسطى فى أقسام التاريخ بالجامعات العربية .. فهو نعم المولى ونعم النصير .

بسم الله الرحمن الرحيم

« ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ، واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم » .

« صدق الله العظيم »

(سورة الممتحنة آية ٥)

مكة المكرمة فى ربيع الأول ١٤٠٧ هـ

نوفمبر ١٩٨٦ م

تاريخ الحروب

الكتاب السادس

الحروب القوطية (تابع)

(١٦)

جاء بليزاريوس ونارسيس مع جيشهما بالقرب من مدينة فيرموم Firmum [1] التى تقع على شاطئ الخليج الأيونى وتبعد مسافة رحلة يوم من مدينة أوكزيمس Auximus [2] ؛ وفى ذلك المكان بدا فى عقد لقاءات مع جميع قادة الجيش للتداول بشأن تحديد أى المواقع تكون أكثر ملائمة للهجوم على العدو ؛ لأنه طبقا للامكانيات كان عليهما التقدم مقابل القوات التى تحاصر أرمينيوم Arminum [3] ؛ فقد كانا يتوقعان أن القوط فى آوكزيمس سوف يأخذونهما — على ما يحتمل أوكزيموس فى المؤخرة عند موقعين يلحقان أفدح الضرر بهما وبالرومان سواء حتى الذين كانوا يعيشون فى ذلك الاقليم ، ولكن من جهة أخرى فقد كانا قلقين من جهة الحصار خشية معاناتهم السيئة بسبب النقص فى المؤن ، ولأن الأغلبية كانت تحمل العداء تجاه حنا John وبالتالى فقد جعلوا خطبهم تحمل نفس الطابع ؛ وأن التهمة التى ألقوها عليه هى أنه كان يتحرك بجرأة غير

---

(١) فيرمو الحديثة

(٢) تقع مدينة اوكزيموس Auximus فى ايطاليا واسمها الآن اوزيمو Osimo وهى تابعة لرافنا من الممتلكات القوط الشرقيين .
(المترجمة)

(٣) تقع أرمينيوم Arminium فى الشمال الشرقى من ايطاليا وتسمى ريمينى Rimini ؛ وهى على مسافة قصيرة من رافنا فى الشمال الشرقى ،
(المترجمة)

محصوبة ورغبة فى اكتساب مبالغ كبيرة من المـال ليضع نفسه فى وضعه الخطير الحالى ، وأنه سوف لا يسمح للعمليات الحربية بأن تتم بالنظام المطلوب ولا بالطريقة التى وضعها بليزاريوس ، ولكن نارسيس الذى كان يحب حنا عن غـيره من الرجال كافـة أخذ يخاف من أن يقـوم بليزاريوس بالأخذ برأى ضباطه ويجعل من تهديد الموقع فى اريمنيوم أمر ذا أهمية ثانوية فتكلم على الوجه التالى :

« أيها الضباط الرفاق ، انكم لا تتجادلون فى مسألة من نوع مألوف ولا أنتم تعقدون هذا المجلس بشأن موقع لا يشك أحد فى أمره بطبيعة الحال ، ولكن فى ظروف تجعل فى امكان حتى أولئك الذين ليس لديهم خبرة بالحرب أن يحددوا اختيارهم فى الحال وفى هذا التحديد عليهم أن يختاروا الطريق الأصوب • لأنه يبدو حقيقة أن كلا العرضين للاختيار بالنسبة للذين عجزوا عن درجة متعادلة من الخطر وعن احتمالات متوازنة من الضرر الا يضيعوا وقتهم فبدلا من أن نتجادل ونقطع شوطا كبيرا فى المجادلات يجب علينا أن نحسم رأينا بالنسبة للموقع الذى هو أمامنا ، ولكن اذا ما رغبنا فى تأجيل الهجوم على اوكريمس لبعض الوقت فان النتيجة التى سوف نلقاها منه سوف لا تتعرض لأية مصلحة حيوية لنا ، فأى فرق سوف ينشأ أثناء الهدنة ؟ ولكن اذا ما فشلنا فى اريمنيوم فاننا — وبكل الاحتمالات ، واذ ما كان كلامى هذا ليس فيه شىء كثـير من المرارة — سوف نحطم قوة الرومان • والآن اذا ما قام حنا بتهـديد قياداتكم بوقاحة ، فان بليزاريوس القائد القوى والذى سبق أن طلبتموه مازل موجودا بشكل مؤكد ، ومازال فى امكانكم الا أن تنقذوه فى شدته أو تتركوه للعدو ، ولكن نرى أنكم لا تتالون من الامبراطور أو منا الجزاء عن الأخطاء التى ارتكبها حنا عن طريق جهله لأنه اذا ما قـام القـوط بالاستيلاء على اريمنيوم فى موقع الاتصال الحالى فسوف يكون من حسن حظهم أن يجعلوا من قائد رومانى قدير أسيرا وبالمثل بالنسـبة للجيش بأكمله ولمدينة خاضعة للامبراطور • وان الكارثة لن تقف عـند هذا الحد فسوف يكون لها انعكاس على تحديد مستقبل الحرب فى كل

مجال ، واذا يجب أن يحث ذلك من جهة العدو لأنه ما زال وحتى هذه اللحظة أكثر تفوقا منا فى عدد جنوده وأنه قد فقد شجاعته فقط بسبب الشدائد التى عانى منها ، وهذا طبيعى لأن سوء الحظ قد سلب منه كل ثقته ولذلك فاذا ما لاقى نجاحا فى الوقت الحاضر فسوف يستعيد روحه المعنوية فى وقت ليس ببعيد وفيما بعد فسوف يستمر فى هذه الحرب بجرأة ليست فقط معادلة لجرأتنا — ولكن فى الواقع أكثر منها بكثـير لأنه بالنسبة لأولئك الذين يجدون أنفسهم فى موقف صعب فانهم دائما يحملون قلبا أفضل من هؤلاء الذين لم يصادفوا شدة من قبل » •

هكذا تكلم نارسيس •

وفى هذا الوقت جاء الى المعسكر جندى استطاع الهـروب من اريمنيوم وذلك بالتسلل من الحرس الخاص بالبرابرة وأظهر لبليزاريوس خطابا كان قد حرره له حنا ويحمل الرسالة الآتيـة « اعلم أنه ولوقت طويل فان كافة المؤن الخاصة بنا قد نفدت ، واننا لم نعد قادرين على الصمود أمام الأهالى ولا على رد المهاجمين وأنه فى خلال سبعة أيام سوف نسلم أنفسنا وهذه المدينة للعدو رغما عن ارادتنا ، لأننا قبـل ذلك الوقت عاجزون تماما عن أن نتغلب على الحاجة التى هى فـوق طاقتنا ، وهذه الحاجة فيما اعتقـد سوف تكون اعتذارا كافيـا فى مصلحتنا اذا ما فعلنا أى شىء معيب » • هذا ما كتبه حنا عندئذ ولكن بليزاريوس — من جهة أخرى — كان فى حيرة ومرارة وأصابه ارتباك كبير من جهة المحاصرين ، وقد ارتا ببفى ذلك الوقت فى أن العدو فى أوكريموس قد يقوم باقتحام البلاد كلها وينهبها بلا خوف من أحد كلما أتاحت له الفرصة ذلك وخاصة كلما خاض معركة مـع خصومه وهكذا قد يلحق بالرومان ضررا كبيرا لا يمكن مداواته وأخيرا — ومع كل ذلك فقد فعل الآتى :

غادر اراتيوس Aratius مع ألـف من الرجال مع اعطـائهم التعليمات بأن يقيموا معسكرا بجوار البحر على مسافة مائتى سـتيد

(مقياس يونانى للطول) من اوكريم ، وان هذه الفرق التى قام بقيادتها لم تتحرك بعيدا عن ذلك الموقع كما وانها لم تلتحم مع العدو فى أى واقعة نهائية وذلك فيما عدا ابعاده عن المعسكر وذلك اذا ما قام بهجوم عليه ، لأنه كان يأمل بذلك المسلك أن يجعل من المؤكد أن البرابرة وهم يرون الرومان معسكرين بجوارهم ويبقون بهدوء فى أوكريم ولا يتبعوا جيشه الخاص ليلحقوا به الأذى •

وبالاضافة الى ذلك قام بارسال جيش كبير عن طريق البحر يقوده هيروديان يوليارس Herodian Uliaris ونارسيس أخو اراتيوس ولكنه عين الديجر Ildiger رئيسا للحملة وصدرت اليه التعليمات من بليزاريوس بأن يبحر رأسا الى اريمنيوم وألا يحاول الاقتراب من الشاطىء بالقرب من المدينة بينما كان الجيش البرى ما زال فى المؤخرة، لأنهم سوف يتخذون طريقا لا يبعد كثيرا عن الساحل ، كما أمر جيش آخر تحت قيادة مارتينوس Martinus أن يسير بمحاذاة الساحل بالقرب من هذه السفن ومع مراعاة أنه فى حالة الاقتراب من العدو فعليه أن يقوم باشعال عدد كبير من نيران المعسكر أكثر من المعهود ليس بنسبة العدد الفعلى للجيش وهكذا يحمل خصومه على الاعتقاد بأن عدد جيشه أكبر بكثير مما كان فى الواقع ، وأما هو نفسه ففى تلك الأثناء يذهب الى طريق آخر بعيدا عن الشاطىء مع نارسيس وأما باقى الجيش فيعبر مدينة ارفيساريا[٤] والتى سبق أن دمرت تماما فى العصور المبكرة[٥] بحيث لم يبق منها أى شىء مهم يدل على عظمتها فيما عدا بقايا صغيرة من بوابة واحدة وكذلك أرضية بناء ملاصق لها •

---

(٤) ابريس سالفيا ، ابريساجليا الحديثة Urbisaglia •

(٥) فى هجوم سنة ٥٣٢ بعد الميلاد •

(١٧)

فى ذلك المكان كان من حسن حظى أن أرى المنظر الآتى ، فعندما جاء جيش حنا الى بايسنوم Picenum [٦] فان أهالى ذلك الاقليم — وكما هو طبيعى — أصيبوا بارتباك شديد وحيرة كبيرة ومن النساء من أخذن فى الهرب حيثما وجدت كل منهن الى ذلك سبيلا بينما أسرت الباقيات وسبين بطريقة همجية على يد من فاجأهن ، ولكن امرأة معينة من هذه المدينة وضعت مولودا فى تلك اللحظة ثم تخلت عنه تاركة اياه فى قماطة راقدا على الأرض وسواء أكانت استطاعت الهرب فى أمان أم تم أسرها على يد أحد فانها لم تنجح فى العودة مرة أخرى الى ذلك المكان فبالتأكيد قد شعرت انها قد اختفت عن عالمه أو على الأقل عن ايطاليا • وهكذا فان الصغير الذى ترك هكذا بدأ يصرخ ورأته ماعز وشعرت بشفقة عليه فاقتربت منه وأعطته ثديها (حيث انها هى أيضا تصادف أن وضعت حديثا أربعة من صغارها) • ثم عنيت بحراسته وذلك خشية أن يصيبه كلب أو حيوان مفترس بأذى ، وحيث أن هذا الوضع المربك قد استمر طويلا فان الصغير شارك صغار الماعز هذا الطعام لمدة طويلة ، ولكنه وفيما بعد فقد أصبح معروفا لدى أهالى بايسنوم أن جيش الامبراطور قد جاء هناك لالحاق الأذى بالقوط ولكن الرومان سوف لا يعانون شيئا من ذلك حيث عادوا جميعا على الفور الى منازلهم وعندما جاءت النساء الرومانيات الى ايرفيساليا مع الرجال ورأوا الصغير ما زال حيا فى قماطه فقد كانوا عاجزين عن ادراك ما حدث بالضبط واعتبروا الأمر فى منتهى الغرابة لمجرد بقاء الصغير حيا ، وعرضت كل من اللاتى تصادف وكانت تحمل لبنا فى ثديها أن ترضع الصغير ولكن هذا لم يكن له أى عهد

---

(٦) منطقة Picenum يسكنها شعب من الشعوب البدائية الاولى التى تنتمى الى جنس البحر المتوسط • وهى تقع على الأدرياتى • وقد قام المغيرون باستيعاب هذه الأجناس فيما بينهم •

(المترجمة)

باللبن البشرى وحتى الماعز لم تكن لديها أية رغبة فى أن تدعه يذهب عنها وبما أنها أخذت تثغو بصفة مشتهرة حزنا على فراق الصغير فقد تملك الحاضرين حنق كبير لدرجة أن النساء اقتربوا منها وأبعدوها ولكنها أصرت وبكل معنى الكلمة — على المطالبة بالطفل وكأنه وليدها الخاص ونتيجة لذلك فان النساء توقفن عن ابعاد الصغير عن الماعز التى أخذته فى اطعامه بلا خوف كما أخذت فى حراسته بكل عناية ومن ثم فان سكان ذلك المكان قد لقبوا الصغير وعن جدارة بلقب (أجيثوس)(٧) وعندما تصادف وكنت مقيما بذلك المكان لمدة قصيرة لرؤية المنظر الغريب فقد أخذونى بالقرب من الصغير وتعمدت ايذاءه حتى يصرخ فما كان منه — وقد تضايق من هذا الايذاء — الا أن بدأ فى الصراخ وعند ذلك حضرت الماعز مسرعة وقد سمعته يصرخ وكانت واقفة بجوار حجر بعيداً عنه وهى تثغو بصوت عال ثم أخذت مكانا لها من فوق وبحيث لا يستطيع أحد أن يعاود ايذائه ، ومن هنا بدأت قصة أجثيوس هذا .

ولكن بليزاريوس كان فى تقدم عن طريق الجبال فى ذلك الاقليم ولشعوره أن مستوى جيشه أقل من مستوى خصومه من حيث العدد فلم يشأ أن يتورط معهم فى معركة مفتوحة حيث كان فى استطاعته ادراك أن البرابرة كانوا بالفعل مفجوعين بهزائمهم السابقة كما اعتقد بأنهم بمجرد أن يعلموا أن هناك جيشا معاديا يزحف نحوهم من كافة الجهات فانهم لن يفكروا ولو للحظة فى أمر المقاومة بل سيستديرون وبدون أدنى تردد نحو الهرب ، وبالفعل توصل الى رأى صائب فيما يتعلق بالموقف كما كانت توقعاته خالية من التضارب فيما يتعلق بما سيجلبه فيما بعد لأنهم عندما وصلوا الى نقطة فى الجبال حيث كانوا على بعد رحلة يوم واحد من أريمنيوم وتصادف أن تقابلوا مع مجموعة صغيرة من القوط الذين كانوا يرتحلون فى مأمورية ضرورية ، وكان هؤلاء القوط — وقد واجهوا وبطريقة غير متوقعة جيشا معاديا — عاجزين تماما

(٧) نسبة الى كلمة Aegithus اى الماعز .
(المترجمة)

عن الخروج عن الطريق قبل أن يهاجموا بواسطة المقذوفات من أولئك الذين كانوا يسيرون فى الطليعة فسقط بعضهم فى الموقع بينما نجح الآخرون بعد اصابتهم بجروح — فى الاختباء بتسلقهم بعض الهضاب المجاوره ومن ذلك الموقع رأوا الجيش الرومانى يلم اشتاته من على الأرض واعتقدوا أنه كان أكبر مما كان فى الحقيقة كما وأنهم عند رؤيتهم لستوى بليزاريوس هناك تحققوا من أنه يقود هذا الجيش شخصيا ثم أتى المساء واسترخى الرومان حيثما كانوا بينما ذهب القوط المصابون فى خلسة الى معسكر فيتيجيس Vittigis ، وند وصولهم عنده فى منتصف اليوم أظهروا اصاباتهم وأعلنوا أن بليزاريوس سوف يهجم عليهم على التو بجيش بالعدد السابق وعندئذ أخذ القوط فى الاعداد للمعركة عند الشمال من مدينة اريمنيوم لأنهم اعتقدوا بأن العدو سوف يأتى من ذلك الاتجاه فكانوا جميعا وبصفة دائمة شاخصين تجاه أعالى الجبال ولكن عندما حل الليل عليهم وألقوا أسلحتهم وأخذوا يستريحون رأوا نيران معسكر العدو جهة الشرق من المدينة وعلى بعد نحو ستين ستيد — كانت تلك النيران التى كانت فرق مارتينوس Martinus تقوم باشعالها فانتابتهم حالة من الخوف واليأس لأن الشك قد أنتابهم بأنهم سوف يحاصرون بواسطة العدو عند بزوغ النهار ولذا ففى تلك الليلة استرخوا فى حالة من الخوف ولكنهم فى اليوم التالى وعند شروق الشمس رأوا أسطولا من السفن بأعداد غفيرة ينقض عليهم ، وعندئذ غمرهم فزع جعلهم لا يستطيعون التفوه فقد اندفعوا مقهورين وبينما كانوا يعبئون حاجاتهم وأمتعتهم بما يمكنهم من سرعة واصيبوا بارتباك وصياح لدرجة أنهم لم يعيروا التفاتا الى الأوامر الصادرة اليهم ولا حتى فكروا فى أى شىء آخر سوى كيف يستطيع كل رجل منهم أن ينجو بجلده بعيدا عن المعسكر ويضع نفسه داخل تحصينات رافينا ولو كان لدى المحصورين بعض القوة أو كان لديهم شىء من الجرأة لكان فى استطاعتهم قتل أعداد كبيرة من العدو فى الموقع وذلك بالقيام بهجوم من المدينة ولكانت الحرب قد انتهت عندئذ ولكن

الذى حال دون ذلك هو الخوف الشديد الذى تملكهم بسبب تجاربهم السابقة وكذا بسبب الضعف الذى أصاب الكثير منهم نتيجة النقص فى المؤن وهكذا فان البرابرة أخذوا يجرون بأسرع ما تهيأ لهم سالكين الطريق نحو رافينا تاركين بعضا مما فى حوزتهم من هول ارتباكهم •

(١٨)

وفيما يتعلق بالرومان كان ايلديجر Ildiger ورجاله أول من وصل الى معسكر العدو وجعلوا من القوط الذين بقوا يعانون من المرض عبيدا كما جمعوا كل ما هو ثمين مما تركه القوط عند فرارهم • كما وصل بليزاريوس مع كل جيشه فى منتصف اليوم وعندما رأى حنا ورجاله شاحبين وفى حالة مخيفة من الهزال قال له — وهو يشير الى تهور فعله — انه شديد الامتنان لايلديجر • ولكن حنا قال انه كان يدرك التزامه ليس بالنسبة لايلديجر ولكن بالنسبة لنارسيس وصيف الامبراطور مبينا على ما افترض أن بليزاريوس لم يأت للدفاع عنه بمحض ارادته ولكن فقط بعد أن تم اقناعه بواسطة نارسيس ومنذ ذلك الوقت أخذ كل من هذين الاثنين ينظر الى الآخر بريبة كبيرة ولهذا السبب فان أصدقاء نارسيس حاولوا حتى منعه من السير مع بليزاريوس وبحثوا عن الكيفية التى يبينون له بها كم هذا الأمر مهين بالنسبة لمن شارك فى أسرار الامبراطور وكيف لا يكون هو القائد الأعلى للجيش بل وكيف يرضى أن يتلقى أوامره من مجرد قائد عادى لأنهم عبروا عن الرأى بقولهم ان بليزاريوس سوف لا يشاركه اطلاقا وبمحض ارادته فى قيادة الجيش على فترات متعادلة ولكن اذا ما رغب فى قيادة الجيش الرومانى واحتفظ بها لنفسه فسوف يتبعه جزء كبير من الجنود خاصة الممتازين منهم هم ورؤسائهم ومن جهة الايرولى[٨] ، وحرس ورماة نارسيس والفرق التى

(٨) سبق ان عرفناهم انهم شعب شديد المراس كان يزدرى استخدام الدرع ، ومن عاداتهم الحكم على الأرامل بالموت اذا مات أزواجهم وعلى الآباء الطاعنين فى السن بألا يعيشوا بعد أن تضمحل صحتهم .

(المترجمة)

يقودها جستنيان وحنا بنفسيهما مع قوات اراتيوس Aratius وقوات نارسيس ، فقد قالوا انها بلغت ما لا يقل عن عشرة آلاف رجل من جنود شجعان ومحاربين اكفاء خاصة وانهم لا يريدون اخضاع أيطاليا لتصبح تابعة لبليزاريوس وحده ومعتمدة عليه ، ولكن يجب أن ينال نارسيس هو الآخر حظه من هذا المجد • لأنهم ظنوا أنه قد ترك مجتمع الامبراطور ليس لمواجهة الأخطار بنفسه لكى يحقق المجد لبليزاريوس ولكن ظنا أن اظهار الافعال والحكمة والشجاعة قد تجعله مشهورا بين جميع الرجال ، وقالوا علاوة على ذلك أن بليزاريوس سوف يصبح من ذلك الحين غير قادر على انجاز أى عمل بدون هذه القوات • أما عن الجزء الأكبر من القوات التى يقودها فقد تركها بالفعل خلف الحصون والمدن التى احتلها بنفسه وقد أحصوها كلها ابتداء من صقلية وأسموها كما سبق أن أسموا بيسنام Picenum •

وعندما سمع نارسيس ذلك سر للغاية بالاقتراح ولم يستطع وقف تفكيره أو الصبر على الترتيب القائم ، ولذلك فغالبا عندما كان بليزاريوس يفكر مليا فى قيامه ببعض المشاريع الجديدة ، فانه كان يلجأ الى حجج مختلفة واحدة حينا وأخرى حينا آخر وهكذا يضع الخطوط العريضة للمشروع الذى يستحث تنفيذه ولذا فان بليزاريوس عندما أدرك هذا جمع جميع القادة وتحدث اليهم على الوجه الآتى :

« يبدو لى أيها الضباط الرفاق أنى لا أحمل نفس الرأى الذى تحملونه بشأن هذه الحرب فبالنسبة لكم ان العدو يشعر بالذل لكونه قهر تماما وذلك هو رأيكم أما عن رأيى الشخصى فانه بهذه الثقة التى فى داخلكم سوف نتعرض لخطر يمكن التنبؤ به لأنى أعلم أن البرابرة لم يتم قهرهم على أيدينا بسبب قلة شجاعتهم أو بسبب نقص أعدادهم ولكن بسبب التخطيط الدقيق المسبق الذى فاجأ قادتهم وبالتالى لاذوا بالفرار من هذا المكان • وانى أخشى أنكم قد تكونون خدعتم فيما يتعلق بهذه الحقائق وذلك بسبب تقديركم الباطل للوضع وهكذا فقد يلحق ضرر

لا يداوى سواء بالنسبة لكم أم بالنسبة للتنظيم الخاص بالرومان وفيما يتعلق بأولئك الذين يعتبرون أنفسهم منتصرين والذين يرفعون رءوسهم بما حققوا من انجازات هؤلاء يسهل القضاء عليهم عن أولئك الذين عانوا فى الواقع من الشدائد الغير متوقعة وفيما بعد يحثهم لخوف على أن يتخلوا عن احترامهم لعدوهم وأحيانا فان عدم المبالاة يحطم أحيانا الرجال الذين كانوا فى حالة طيبة ، ان القوة الممزوجة بالخوف والجزع تخفف كثيرا عن هؤلاء الذين يعانون سوء الحظ ولذلك فمن ناحية عندما يسمح الرجال لأنفسهم بالاندفاع وعدم الاكتراث فان مقياس قوتهم هو مقياس اعتيادى وكقاعدة فانه يقل ومن ناحية أخرى فان الدراسة الواعيـة للوضع تعتبر بطبيعة الحال مما يبعث القوة والشدة ومن ثم فليدع كل منكم نفسه يتذكر أن فيتيجيس Vittigis فى رافينا مع عشرات الآلاف من القوط ، وأن اورياس Urias يحاصر ميلان وقد جعـل كافة ليجوريا تحت سيطرته وأن اوكزيماس قد ملئت بجيش كثير العدد ومروع وأن أمـاكن أخرى وحتى ايرفيفنتاس[9] المجـاورة لرومـا احيطت بقوات كبيرة من البرابرة تفوق ما لدينا منها وبالتالى فان الوضع أكثر خطورة بالنسبة لنا فى الوقت الحاضر عنه من قبل حيث قد أصبحنا وبطريقة ما محاطين بالعدو وهذا ليس كل ما فى الأمر لأنى قد تجاوزت التقرير القائل بان الفرنجة قد شاركوهم أيضا بقوات فى ليجـوريا وهو شىء لا يمكن لجميع الرومان التغافل عنه بخوف كبير ولذلك فانى أقـور وطبقا لوجهة نظرى الخاصة ضرورة ارسال جزء من الجيش الى ليجوريا وميلان ، ولكن ينبغى على الباقـين أن يتقدموا على الفـور مقـابل أوكزيماس والعدو هناك سيستكمل ما يأذن به الله • ومهما كان وفيما بعد فيجب علينا أيضا أن نأخذ على عاتقنا المهام الأخرى للحـرب بالأداء الأحسن والمفيد الذى يبدو لنا مهما كان » هكذا تكلم بليزاريوس •

هذا وقام نارسيس بالرد عليه كما يلى : « أيها القائد من وجهات نظر أخرى ، لا يمكن لأحـد أن ينـكر أن كل شىء قلته هو حقيقة ولكن

---

(٩) ايربيس فيتلى ، اورفيتو الحديثة Orvieto .

تقسيم جيش الامبراطور هنا بين ميلان واوكزيماس وحدهما يعتبر غير ملائم بتاتا فسوف لا يكون من المعقول اطلاقا من جهتك أن تقوم بالقيادة ضد هذه الأماكن كلها مثل تلك الخاصة بالرومان كما ترغب أنت ولكن من جهتنا سوف نسـتولى للامبراطور على اقليـم اميليـا Aemilia الذى يبذل القوط قصارى جهدهم ليظفروا لأنفسهم به ، كما سوف نعمل على مضايقة رافينا بشكل يجعلك تسحق العدو أمامك كما ترغب بينما سيقضى على آمال هذه الجيوش فى تقديم العون لها • لأننا اذا ما استقر رأينا على أن نشارك فى الاستمرار فى حصار اوكزيماس فان البرابرة على ما أخشى — سوف ينقضون علينا من رافينا وتكون النتيجة اننا سوف نصبح معرضين للعدو من كلا الجانبين ولكوننا على مسافة من قاعدة تموينانتا سوف يتم تدميرنا عند الموقع » •

كانت هذه كلمات نارسيس •

ولكن بليزاريوس كان يخشى أنه اذا ما كان على الرومان أن يتجهوا نحو أماكن كثيرة على الفور وفى وقت واحد فسـوف يلحق بالتنظيم الخاص بالامبراطور الضعف ثم يتم تدميره فى النهاية نتيجة الارتباك الناشىء عن ذلك الوضع ومن ثم فقد أظهر خطابا من الامبراطور جستنيان سبق أن وجهه الى قادة الجيش لابلاغهم بالرسالة التالية •

« اننا لم نرسل وصيفنا نارسيس الى ايطاليا لكى يرأس الجيش وذلك لأننا نريد بليزاريوس أن يقود كل الجيش بمفرده بأى شكل يراه هو ويكون فى اعتقاده هو الأفضل وأنه من الواجب عليكم جميعا أن تتبعوه وذلك لصالح الدولة » •

هذا هو مضمون ما حواه خطاب الامبراطور ولكن نارسيس وهو يركز على الكلمات الأخيرة من الخطاب أعلن أن بليزاريوس كان يضع فى ذلك الوقت خططا تعتبر ضد صالح الدولة ، ولهذا السبب فقد قال انه من غير الضرورى بالنسبة لهم أن يتبعوه •

(١٩)

وعند سماع هذا أرسل بليزاريوس بيرانيوس Peranius مع جيش كبير العدد الى ايريفانتس Urvinentus بتعليمات تقضى بحصارها بينما يقوم هو نفسه بقيادة جيشه ضد ايربينوس Urbinns [١٠] وهى مدينة قوية الدفاع ، وتتم حراستها بحصون كافية من القوط (وهى على مسافة من مدينة أرمنيوم بمقدار رحلة يوم بالنسبة لمسافر لا تصادفه ، عراقيل فى طريقه) وما أن قاد الجيش حتى تبعه نارسيس وحنا وجميع الآخرين وعند الاقتراب من المدينة أقاموا معسكرين على قسمين وعلى طول التل من أسفله حيث انهم لم يلتحقوا بقواتهم اطلاقا ولكن فرق بليزاريوس أخذوا موقعهم شرق المدينة وأما الفرقة الخاصة بنارسيس فقد أخذوا موقعهم غربها وفى ذلك الوقت كانت مدينة ايربينوس Urbinus تقع على تل عالى الارتفاع ومستدير ومع ذلك فان التل كان غير منحدر • كما أنه فى الوقت نفسه من غير الممكن تسلقه باكمله ولقد كانت صعوبته تتركز فى كونه وعرا جدا خاصة كلما أخذ فى الاقتراب من المدينة كان لها مدخل بجوار مستوى الأرض من ناحية الشمال وهكذا استمر الرومان على الحصار حسبما تقرر وكان من رأى بليزاريوس أن البرابرة سوف يبرمون بطريقة ما شروطا مع الرومان من أجل التسليم وذلك إعتقادا منهم بانهم قد أصبحوا فى حالة كبيرة من الذعر نتيجة لخطر المعرضين له وهكذا أرسل مبعوثين اليهم يعدونهم أنهم سوف يحصلون على منافع كثيرة ويحثونهم على أن يخضعوا للامبراطور • ووقف أولئك المبعوثون بالقرب من البوابات (لأن العدو لم يكن ليستقبلهم داخل المدينة) تكلموا عن بعد باذلين جهدا كبيرا ليكسبوهم فى صفوفهم ولكن القوط وبثقة منهم فى قوة وضعهم ووفرة لمدادهم لم ينصتوا الى عروضهم وأمروا الرومان أن يرحلوا من المدينة وبأقصى سرعة ، ولذلك فعندما سمع بليزاريوس هذا أمر الجيش أن

(١٠) ايربينو الحديثة Unbino .

يجمع أعمدة سميكة ويجعل منها عمودا واحدا وقد تقرر هذا التبرير لتغطية الرجال المختبئين فى الداخل بينما هم يحركونه نحو الامام فى الاتجاه الملاصق لبوابة حيث نقطة معينة تكون الأرض فيها مستوية واستمروا فى عملياتهم مقابل الحائط وهكذا انغمس الجنود فى العمل •

ولكن بعض المقربين من نارسيس تجمعوا حوله وأعلنوا أن بليزاريوس كان يتعهد بمهمة لا نهاية لها ويضع خططا يتعذر تنفيذها عمليا واما من جهة حنا فقد قالوا انه قد بذل محاولة فيما يختص بالمكان وكان ذلك أيضا عندما كانت حراسته تتم فقط بمعرفة رجال قليلين كما أنه قد أدرك أن المكان كله حصين • وكان ذلك حقيقة كما قالوا انه كان ينبغى عليه أن يسترد للامبراطور أرض أميليا Aemilia ومنذ أن حصل على تأييد لافتراض تخلى نارسيس فى الليل عن الحصار ولو أن بليزاريوس توجه أليه بالرجاء وبحماس أن يبقى هناك وأن يساعد الفرقة التابعة له فى أسر مدينة اربينوس ، وهكذا اتجه نارسيس ورفاقه فى عجله نحو اريمنيوم بجزء من الجيش وبمجرد أن رأى موراس Moras وبرابرته مع طلوع النهار نصف قوات العدو وقد انسحبت حتى أخذوا يصيحون صيحات التعبير ويرددون من داخل حصونهم التنكيت على أولئك الذين بقوا)ومع ذلك فان بليزاريوس كان ما زال يقترح مهاجمة الحائط بكل العنف وبما تبقى من قوات وبينما هو يضع الخطط لذلك الهجوم حالفه حسن الحظ فقد كانت هناك عين مائية واحدة فى اربينيوم كان جميع سكان المدينة يحصلون على الماء منها وكانت تلك العين تجف شيئا فشيئا طبقا للطبيعة الخاصة بها ، وفى خلال ثلاثة أيام فان الماء الذى تبقى فيها جعل البرابرة الذين كانوا يسحبون الماء منها يشربون الماء الممزوج كله بالطين ، ونتيجة لذلك فقد قررو أن يعدوا شروط التسليم للرومان ، ولكن بليزاريوس — الذى لم يكن قد تلقى أية معلومات عن ذلك — كان مازال يقترح عمل محاولة لاقتحام التحصينات فقام بتسليم قوته الكاملة ووضعها على شكل دائرة حول التل كله ثم أمر

قلة من الرجال أن يتحركوا الى امام الكولنيد (وهى التسمية المعتادة للبواكي من العمود المكثف)[١١] حيث كانت الأرض مستوية وحيث توجه هؤلاء الرجال ثم بدأوا يسيرون ويجرون الكولونير معهم مختفين عن أعين العدو ، وعلى ذلك فان البرابرة — وقد مدوا أيديهم اليمنى من السور — التمسوا السلام ، ولكن الرومان — وهم لا يعلمون شيئا عما حدث بالنسبة للعين المائية — ظنوا انه القتال وانه التدبير الرومانى الذى خشوا منه فامتنع كل من الجانبين على أى حال من الدخول فى معركة راضيا بذلك الوضع وقام القوط بتسليم أنفسهم وتسليم المدينة الى بليزاريوس على شرط أن يبقوا دون أن يلحقهم أذى وأن يخضعوا للامبراطور بنفس الوضع الذى يخضع له الجيش الرومانى .

ولكن نارسيس — عند سماعه هذا النجاح امتلأ بالدهشة البالغة والغم وبقى فى هدوء فى اريمنيوم ولكنه أمر حنا أن يقود كل جيشه ضد كاسنيا[١٢] — وهكذا توجهوا اليها مستصحبين معهم بعض السلالم وعندما أصبحوا قريبين من الحامية قاموا بهجوم ومحاولة لاقتحام الاستحكامات ، حيث أن البرابرة قد دافعوا عن أنفسهم ببسالة فقد سقط كثير منهم فى القتال وكان من بينهم فانيتيس Phanitheus قائد ايرولى ، وهكذا فان حنا — وقد فشل فى الاستيلاء على حصن كاسنيا فى ذلك الوقت — رأى انه من المناسب ألا يعمل محاولة أخرى لاقتحامه بعد أن اتضح له أنه حصن منيع فسار نحو الامام مع جستينوس وبقية الجيش ، وبحركة مفاجئة نجح فى الاستحواذ على مدينة قديمة كانت تسمى فورو كورنيلياس[١٣] ، وبما أن البرابرة تراجعوا باستمرار أمامه ولم يتورطوا اطلاقا فى الالتحام فقد استعاد كل اميليا للامبراطور وكان ذلك مسار تلك الأحداث .

---

(١١) كان يسمى Syoa عند اليونانيين ، Vinea عند الرومان .

(١٢) كاسينا الحديثة Cecena .

(١٣) فورام كورنيللى ، ايمولا الحديثة Imola .

(٢٠)

منذ أن تم لبليزاريوس أسر أربنيوس مع بداية الشتاء فقد كان من غير الملائم السير ضد أوكزيماس على الفور ، فقد ارتاب فى أن الأمر سيستغرق وقتا طويلا فى حصارها بمعرفة الفرق التابعة له ، لأنه كان من غير الممكن أخذ المكان عنوة وذلك بسبب قوة دفاعاته كما كانت حاميـة المدينة من البرابرة كثيرة العدد من جهة وتتكون من أحسن الفرق من جهة أخرى كما سبق أن ذكرت[١٤] ، وحيث انهم قد سبق أن سلبوا قطاعا كبيرا من البلاد فانهم قد حصلوا لأنفسهم على مخزون كبير من الامدادات ولكنه أمر ارايتوس مع جيش كبير العدد بأن يمضى الشتاء فى فيرموم Firmum وليكن فى عزمه أن البرابرة سوف لا تكون لهم حرية فى المستقبل لشن غارات من اوكزيماس وباستمرارهم بلا خوف فى حملة العنف على ذلك الاقليم — ومع ذلك فانه هو نفسه قاد جيشه ضـد أرفينتوس ، حيث ان بيرانيوس استمر فى حثه على أن يفعل ذلك نظرا لما سمعه من الهاربين من الخدمة بأن القوط فى تلك المدينة كانوا فى حاجة للامدادات فكان يأمل انهم — بالاضافة الى نقص التموينات لديهم اذا ما رأوا بليزاريوس حاضرا أيضا مع جيشه بالكامل وحسبما كانوا يتوقعون فسوف يستسلمون بسرعة وهذا ما حدث فعلا بمجرد أن وصل بليزاريوس الى أرفينتوس أمر كل الجيش أن يعسكر فى مكان اختير بحيث يكون مناسبا لذلك بينما قام نفسه بدوره كاملا حول المدينة ليرى — وبكل الدقة — عما اذا كان من الممكن أخذها عنوة — وقد بدا له أنه لم تكن هناك وسيلة ممكنة للاستيلاء على المكان بالهجوم عليه ، ومع ذلك فقد قرر أنه من الممكن بوجه عام الاستحواذ عليها بتدبير خدعة فى السر .

وكانت المدينة تحتل تلا فريدا ينبع من أرض منخفضة من أسفل ومستوية السطح وملساء من أعلى ولكنها آخـذة فى الانحدار عـند

---

(١٤) فصل ١١ فقرة ٢ .

القاعدة ؛ وحول هذا التل كانت ترتفع صخور — ذات ارتفاع متساو كانت تشكل حولها دائرة ليست كاملة عند القاعدة الخاصة بالتل الا بقدر مسافة تقدر بنحو حجر مقذوف بعيدا[١٥] وعند هذا التل فان الرجال الذين بنوا المدينة فى الماضى كما وانهم لم يقيمو حوائط حولها فانهم لم يشيدوا أية دفاعات عنها من أى نوع كان وذلك بالنظر الى أن المكان كان يبدو فى نظرهم منيعا بطبيعته • لأنه لم يكن هناك من مدخل الى المدينة سوى مدخل واحد خلال الصخور فاذا ما جعل سكان المدينة هذا المدخل وحده تحت الحراسة فلن يكون لديهم شىء يخشون منه من جهة هجمات معادية عند أية نقطة أخرى وفيما عدا المكان حيث أنشأت الطبيعة المدخل حسبما سبق ذكره فهناك نهر[١٦] واسع لا يمكن عبوره يحتل المسافة فيما بين التل والصخور التى سبق لى ذكرها على التو • ومن هذه الوجهة فان الرومان بنوا فى الماضى حائطا قصيرا عبر هذا المدخل حيث كان القوط يقومون بحراسته فى ذاك الوقت هذا هو الوضع بالنسبة لارفينتوس •

ثم بدأ بليزاريوس الحصار مع كل جيشه أملا فى أن يقوم بهجوم عن طريق النهر أو أن يجبر العدو على الاستسلام بسبب المجاعة ، وأما من جهة البرابرة فلم يكونوا مجردين تماما من الامدادت ولو أن التموين الخاص بهم كان ضئيلا للغاية بالنسبة لحاجاتهم ولكنهم تمسكو باحتمال معاناتهم مع كافة الاحتمالات اذ لم يكن فى حوزتهم القدر الكافى من التغذية الذى يرضيهم ، وفى كل يوم كانوا لا يستهلكون من الطعام الا القدر الذى يقيهم شر الموت جوعا فى النهاية عندما نفدت كافة الامدادات بدأوا يأكلون الجلود وجلود الحيوان بعد نقعها فى الماء لمدة

(١٥) اقرب ارتفاع هو بعد نصف ميل Hodgkin .

(١٦) الآن يجرى الباجليا على جانبين اثنين نقط من التل .

(المترجمة)

طويلة ، ومن جهة قائدهم البيلاس Albilas ، وهو رجل مرموق بين القوط ، فقد كان يمنيهم بآمال بعيدة المنال[١٧] •

ومضى الوقت وجاء فصل الصيف مرة أخرى ونضجت حبات القمح غير عابئة بما يحدث فى أراضيها ولكن بكميات أقل عما كانت عليه من قبل بل وأقل كثيرا فلم تعط العناية الكافية لأخاديدها سواء من جهة المحاريث أم من جهة الأيدى البشرية اذ طفت على سطح الأرض التى لم تكن قادرة على جعلها تمد جذورها الى داخلها الا فى حدود نسبة صغيرة منها ، وحيث أن أحدا بعد ذلك لم يقم بحصارها بعد أن تم نضجها تماما فقد سقطت ثانية على الأرض ولم ينبت منها شىء بعد ذلك • وقد حدث نفس الشىء أيضا فى اميليا Aemilia وبسبب هذا الوضع فان السكان فى ذلك الاقليم تركوا منازلهم وتوجهوا الى بيسينيوم معتقدين أنه ما دامت المدينة تقع على البحر فانها لن تعانى تماما من نقص فى تموينات الطعام ، كما وأن التوسكانيين شأنهم شأن الآخرين قد تعرضوا للمجاعة لنفس السبب ؛ وحيث ان كثيرا منهم عاشوا فى الجبال فقد كانوا يأكلون رغيف العيش المصنوع من ثمار أشجار البلوط والتى تنمو مشابهة تماما للقمح ، ولقد كانت النتيجة الطبيعية لذلك أن غالبية الناس سقطوا ضحايا لكافة الأمراض وأن القليل منهم هم الذين شفوا منها ، وقيل فى الواقع انه فيما بين المزارعين الرومان فى بيسنوم قد هلك خمسون ألف شخص من المجاعة وأن أكثر من ذلك بكثير هلكوا فى شمال الخليج الأيونى[١٨] •

سوف أتناول الآن الشكل الذى آلوا اليه والطريقة التى ماتوا بها لأنى كنت شاهد عيان ففى أول الأمر أصبحت أجسادهم فى هزال وألوانهم

(١٧) لقد وضح فى القسم ٤ اعلاه بان المدينة استسلمت ، ولكن هذا لم يتقرر بوضوح ولم يعد بروكوبيوس الى الموضوع فيها بعد .
(المترجمة)

(١٨) عند بروكوبيوس الخليج الايونى هو الادرياتيك .

شاحبة بسبب العجز فى الامدادات الغــذائية وذلك مثلما قال المثــل القديم (تقوقع داخل نفسه) كما وان الصفراء سيطرت على أجسادهم بشكل مفرط نتيجة ازدياد العجز فى تلك الامدادت فكانت أعراضها تظهر غالبا على أشــكالهم وبما أن المرض استفحل وفقدوا الليونة وأصبحت جلودهم فى منتهى الجفاف حتى أصبحت تشابه الجلد الصناعى أكثر من أى شيء آخر وتعطى صورة وكأنها قد التصقت بالعظــام وحيث أنها تحولت فى لونها من اللون الداكن الى اللون الأسود فقد أصبحوا يشبهون مشاعل تم احراقها تماما وكانت وجوههم تحمل دائما تعبــيرا ينم عن الذهول وفى الوقت نفسه كانت لهم دائما نظرات شاردة مخيفة تنــم عن الجنون فمات بعضهم بسبب النقص فى الطعام والبعض الآخــر بسبب تخمتهم به — ومنذ أن ضاع الدفء الذى أعطته الطبيعة لهم ، وكلما أطعمهم أحد الطعام حتى الشبع وليس بصورة تدريجية مثــل الأطفال الذين ولدوا حديثا فقد كانت النتيجة انهم ماتوا فورا حيث أنهم كانوا غير قادرين على هضم الطعام كما أن البعض — وقد قهرهم الجوع — تغذوا على حساب رفاقهم — ويقال ان امرأتين فى مكان ما فى البقاع أعلى مدينة اريمنيوم أكلتا سبعة عشر رجلا ، وفيما يتعلق بهاتين المرأتين فقد كانتا الساكنتين الوحيدتين من أهالى المكان اللتين عاشتا بعد ذلك • وبالتالى فقد حدث أن بعض الغرباء الذين كانوا يسافرون فى ذلك الطريق تصادف أن أقاموا فى المنزل الصغير حيث كانت المرأتان تقيمان ، لذا فقد أضمرتا قتل هؤلاء الغرباء أثناء نومهم وأكل لحمهم — وتمضى القصة هكذا فتقول ان الغريب الثامن عشر استيقظ فجأة من نومه عندما كانت المرأتان على وشك قبض عنقه بأيديهما فلما قفز من فراشه وعلم منهما القصة بأكملها قام بقتل كلا منهما — على العموم هذه هى القصة التى يتداولونها • لقد قهر الجوع أغلب الناس بدرجة أنهم اذا ما صادفوا أية قطعة صغيرة من الحشائش فى أى مكان فقد كانوا يندفعون نحــوها بحماس كبير ثم يركعون ويحاولون اقتلاعها من الأرض ، وعندما وجدوا أنفسهم غير قادرين حتى عن فعل ذلك بسبب فقدهم لكل قواهم كانوا

يرتمون على الحشائش ويمدون أيديهم ثم يموتون ولم يحدث أن قام أحد بدفنهم فى الأرض ، فلم يهتم أحد بذلك فى الحقيقة وهكذا بقوا دون أن يمسهم أى طائر من تلك الطيور العديدة التى لها عادة التغذية على حساب الأجسام الميتة حيث لم يكن بها شيء تشتهيه تلك الطيــور وذلك لأن أكل اللحم — كما سبق لى أن ذكرت — قد استنفذ بسبب الجوع المميت — وهذا هو الأسلوب الذى ضربت به المجاعة الأرض •

(٢١)

وعندما سمع بليزاريوس بأن آرياس Urias والبرابرة يحاصرون ميلان أرسل مارتينوس Martinus ويوليارس Ullaris ضدهم مع جيش كبير العدد ولكن عندما وصلت هذه القوة الى نهر البو — وهو على بعد رحلة يوم واحد من ميلان — أقامت معسكرا وبقيت هناك وأمضى أفرادها وقتا طويلا فى ذلك المعسكر فى جدال بشأن عبور النهر وعندما سمع منديلاس Mundilas بذلك أرسل اليهم أحد الرومان يدعى بولوس Paulus • ونتيجة لذلك فقد عبر خطوط العدو دون أن يكتشفه أحد ووصل الى ضفة نهر البو ولكن تصادف عدم وجود أية عبارة فى تلك اللحظة وعلى ذلك فقد خلــع ملابسه وعبر النهر عائما متعرضا للخطر وهكذا فعندما وصل الى معسكر الرومان والتقى بقواده تحدث على الوجه الآتى :

« مارتينوس ويوليارس ، انكما لا تتصرفان بالأسلوب الذى يتفق مع ما تتمتعان به من شهرة فظاهريا أنكما تعملان على المحافظة على النظام الخاص بالامبراطور ولكنكما فى الحقيقة تعملان على مضاعفة قوة القوط، فمن جهة مدينة ميلان هذه وهى التى تتفوق على كافة المدن الايطالية الأخرى بصفة خاصة من جهة الحجم والسكان والتقدم ، وبخلاف هذه الميزات فهى خط دفاع أول ضد الألمان والبرابرة وغــيرهم فهى تحمى الامبراطورية الرومانية بأكملها ، أقول ان هذه المدينة قد أصبحت فى

خطر جسيم من قبل العدو هي ومنديلاس وجيش الامبراطور ، كما أصبحت مهملة وبعلمكم ، وكم من الأخطاء ارتكبها الامبراطور بسببكم في الآونة الحاضرة والتى امتنع عن ذكرها لأن الحاجة الملحة الآن لا تسمح لى باستخدام كلمات كثيرة حيث أبحث عن عون سريع للمدينة بينما الأمل المتبقى لانقاذها قليل ، ولكن أقول انكما يجب أن تأتيا للدفاع عن أهالى ميلان فى شدتهم وذلك بأسرع ما يمكن لأنه لو تصرفتم بأى تردد فى الأزمة الحاضرة فيما يتعلق بالمجىء الينا فان النتيجة ستكون هلاكنا بعد المعاناة من المصير السىء الذى ينتظرنا ، ومن جهة أخرى ستكون النتيجة بالنسبة لكم الخيانة بكشف قوة الامبراطور للعدو ومن جهة أولئك الذين قد يفتحون الأبواب للعدو بطريق الصدفة لن يكونوا وحدهم هم الذين يستحقون أن نسميهم خونة بل هم يتساوون تماما فى هذه التسمية بل وبدرجة أكبر مع أولئك الذين اعتقدوا أن لديهم القوة لكى يدافعوا عن أعز الناس لديهم وهم فى حالة حصار ، ومع ذلك يختارون مسلك التردد الذى لا يجلب أى خطر وذلك بدلا من الشجاعة والكفاح ، وهكذا فانهم يعطون لعدوهم النصر عليهم » .

هكذا تكلم بولاس Paulus ، ثم أعاده مارتينوس ويوليارس من حيث أتى وذلك بوعد أن يتبعاه بسرعة ومرة أخرى نجح فى اختراق البرابرة دون أن يلحظه أحد ثم دخل ميلان فى الليل فرفع من آمال الجنود وجميع الرومان فاشتد عزمهم على تحقيق هدفهم من بقائهم مخلصين للامبراطور .

ومع ذلك فان مارتينوس ورجاله استمروا فى الامتناع عن التحرك وبقوا حيث كانوا وأمضوا وقتا كثيرا بلاطائل نتيجة لترددهم بهذه الطريقة ولكن وفى النهاية ورغبة من مارتينوس لاخلاء مسئوليته كتب الى بليزاريوس بما يلى :

« لقد أرسلتنا الى هنا لكى نمد يد العون الى المتعرضين للخطر فى ميلان ، ولقد أتينا بسرعة كبيرة حسبما طلبت وذلك حتى نهر البو ولكن

الجيش يخشى أن يعبر هذا النهر حيث اننا نسمع أن هناك قوة كبيرة من القوط فى ليجوريا كما وان هناك جمعا غفيرا معهم من البرجنديين[١٩] وأمام جيش كهذا فاننا نعتبر أنفسنا قادرين على القتال فى معركة نهائية وحدنا ، ولكن وجه أمرا الى جون وجوستيناس — وهم فى جواره فى أرض اميليا — بأن يأتيا معا وبأقصى سرعة ممكنة مع فرقهم وذلك لمساعدتنا فى مواجهة هذا الخطر لأننا بذهابنا معا من هنا سوف نكون قادرين على أن نحقق السلامة لأنفسنا وأن نلحق بعض الاصابات بالعدو » . هذا كان ما حواه خطاب مارتينوس .

وعند قراءة الخطاب ، أمر بليزاريوس حنا وجوستينوس بأن ينضموا الى قوات مارتينوس ثم توجهوا وبأقصى سرعة ضد ميلان ، ولكنهم قالوا انهم لن يفعلوا شيئا سوى ما يأمرهم به نارسيس ، ولذلك كتب بليزاريوس أيضا الى نارسيس على الوجه الآتى :

« اعتبر أن جيش الامبراطور بأكمله هو وحدة واحدة وأنه اذا لم يظهر هدفا واحدا — كما يحدث بالنسبة لأعضاء الانسان — ورغب جزء فى التصرف بمعزل عن الأجزاء الأخرى ، فان النتيجة علينا جميعا هى الهلاك تماما وبدون أن نؤدى أى واجب من الواجبات المفروضة علينا ، وكذلك فعلنا بالنسبة لاميليا Aemilia التى لم يكن بها تحصينات أو حامية فلم يكن لها أيضا أية أهمية نهائية بالنسبة للرومان على الأقل فى الوقت الحاضر ، ولكن قمنا بتوجيه الأمر الى حنا وجوستينوس بأن يتوجهوا وبدون أى تأخير مع قوات مارتينوس لمواجهة العدو مباشرة فى ميلان لأنهم قريبون وأقوياء بما فيه الكفاية ويستطيعون قهر البرابرة لأن ما يحدث هو أنى لا أملك جيشا كبير العدد يمكننى ارساله وبصرف

(١٩) البرجنديون احدى القبائل الجرمانية التى غزت أراضى الامبراطورية الرومانية . تعرضوا لضغط قبائل الهون — وبعد تفككهم ظهروا على الحوادث فى النصف الثانى من القرن الثالث متجهين نحو حوض الراين — كانوا أكثر مسالمة — استقروا فى المنطقة الواقعة بين جبال الألب والرون .
عاشور « أوربا العصور الوسطى » ص ١٨ .

النظر عن هذا فاني أعتقد أنه من غير اللائق بالنسبة للجنود أن يذهبوا من هنا ضد ميلان فسوف يستغرقون وقتا طويلا في الرحلة لدرجة أنهم سوف يفشلون في الوصول الى المدينة في اللحظة المناسبة كما وأنهم سوف يصبحون — وبسبب طول الرحلة — عاجزين عن استخدام خيولهم ضد العدو عندما يصلون اليه ولكن اذا ذهب هؤلاء الرجـال مع[20] مارتينوس ويوليباريس Uliaris ضد ميلان ، فسوف يتغلبون على البرابرة هناك على أي احتمال كما سوف يستحوذون على اميليا مرة أخرى وذلك بدون مواجهة أية مقاومة أخرى •

وعندما سلم هذا الخطاب الى نارسيس وقرأه أرسـل الأوامـر بنفسه الى حنا وجوستينوس بأن يتوجهوا مع الجيش الآخر الى ميلان • وبعد ذلك بقليل انطلق حنا نحو الساحل لجلب قوارب من هناك لتمكين الجيش من عبور النهر ، ولكنه توقف عن تلك المهمة وذلك بسبب مرض مفاجئ •

بينما كانت قوات مارتينوس مترددة في شأن عبور النهر ، وبينما كانت قوات حنا ، تنتظر التعليمات من نارسيس ، مضى وقت طـويل بلا طائل واستمر الحصار واستمر ضغطه ، كما وان المحاصرين كانوا يعانون وبصفة زائدة من المجاعة ، وتحت ضغط الحاجة الناتجة عن وضعهم التعس فقد أخذ أغلبهم يأكلون الكلاب والفئران والحيوانات الأخرى مثل تلك التي لم يسبق لبشر أن أكلها ، وهكذا أرسل البرابرة مبعوثين الى منديلاس Mundilas يعرضون تسليم المدينة لهم بشرط أن يبقى هو نفسه والجنود بعيدين عن أي أذى ، ولكن منديلاس وافق على أن يفعل ذلك فقط بشرط الا يكتفوا باعطاء تعهدات بالنسبة لسلامة حامية الرومان ولكن بشرط الا يلحقوا أي أذى بأحد السكان أيضا • وحيث أن

(٢٠) حنا وجستينوس استقروا في المنطقة الواقعة بين جبال الألب والرون •

العدو كان على استعداد لتقديم التعهدات لمنديلاس والجنود بينما كان يتملكه شعور عنيف من الغضب ضد الليجوريين[21] وكان من الواضح أنه عازم على اغتيالهم عن آخرهم فقد دعا منديلاس جميع الجنود وتحدث اليهم قائلا :

« اذا كان قد حدث لرجال من قبلنا كانت لديهم فرصة لانقـاذ أرواحهم مع الفضيحة والعار ثم اختاروا الموت مع ما كانوا يتمتعون به من سمعة متخلين عن سلامتهم العاجلة من أجل نهاية مجيدة لحياتهم ، ان مثل أولئك الرجال أود أن تكونوا هم أنتم في الوقت الحاضر ، غير ملتئين بالرغبة الشديدة في متابعة الحياة حتى ولو كان يشوبها العـار والتي تتنافى أيضا مع ما علمكم بليزاريوس وهو التعليم الذي طالمـا انتفعتم به في الماضي والذي بدونه لا تكونوا شرفاء وشجعانا لأن الرجال عندما يولدون في الحياة فان مصيرا واحدا ينتظرهم جميعا ألا وهو الموت في الوقت المحدد له ، ولكن الرجال يختلفون في الطريقـة التي يموتون بها على الأغلب وذلك من فرد الى آخر ومن هذه الاختلافات يموت الجبناء كما قد يتوقع الواحد منا ، ففي كل حالة يجلبون أولا على أنفسهم الاهانة والسخرية من جانب أعدائهم ، ثم وفي الوقت المحـدد والسابق تعيينه — ينتهي مصيرهم بما لا يزيد عن ذلك ، ولكن بالنسـبة لغالبية الشرفاء فانهم يتقبلون المصير ببسالة ودون التخلي عن سمعتهم الطيبة وبصرف النظر عن هذه الاعتبارات فلو أمكننا أن نصبح عبيدا للبرابرة وفي الوقت نفسه ننقذ أهالي المدينة فهذا على الأقل قد يعطينا بعض الصفح لانقاذ أنفسنا بهذه الطريقة المهينة ، كما وأننا لو رأينا أنفسنا مضطرين بأن نتريث بشأن هذا الجمع الغفير من الرومان الذين يتم ذبحهم على يد العدو — فان هذا الوضع سيكون أشد مرارة على أي شكل من أشكال الموت التي يستطيع الانسان أن يتحدث عنهـا ولذلك

(٢١) سكان ليجوريا بايطاليا Reggio وهم أول شعوب سكنت ايطاليا ويحتلون الساحل الشمالي الغربي •

فيجب علينا أن تبدو وكأننا لا نفعل شيئا سوى مساعدة البرابرة على ارتكاب هذا الفعل الفظيع بينما نكون سادة أنفسنا ونزين الضرورة بالبسالة دعونا نجعل القدر الذى كتب علينا مجيدا وأنى أقول انه ينبغى علينا أن نسلح أنفسنا بأحسن ما يمكن من الأساليب وأن نتقدم نحو العدو عندما لا يكون متوقعا هذا التقدم لأن النتيجة بالنسبة لنا ستكون واحدة من اثنتين : أما أن يكتب لنا الحظ أن تنجح بطريقة ما بحيث نعمل على تحصين ما نأمله فى الوقت الحاضر واما اننا فى حالة تحقيق نهاية سعيدة سوف نحرر أنفسنا من متاعبنا الحالية وبأعظم صيت » •

هكذا تكلم منيدلاس ولكن واحدا من الجنود لم تكن لديه الرغبة فى مواجهة الخطر فسلموا أنفسهم والمدينة وذلك بالشروط التى عرضها العدو وبالفعل لم يقم البرابرة بالحاق الأذى بالجنود ولكنهم وببساطة وضعوهم تحت الحراسة مع منديلاس ولكنهم أبادوا المدينة وجعلوها أنقاضا وأخذوا يقتلون كل الذكور من كل الأعمار بعدد لا يقل عن ثلاثمائة ألف نسمة كما أخذوا النساء كعبيد وقدموهن الى البرجنديين وذلك كمكافأة لهم على تحالفهم معهم وعندما وجدوا ريباراتوس Reparatus حاكم المدينة سليما قطعوا جسده الى قطع صغيرة وألقوا بهذه القطع من لحمه للكلاب ولكن بالنسبة لفيرجينتيتوس Vergentinus (وقد تصادف أن كان بداخل ميلان) فقد هرب وأخذ معه أتباعه الى دالماشيا مرورا بأراضى البنادقة[٢٢] • وكذا بالبلدان الأخرى التى كانت تقع فى ذلك الاقليم ومن هناك توجه الى الامبراطور حاملا الرسالة التى تحكى هذه الكارثة الكبرى التى حلت بالرومان ونتيجة لهذا النجاح فقد استولى القوط على باقى المدن التى كانت تستسلم لهم وهى المدن التى كانت توجد بها حاميات رومانية وكان أن تمت لهم السيطرة على ليجوريا

---

(٢٢) البنادقة سكان مدينة البندقية التى تقع متاخمة بحر الأدرياتيك فى الشمال الشرقى من ايطاليا ، وتعتبر من اكبر موانىء حوض البحر المتوسط . (المترجمة) •

بأكملها — وبالنسبة لمارتينوس ويوليباريس فقد سارا عائدين مع جيشهما نحو روما •

(٢٢)

هكذا كان مسار الأحداث فى ليجوريا ، وأما من جهة بليزاريوس فنظرا لأنه لم يكن قد علم شيئا لما حدث فى ذلك المجال فقد كان يتحرك مع جيشه كله نحو بايسنوم حيث كان الشتاء على وشك الانتهاء ولكنه ما أن علم وهو فى طريق رحلته بما حل بميلان حتى تولاه الحزن بدرجة كبيرة جدا • ولم يسمح بليزاريوس أبدا بمقابلة يوليبارس ولكنه كتب الى الامبراطور بكل ما حدث ومع ذلك فلم يعامل الامبراطور أى شخص بقسوة بسبب ذلك ، ولكنه عندما سمع بالخلاف بين بليزاريوس ونارسيس قام باعادة استدعاء نارسيس على الفور وقام بتعين بليزاريوس قائدا أعلى بالنسبة للحرب بأكملها ؛ وهكذا عاد نارسيس الى بيزنطة ومعه بعض الجنود الجدد ، وعندما سمع الايرولى أن نارسيس سيرحل عن ايطاليا رفضوا أن يبقوا هناك لأكثر من ذلك بالرغم من أن بليزاريوس قد وعدهم بأنهم سوف يحصلون على فوائد كثيرة سواء من ناحيته أو ناحية الامبراطور وذلك اذا ما بقوا ولكنهم حزموا أمتعتهم وانسحبوا جميعا متوجهين أولا الى ليجوريا وباعوا كل العبيد وكل الحيوانات التى كانوا يستصحبونها الى العدو وهكذا حصلوا على مبلغ كبير من المال وأقسموا على ألا يصطفوا بعد ذلك كعبيد ضد القوط أو الدخول فى معركة معهم وهكذا انسحبوا فى سلام ووصلوا الى أرض البنادقة ولكنهم وعند التقائهم مع فيتاليوس Vitalius هناك بدأوا على الفور يندمون على الخطأ الذى ارتكبوه فى حق الامبراطور جستنيان وفى أثناء بحثهم عما يبعد التهمة عن أنفسهم تركوا هناك فيزاندس Visandus أحد قوادهم مع القوات التابعة له وتوجه الباقون الى بيزنطة تحت قيادة

اليوث Aliuth وفيلموث Philemuth وكان الأخير قد تولى القيادة بعد قتل فانتيوس فى كاسـينا[٣٣] •

وعندما سمع فيتجز Vittigis والقوط أن بليزاريوس سوف يهاجمهم فى رافنا مع بداية الربيع ، انتابهم خوف كبير وأخذوا يتشاورون بشأن الوضع الذي يواجهونه ولـمـا أدركوا انهم ليسوا أندادا لعدوهم فى المعركة فقد قرروا بعد مداولات طويلة أن يطلبو المساعدة من بعض البرابرة الآخرين ومع ذلك فعند قيامهم بتنفيذ ذلك الغرض تجنبـوا الألمان[٣٤] حيث كانت لهم خبرة بمكرهم وخلقهم الذى لا يوثق به وكانوا على قناعة كاملة بأنهم لم يأتوا ضد القوط مع بليزاريوس ولكن عليهم أن يقفوا على انفراد بالنسبة للاثنين ولكنهم أرسلوا مبعوثين الى فاكس Voces حاكم لومبارديا[٣٥] عارضين مبالغ كبيرة من المال مع دعوته لتحالف هجومى دفاعى ولكن أولئك المبعوثين عندما علموا بأن فاكس Vaces كان صديقا للامبراطور وحليفا له — عادوا دون أن يحققوا نجاحا ولذلك فقد كان من الطبيعى أن فيتجيز Vittigis سوف يصاب بخسارة فى هذه الظروف وكان يستدعى بصفة ثابتة كثيرا من كبار السن ومنهم حصل على معلومات عن كيفية عمل الخطط والتصرف بما قد يمكنه من أن يحقق أعظم نجاح وبالتالى فقد عرضت آراء كثيرة عن طريق أولئك الذين حضروا المجلس فبعضهم لم يبد ما يتلائم مع الوضع والبعض الآخر قدم اقتراحات تستحق بعض الاهتمام •

---

(٢٣) فصل ١٩ — ٢٠ •

(٢٤) الالمان او الالماني : احد القبائل الجرمانية التى هاجمت الامبراطورية من الدور الاول لهجرتهم وكان لهم دور كبير فى تاريخ اوربا العصور الوسطى • (المترجمة)

(٢٥) اللومبارديون احد الشعوب الجرمانية التى تحالفت مع قبيلة الافار الاسيوية وقاموا بتدمير مملكة الجبيداى التى استوطنت حوض الدانوب ثم حلوا محل القوط الشرقيين فى ايطاليا • حتى دانت مملكتهم فيما بعد لشارلمان ملك الفرنجة • (المترجمة) • انظر :

Vasiliev (op-cit), p. 172, Burry (op-cit) vol II, pp. 160-166.

وكان من بين هذه الاقتراحات هذه الفكرة التى أثارت الاهتمام وهى أن الامبراطور الرومانى لم يكن قادرا أبدا وبشكل ظاهر — على أن يشن حربا على البرابرة فى الغرب قبل أن يعقد المعاهدة مع الفـرس لأن الوندال[٣٦] والمغاربة كان قد تم تدميرهما فى ذلك الحين وأن القوط قد عانوا الكثير من الشدائد المعاصرة ونتيجة لذلك اذا ما تراءى لأحد أن يثير عداوة ملك الميديين ضد الامبرطور جستنيان فان الرومان سوف لا يكونون قادرين فيما بعد — عندما يتصادف وتستفز تلك الدولة فتدخل فى حرب ضدهم — على أن يستمروا فى حرب أخرى ضد أى شعب آخر فى العالم ، وقد أدخل هذا الاقتراح السرور على فيتيجز نفسه وعلى غيره من القوط •

ولذلك فقد تقرر فورا ارسال مبعوثين[٣٧] الى خسرو ملك فارس على ألا يكونا من القوط وذلك حتى لا تضيع شخصيتهما لأول وهلة وتصبح المفاوضات عديمة الجدوى لأن الرومان هم الذين كانوا سببا فى جعل خسرو عدوا للامبراطور جستنيان ونتيجة لذلك فقد رشوا اثنين من قساوسة ليجوريا بمبالغ كبيرة من المال ليقوما بهذه المهمة وتولى أحدهما — وكان يبدو عليه أنه أكثر جدارة — البعثة متخذا الهيئة والشكل الخاص بالمطران — الذى لم يكن ينتمى اليه على الاطلاق — بينما اتبعه الآخر بصفته ملحقا مساعدا كما عهد اليهما فيتجيز بخطاب مكتوب وموجـه الى خسرو ثم جعلهما ينطلقان فى طريقهما ، وفيما يتعلق بخسرو ، فانه تحت تأثير هذا الخطاب ارتكب أفعالا انتهك فيها حرمات الرومان فى

---

(٢٦) الوندال شعب جرمانى هاجم غالة ثم طردهم القوط الغربيون الى اسبانيا ثم عبروا البحر الابيض الى الشمال الافريقى • وتحت زعامة ملكهم جزريك • هزمهم بليزاريوس وقضى عليهم نهائيا • (المترجمة)

(٢٧) هو خسرو انوشيروان كسرى فارس ، كان حاكما ذكيا وقويا • وقد تمتع ابوه ايضا بسمعة كبيرة — وبعد أن سئم الحروب مع البيزنطيين عقد معهم صلحا عام ٥٦١ — ٥٦٢م لمدة خمسين عاما •

Vasiliev (op-cit) p. 139.

وقت السلم كما سبق أن ذكرت فى السرد السابق وعندما سمع الامبراطور جستنيان بأن خسرو والفرس كانوا يخططون لهذه النهاية قرر أن يضع نهاية للحرب فى المغرب وذلك بأسرع ما يمكن وأن يستدعى بليزاريوس ليتولى الميدان ضد الفرس وعلى ذلك فقد قام على الفور بصرف مبعوثى فيتيجيز (حيث تصــادف وكانا متواجدين فى بيزنطة) وأعطى الوعد بأن الرجال سوف يرسلون بمعرفته الى رافنا ليضعوا الترتيبات لمعاهدة مع القوط بشكل يعود على الجانبين مستقبلا بالخير ، ولكن بليزاريوس لم يطلق سراح هذين المبعوثين الى العــدو حتى يتم فى المقابل اطلاق سراح بعثة أثناسيوس وبطرس[٢٨] وعند وصول هذين الرجلــين الى بيزنطة اعتبرهم الامبراطر مستحقــين لاعظم مراتب الشرف فعــين أثناسيوس الرئيس الأعلى للحكام فى ايطاليا كما اعطى بطرس لقب (الماجستر Magister)[٢٩] .

بدأ الشتاء فى الانحسار وانتهت السنة الرابعة فى حرب ٥٣٩ بعد الميلاد ، التاريخ الذى كتبه بروكوبيوس .

(٢٣)

أراد بليزاريوس أولا أن يستولى على أوكزيماس Auximus وبعد ذلك يسير ضد فيتجز Vittigis ورافينا حتى لا يستطيع أحد من الأعداء أن يقاوم تقدمه أو يناوش مؤخرته وعلى ذلك أرســل سبيريان Cyprian وجوستينس مع رجالهما مع بعض الايزوريين الى فسيولا[٣٠] هم وخمسمائة من جنود المشاة من الفصيلة العسكرية التى يقودها ديمتريوس وقد عسكروا عند الحصن وبدأوا حصارا لحامية البرابرة وأما هارتينوس وحنا ومعهما فرقة وجيش آخر يقوده حنا ،

(٢٨) الكتــاب ٥ ــ ٢٥ .

(٢٩) لقب عسكرى لا رتبة .

(٣٠) فسيولا ، فيزول الحديثة . Fiesole فى ايطاليا .

كانوا يطلقون عليه الشرهيين وقد سبق وأن أرسلوا الى البلاد بطريق نهر « البو » هؤلاء الضباط قد أمرهم بأن يحصروا اهتماماتهم فى الا يجعلوا أرياس وقواته يتقدمون من ميلان ضد جيشه واذا ما كانوا غير قادرين على صد هجوم العدو فعليهم أن يتبعوه سرا من الخلف ويقوموا بالاغارة على مؤخرته ، وعلى ذلك اتخذوا موقعا فى دورتون وهى[٣١] مدينة غير مسورة كانت تقع على النهر ، أقاموا معسكرهم ثم انتظروا هناك بينما ذهب بليزاريوس نفسه الى مدينة أوكزيماس مع أحد عشر الف رجلا وهى أول مدينــة فى بيسنام Picenum تتخذ كعاصمة (مدينة أم) وذلك حسبما كان الرومان معتادين على تسميتها بذلك ، وهى على بعد نحو أربعة وثمانين ستيد[٣٢] من شــاطىء الخليج الأيونى وعلى بعد رحلة ثلاثة أيام وثمانية ستيد من مدينة رافنا ، وهى تقع على تل عال وليس لها مدخل على الاطلاق على مستوى الأرض ، ولهذا السبب فهى صعبة المنال على أى عدو ، وفى تلك المدينــة جمع فتيجز جميع الفرق المميزة من بين القوط ووضعهم هناك فى تنظيم على شكل حامية ظنا منه أن الرومــان مالم يستولوا على هذه المدينة أولا ، فلن تواتيهم الجرأة أبدا على التوجه ضد رافنــا .

عندما وصل الجيش الرومانى الى أوكزيماس أمر بليزاريوس أفراده جميعا بأن يعسكروا على شكل دائرة عند قاعدة التل ، وعلى ذلك اتخذوا اماكنهم على شكل جماعات واخذوا فى نصب خيامهم فى أماكن متفرقة على شكل خط وأما القوط كانوا يلاحظون أن أفراد العدو ما زالوا بعيدين بعضهم عن البعض ولم يكن فى استطاعتهم بسهولة مساعدة كل منهم الآخر حيث كانوا فى ســهل كبير ، تقدموا فجأة نحوهم فى بدايــة المساء على الجانب الشرقى من المدينة حيث تصادف أن كان بليزاريوس مشغولا فى اقامة المعسكر هو وتابعوه من قاذفى الرماح والحراس ،

(٣١) ديروتونا ، تورتونا الحديثة . Tortona فى ايطاليا .

(٣٢) نحو ٨١ ميل انجليزى ــ الكتاب ٣ ــ ١٧ .

فامتشق الرومان سلاحهم وأخذا يدافعون عن أنفسهم ضد مهاجميهم بقدر ما كانت تسمح به الظروف المحيطة بهم ، وبفضل بسالتهم أجبروهم على الارتداد بكل سهولة وألحقوا بهم الهزيمة وبمتابعتهم وهم يفرون وصلوا الى منتصف التل ، وهناك أعاد البرابرة الكرة عليهم وبثقة فى قوة مركزهم توقفوا أمام مطارديهم وحيث انهم كانوا يطلقون السهام من أعلى فقد أصابوا الكثير منهم فى مقتلهم حتى أتى الليل ووضع حدا للقتال وهكذا فان الجيشين انفصلا عن بعضهما واستسلما فى تلك الليلة ، ولكن حدث فى ذلك وقبل هذه المواجهة أن بعض القوط قد تم ارسالهم الى البلد المجاور فى الصباح الباكر وذلك بغرض جمع امدادات هؤلاء — وهم لا يعلمون شيئا عن تواجد العدو عادوا فى الليل وعند رؤيتهم لهذا الموقف ولمشاغل الرومان انتابتهم دهشة وفزع كبيرين فحدث أن كثير منهم استجمعوا شجاعتهم وخاطروا بدخول أوكزيماس متحاشين مراقبة العدو ولكن الذين غلبهم الرعب وكانوا كثرة أيضا اختبأوا فى مجموعات الاشجار التى كانت مناسبة لذلك بنية التقدم نحو رافقا كل هؤلاء سقطوا فيما بعد بين الأيدى المعادية وكان نصيبهم الفناء • وأما فيما يتعلق ببليزاريوس فعندما رأى أن أوكزيماس كانت قوية بدرجة زائدة وفى مكان آمن بالنسبة لها وأنه من غير الممكن أن يقوم بهجوم على تحصيناتهم رأى أنه لن يستطيع ابدا الاستيلاء على المكان عنوة وراوده الامل فى أن حصارا محكما سيضطر اليه العدو نتيجة لقطع الامدادات الغذائية عنه الى ان يسقط بين يدية بمرور الوقت •

وعلى مقربة من التحصينات حيث كانت الأرض مغطاه بوفرة من الحشائش النامية فكان هذا الوضع يقرب من المواجهة بين الرومان والقوط ففى كل مرة يرى الرومان خصومهم يقطعون الحشائش لاطعام خيولهم وكانوا يرتقون التل باندفاع كبير وعند وصولهم الى مكان العدو كانو يدخلون معه فى معركة وبابدائهم بسالة فى تحركاتهم كانوا يحاولون منعهم من اقتلاع الحشائش كما كانوا يقضون على كثير من

القوط بذبحهم فى ذلك المكان ولما رأى القوط انهم ند غير متكافىء امام عدوهم فى الجرأة والشجاعة فقد أعدوا الخطة التالية : قاموا بنقل العجلات مع الدناجل من العربات وأقاموها فى وضع استعداد وعندما شرعوا فى قطع الحشائش وبمجرد أن رأوا الرومان يرتقون التل ويصلون الى منتصفه حتى أطلقا العجلات من أعلى لتندفع فوق رؤوسهم ولكن بطريق الصدفة حدث أن هذه العجلات سقطت فى كل اتجاه على الأرض المستوية دون أن تمس رجلا واحدا ومنذ أن فشلوا فى تلك المحاولة أخذ البرابرة فى الفرار واختبأوا داخل تحصيناتهم ولكنهم بعد ذلك تنبؤوا بالفكرة التالية ، فبعد ملء الخنادق الملاصقة للتحصينات بكمائن من الرجال يظهر بعض الجنود أنفسهم للعدو بالقرب من الحشائش وعندما توشك المعركة على الانتهاء يقفز هؤلاء المختبئون فى الكمائن ولكونهم أكثر عددا من خصومهم ينشرون الفزع فيهم وذلك بسبب عدم رؤية غاراتهم من قبل فيمكنهم بذلك قتل أعداد كبيرة منهم واجبار الباقين منهم على الفرار وهذا ما حدث وبالرغم من أن الرومان الذين لزموا مواقعهم فى المعسكرات قد رأوا العدو يقفز من الكمائن وحاولوا بصيحات كثيرة استدعاء رفاقهم للعودة فانهم فشلوا فى ذلك تماما وذلك بسبب عدم قدرة هؤلاء على سماع استدعائهم وهم يقاتلون وأيضا لانهم وفى المقام الأول كانوا منفصلين عنهم بمسافة ممتده على جانب التل ولأن البرابرة فى المقام الثانى كانوا يتعمدون دائما احداث ضجيج يغطى أصواتهم بضرب اسلحتهم بعضها ببعض •

وعندما وقع بليزاريوس فى حيرة بسبب هذا الموقف فان بروكوبيوس الذى كتب هذا التاريخ أتى امامى قائلا أيها القائد ، ان الرجال الذين نفخوا فى الأبواق فى الماضى قد عرفوا نفختين مختلفتين ، احداهما ربما لا تخطىء تحث الجنود وبدفعهم للدخول فى المعارك ، بينما تدعو الأخرى الرجال الذين يقاتلون للعودة الى المعسكر وذلك حسبما يرى القائد أيهما أفضل وبهذه الطريقة يستطيع القواد اعطاء الأوامر المناسبة للجنود وهؤلاء من جهتهم كانوا قادرين على تنفيذ

الأوامر الصادرة اليهم ففى أثناء القتال الفعلى لا يستطيع الصوت البشرى أن يعطى أية تعليمات واضحة حيث انه من الواضح انها تختلط بأصوات الأسلحة وهى تتصادم مع البعض من كل جانب حتى ان الحواس تصاب بما يشبه الشلل من ذلك القتال ولكن بما أننا نفتقر فى أيامنا هذه لمثل هذه المهارات بسبب الجهل كما وانه من غير الممكن التعبير عن كلا الامرين بتنفيذ واحد فيمكنكم اتباع المنهج الاتى ذكره فيما بعد — فبواسطة أبواق السوارى (الفرسان) يحث الجنود على الاستمرار فى قتال العدو وبواسطة أبواق المشاة يستدعى الرجال للانسحاب فمن غير المستطاع بالنسبة لهم أن يفشلوا فى التمييز بين صوت هذا وصوت ذاك ، ففى أحدهما يأتى الصوت خارجا من جلد وخشب رفيع بينما الآخر يأتى خارجا من نحاس نوعا ما هكذا تحدث بروكوبيوس .

ولقد سر بليزاريوس بالاقتراح ثم جمع كل أفراد الجيش وتحدث اليهم على الوجه الآتى : « انى اعتبر الحماس عملا نافعا ويستوجب الثناء تماما ولكن طالما كان من نوع معتدل ولا يلحق ضررا بمن يستحوذ عليه لأن كل شىء طيب اذا ما زاد عن حده فانه ينقلب الى ضده ، ولذلك ففى اللحظة الراهنة لا تدعوا الحماس للمعركة يسبب لكم الفشل فى ادراك النجاح لأن تجنب ما يلحق بكم الخسارة كما تعلمون بالتأكيد — ليس بعار ولكن الذى يعرض نفسه بدون تبصر للمتاعب التى يراها بعينيه ثم عندما تحدث يهرب منها وهو قانع بحماقته وأما الرجل النبيل حقا فهو الذى يؤدى دور الرجل الشجاع وهو يواجه الأخطار التى لا يستطيع تجنبها . والآن فحيث ان البرابرة غير قادرين على الدخول فى معركة مصيرية معنا على الملا فهم يحاولون اقناعنا بنصب الفخاخ ومن ناحيتنا فالامر يصبح أكثر لوما لنا اذا ما واجهنا الخطر عما اذا تفادينا الكمين الذى وضعوه لنا فليس أكثر عارا من ان تدحرنا خطط العدو وبالتالى فما زلت ارى الأمر على انكم يجب أن تحذروا جميع كمائن العدو وسوف يكون واجبكم وبمجرد أن أعطى الاشارة أن ترتدوا

وبكل سرعة سوف تعطى هذه الاشارة — ايها الجنود بواسطة المشاة » هكذا تحدث بليزاريوس .

وأما من جهة الجنود فعندما راوا العدو قريبا من الحشائش قاموا بهجوم عليه وقتلوا عددا قليلا من افراده فى أول اكتساح لهم ، وقد رأوا أحد المغاربة بين القوط مزينا بصفة خاصة بالذهب معصبا شعر رأسه فبدأ فى سحب الجثة خلفه وذلك حتى يجردها مما بها ولكن بعض القوط رشقوه بنبلة رشقة محظوظة فقد مر السهم من بين رجليه مخترقا العضلات خلف القصبة[٣٣] مما نتج عنه ان الرجلين الاثنين ربطا ببعضهما بالنبلة ومع ذلك فانه استمر فى قبضته على شعر الجثة وجرها وعند هذا الحد فان البرابرة اثاروا رجالهم من الكمين وعندما رأى بليزاريوس من معسكره ما حدث أمر الجنود الذين لا يغادرون اماكنهم بحكم واجبهم المحدد لهم أن ينفخوا فى الأبواق بسرعة وعندما سمع الرومان النفخ بدأوا على الفور فى الانسحاب تدريجيا حاملين معهم المغربى مع النبلة واما القوط فلم يجرأوا على ملاحقتهم اكثر من ذلك فعادوا دون ان يحققوا نجاحا .

(٢٤)

ومضى الوقت ورأى البرابرة ان تموينهم من الطعام أخذ فى النقصان بدرجة كبيرة فرأوا ان يخطروا فيتيجز Vittigiz بالموقف ولما لم يجرؤ أحدا منهم على ان ينطلق لاداء هذه المهمة لانهم اعتقدوا انهم لن يستطيعوا الافلات من محاصريهم ابدا) فقد اعدوا الخطة التالية : — فأولا وضعوا الرجال الذين اعتادوا على ايفادهم الى فيتجز فى وضع استعداد ثم انتظروا لحين حلول ليلة بلا قمر ، فلما جاءت مثل هذه الليلة وضعوا خطايا فى ايديهم عندما جن الليل ثم صاحوا جميعا

---

(٣٣) السمانة فى الرجلين .

صيحة قوية فى اجزاء عديدة من الحائط الدائرى ممـــا يجعل المستمع يعتقد انهم قد أصابهم ارتباك نتيجة هجمة شرسة من العدو أو حصار غير متوقع للمدينة وكان الرومان غير قادرين على ادراك ما كان يحدث وبناء على رغبة بليزاريوس ، فقد بقوا فى هدوء ملازمين لمعسكراتهم وهم فى شك من أن هناك مكيدة تدبرلهم من المدينة وأن جيشا سيقدم من رافينا لتقديم المساعدة للعدو لملاقاتهم وعندما انتابتهم هذه المخاوف رأوا أنه من الأفضل لهم أن يبقوا فى هدوء وفى وضـــع آمن وهكذا ينقذون أنفسهم أكثر ممـــا لو ذهبوا فى ليلة مظلمة ليواجهوا خطـــرا لا يستطيعون التنبوء به ولذلك بمثل هذه الطريقة أخفى البرابرة خطتهم عن العدو وأوفدوا الرجال فى طريقهم الى رافينا دون أن يراهم أحد من العدو حضروا أمام فيتيجز فى اليوم الثالث وأظهروا الخطاب وكانت محتوياته على الوجه الاتى (عندما عينيتنا أيها الملك ، لحامية أوكزيماس قلت أنك وضعت فى أيدينا مفاتيح رافينا نفسها ومفاتيح مملكتكم ولهذا السبب فقد عهدت الينا بحراستها بكل ذرة من كياننا وبأنه لا ينبغى علينا بأى شكل من الاشكال ان نخون قوة القوط باعطائها للعدو كمـــا أعلنتم أننا لو كنا فى حاجة الى مساعدتكم فسوف تلبون النداء بكافة الجيش حتى وقبل أن يعلن أى رســـول قدومكم ومن جهتنا فاننا حتى الوقت الحاضر ولو أننا نقاتل كلا من المجاعة التى نعيشها وبليزاريوس فقد برهنا على أننا حراس مخلصون لمملكتكم ولكنكم رأيتم أنـــه من المناسب عدم مساعدتنا بأى شكل ولذلك فيجب أن تأخذوا فى اعتباركم حتى لو لم يستطع الرومان حصار أوكزيماس والاستيلاء على المفاتيح التى لا تلقون بالا اليها وهى ملقاه هنا والتى بموجب ذلك سوف تؤخذ منكم مستقبلا ولا تصبح فى حوزتكم) كان هذا هو مضمون الخطاب .

وعندما تسلم فيتيجز Vittigiz الخطاب وقرأه أرسل الرجال على التو عائدين بوعد أنه سوف سيرسل نجدة الى أوكزيماس من جيش القوط بأكمله ولكنه فيما بعد استمر بعد تفكير طويل فى الأمر أصبح فى حيرة لأن فرق حنا من جهة قد تتبع مؤخرته وهكذا يتعرض للهجوم

من جانبين ومن جهة اخرى اعتقد ان بليزاريوس يمتلك قوة كبيرة من الرجال ذوى الكفاءة القتالية ونتيجة لذلك فقد انتابه نوع من الخوف الذى يبعث على اليأس ولكن من بين الأسباب الكثيرة التى كانت تدعوه للقلق كانت المجاعة وهى مصدر الازعاج الاكبر حيث لم يكن عند مصدر يستطيع به ان يزود جيشه بالامدادات واما من جهة الرومان فبما انهم كانوا سادة البحار وفى قبضتهم الحصن فى أنكونا[٣٤] فقد أحضروا كافة تموينااتهم من صقلية وكالابريا وقاموا بتخزينها فى ذلك المكان وفى الوقت الملائم احضروها بسهولة من هناك واما القوط من جهة أخرى فلذا ساروا الى أرض بايسنام فسوف لا يجدون وسيلة لتأمين امداداتهم هذا ما تحقق منه بالكامل ولذا فقد وجد نفسه ضائعا بالكامل وهكذا فلن الرجال الذين سبق أن ارسلوا مؤخرا الى فيتيجز Vittigiz من أوكزيماس ابلغوا المدينة بوعده وذلك دون ان يكتشفهم العدو وهكذا امدا البرابرة بآمال كبيرة عندما سمع بليزاريوس ذلك من الفارين من الخدمة أمر ان يحتفظ بحارس ملازم للمكان وذلك حتى لا يحدث ذلك مرة أخرى هكذا كان مسار تلك الاحداث .

وفى أثناء ذلك فان الفرق التابعة لسبريان وجوستينوس التى كانت تحاصر فيسولا كانت غير قادرة تماما على شن هجوم على التحصينات أو حتى على الأقتراب منها فهذه الحامية كان يصعب الدخول اليها من أى جانب ولكن البرابرة قاموا بعدة هجمات متوالية عليهم حيث كانوا يريدون الوصول الى قرار عن طريق معركة مع الرومان أكثر مما يريدون الضغط عليهم بقوة عن طريق النقص فى الامدادات ولقد كان الالتحام فى مبدأ الامر لا يدل على سجال بين الفريقين ولكن بعد مرور الوقت فان الرومان وقد أصـــبحت لهم الأفضلية حصروا افراد العدو داخل أسوارهم واستمروا فى التحفظ عليهم بكل الحرص ذلك حتى لا يتسنى

---

(٣٤) تقع انكونا فى وسط ايطاليا وهى ميناء تجارى هام .
Setton « op. cit., » p. 629.

لأحد أن يغادر المدينة وهكذا فعندما رأى البرابرة أن امداداتهم تتناقص ووجدوا أنفسهم فى وضع يبعث على اليأس أرسلوا فيتيجز بدون علم عدوهم يرجونه ارسال مساعدة لهم بأقصى سرعة ذلك على أساس أنهم لن يستطيعوا الصمود مدة طويلة ، فامر فيتيجز يورياس بأن يتوجه الى تيسينم[٣٥] مع الجيش الى ليجوريا لانه اعلن بعد ذلك انه سوف يأتى بنفسه لمساعدة المحاصرين مع الجيش القوطى باكمله واما يورياس وهو يتصرف طبقا لذلك حرك الجيش الذى كان تابعا له وتوجه الى تيسينم وبعبوره نهر البو أصبح قريبا من معسكر الرومان[٣٦] — وهناك عسكر هو وجنده أيضا ووضعوا انفسهم فى موقع مواجهة للعدو وذلك على مسافة ستين ستيد منه ولم يقم أحد الفريقين بهجوم على الأخر فمن الاخر فمن جهة الرومان فقد اعتبروا الأمر كافيا لو سدوا الطريق على عدوهم بحيث لا يمكنه التقدم فى الجيش المحاصر ومن جهة البرابرة فقد كانوا ممتنعين عن الدخول فى معركة حاسمة مع عدوهم فى ذلك المكان على اساس لو فشلوا فى هذا الالتحام فسوف يقضين على كل التنظيم الخاص بالقوط وفى تلك الحالة لن يستطيعوا أن ينضموا الى فيتيجز والفرق التابعة له لتقديم العون للمحاصرين وهكذا فان كلا الفريقين أستمر فى البقاء فى هدوء .

(٢٥)

وفى ذلك الوقت فان الفرنجة وقد سمعوا أن القوط والرومان قد عانوا الكثير بسبب الحرب ولهذا السبب فكروا فى أنهم قد يستطيعون وبكل سهولة أخذ الجزء الأكبر من ايطاليا لأنفسهم على أساس أنه من غير المعقول أن الاخرين سوف يستمرون فى الحرب لمدة طويلة من الزمن بغرض حكم البلاد التى كانت على مقربة من بلادهم بينما هم أنفسهم

(٣٥) بافيا الحديثة Pavia

(٣٦) عند دورثون Dorthon

سيبقون فى هدوء ويتخذون موقفا محايدا من الجانبين وهكذا فانهم وقد نسوا تعهداتهم التى أقسموا عليها والمواثيق التى أبرموها من قبل مع كل من الرومان والقوط (لأن هذا الشعب فى موضوع الثقة هو الأكثر نكثا للوعود فى العالم كله) تجمعوا على الفور نحو مائة ألف تحت قيادة ثوديبرت Theudibert وساروا فى اتجاه ايطاليا ولم تكن لهم من السوارى (الفرسان) سوى فرقة صغيرة تحيط بالقائد وكانت هذه هى الوحيدة التى تملك سلاحا من الرماح بينما كان باقى الجيش عبارة عن مشاه لا يملكون لا قوسا ولا رمحا ولكن كل رجل كان يحمل سيفا ودرعا وبلطة كان الرأس الحديدى لهذا السلاح سميكا وحادا لدرجة كبيرة من جهتين بينما كانت اليد الخشبية له قصيرة جدا وكانوا معتادين على قذف هذه البلط عند اشارة معينة فى الهجوم الأول وهكذا يحطمون دروع أفراد العدو ويقتلون رجاله .

وهكذا عبر الفرنجة جبال الألب التى تفصل بين الغال وبين الايطاليين ودخلوا ليجوريا[٣٧] ولما كان القوط قد اغتاظوا من قبل لنكران الفرنجة للجميل وذلك على أساس انه برغم أن القوط طالما وعدوهم بأن يعطوهم اقليما كبيرا وكذا مبالغ كبيرة وذلك مقابل قبولهم التحالف معهم فهؤلاء الفرنجة لم تكن لديهم الرغبة فى الوفاء بوعدهم بأى شكل فاما سمعوا بأن ثوديبرت أصبح قريبا منهم مع جيش كبير العدد ملأهم الفرح وراودتهم الآمال الكبار أنهم سيكون لهم فيما بعد التفوق على عدوهم وبدون معركة وأما بالنسبة للجرمان فطالما[٣٨] كانا فى ليجوريا فلن يلحقوا الأذى بالقوط وذلك حتى لا يحاول هؤلاء ايقافهم عند عبور البو ونتيجة لذلك فعندما وصلوا الى مدينة تيسينم — حيث بنى الرومان القدامى معبرا فوق هذا النهر — فقد منحوا الذين كانوا يتولون

(٣٧) يقدم بروكوبيوس ليجوريا على انها شمال البو — كتاب ٥ الفقرة ٢٥ .

(٣٨) ان كلمة (الجرمان) فى استخدام بروكوبيوس لها تعنى شعب الفرنجة .

ولما كانت الأرض مجردة من السكان فقد كانوا عاجزين عن الحصول على تموينات أخرى فيما عدا الماشية ومياه البو ومع ذلك فقد كانوا غير قادرين على هضم هذه النوعية من اللحم وذلك بسبب الكمية الهائلة من الماء التى شربوها وبالتالى فان اغلبهم أصيب بالاسهال — والدوسنتاريا اللذين كانوا عاجزين تماما عن الشفاء منهما بسبب النقص فى الطعام الكامل وبالنقص ان ذلك الجيش الفرنجى قد هلك بهذا الشكل وحيث ان الأمر قد أصبح كذلك فقد كانوا غير قادرين على المضى قدما فبادوا حيث هم .

(٤٢)

وعندما سمع بليزاريوس أن جيشا من الفرنج فى ايطاليا وأن قوات مارتينوس وجنا قد هزمتا فى المعركة وانها قد غدت هاربة فقد انتابته حالة من الحيرة والارتباك لا من جهة الجيش بأكمله فحسب بل على وجه خاص من جهة الفصيلة العسكرية التى تتولى محاصرة فسيولا حيث علم أن هؤلاء البرابرة أصبحوا على مقربة منها أكثر من أى جيش اخر وعلى ذلك فقد قام على الفور بالكتابة الى ثوديبيرت على الوجه الآتى : ان اعتبر الأمر مشينا على أى حال أيها النبيل ثوديبيرت بشأن رجل يطالب بالامتياز ويفشل فى أن يكون صادق الوعد خاصة وهو يشغل منصب الحاكم مثل سيادتكم لشعوب ذات أعداد غفيرة فينكث بوعود أقسم عليها وتم تدوينها كتابة ولا يعنا بالمواثيق أن هذا الوضع لن يكون سليما حتى بالنسبة لأكثر الرجال دناءة ومع ذلك فان تلك هذه الاساءات قد ارتكبت ثلاث مرات فى الوقت الحاضر وكما تعلمون سيادتكم فبالرغم من أنكم لم توافقوا أخيرا على مساعدتنا فى هذه الحرب ضد القوط فان الأمور كما تتضح الآن وبعيدا عن علاقة سيادتكم قد دفعتم بالفعل الاسلحة بهذه الطريقة المتهورة وقمتم بهجوم علينا يا صديقى العالى المركز لانتعادى على الأقل فى هذا المنهج وان الامر عندما يتعلق بإهانة امبراطور عظيم لم يتخاذل بالتأكيد عن الاهانة أو يخشى فى ان يجعل المسيئين اليه يدفعون الثمن مما يملكون لذلك فان أفضل نهج لكل رجل

الحراسة كل شجاعة وسحروا لهم بعبور البو بدون أى ضرر ولكن عندما أصبح لهم التحكم فى المعبر بدأ الفرنجة يضحون نساء وأطفال القوط الذين صادفوهم والقوا بأجسادهم فى النهر وذلك كأول ثمرة من ثمار الحرب ومن جهة هؤلاء البرابرة بالرغم من انهم قد أصبحوا مسيحيين فقد احتفظا بالجزء الأكبر من عقيدتهم القديمة فكانوا على عاداتهم بالتضحيات البشرية والتضحيات الأخرى من اية طبيعة غير مقدسة ومن هذا المنطلق يجرون تنبؤاتهم وعندما رأى القوط ما حدث وانتابهم خوف لا يقاوم وعزفوا عن القتال ودخلوا الحصون .

وهكذا فبعد أن عبر الجرمان البو تقدموا نحو المعسكر القوطى وكان القوط فى بادىء الأمر مسرورين لرؤيتهم قادمين فى مجموعات صغيرة نحو معسكرهم معتقدين ان هؤلاء الرجال انما جاءوا ليقاتلوا معهم بحكم التحالف ولكن عندما حضرت جمهرة كبيرة من الجرمان ودخلوا معهم فى معركة ولكن ما أن بدأ الجرمان يذبحون الكثير منهم بقذفهم بالبلط حتى استدار القوط واندفعوا هاربين وبمرورهم عبر المعسكر الرومانى اخذوا يهرعون فى الطريق الى رافينا وعندما رآهم الرومان وهم يولون الأدبار اعتقدوا أن بليزاريوس قد جاء ليعضد قوتهم الخاصة وانه قد استحوذ على معسكر العدو وأزاحهم عنه بعد ان هزمهم فى معركة ورغبة من الرومان فى اللحاق بقواته فقد أخذوا أسلحتهم واندفعوا بأقصى سرعة وعندما واجهوا جيشا معاديا على غير ما كانوا يتوقعون فقد أصبح لزاما عليهم وعلى غير ارادتهم أن يلتحموا معه ونظرا لكونهم الطرف الأسوأ فى المعركة فقد فروا جميعا ليس الى معسكرهم الذى كان من المستحيل عليهم العودة اليه بل الى توسكانيا وما ان وصلوا اخيرا بأمان أرسلوا الى بليزاريوس من يبلغه بكل ما أصابهم .

وأما الفرنجة فبعد ان الحقوا الهزيمة بالجيشين على النحو المذكور واستحوذوا على معسكريهما دون أن يجدوا رجلا واحدا فيهما بل مجرد تموينات ولكنهم استهلكوا هذا فى وقت قصير بالنظر الى عددهم الكبير

هو ان يحتفظ بما يملكه فى امان ولا يتطلع الى ممتلكات الاخرين • والا يورط نفسه فى خطر يمس اثمن مصالحه الحيوية » •

وعندما قرأ توديبيرت هذا الخطاب انتابته الحـيرة والارتباك • بالفعل بسبب وضعه القائم وتعنيفه بواسطة الجرمان حيث انهم على ما يقولون كانوا يموتون فى ارض مهجورة دون اى داع لذلك فقام بحل المعسكر مع من تخلف من الفرنجة وارتد عائدا الى بلده باقصى سرعة

(٢٦)

وهكذا فعل توديبيرت بعد السير نحو ايطاليا ، فعمد الى الرحيل وعادت فرق مارتينوس وحنا وذلك بالرغم من تغير الوضع وذلك حتى لا يتمكن العدو من القيام بأى هجوم على الرومان المتورطين فى الحصار[٣٩] وأما القوط فى أوكزيماس والذين لم يكن لديهم علم بمقدم الفرنجة — فقد بدأ اليأس يتملكهم من جهة الأمل رافينا التى تأجلت وقتا طويلا ، وأخذوا يتشاورون بشأن الكتابة مرة أخرى الى فيتيجز Vittigis ملتمسين منه العون ولكن رأوا انفسهم عاجزين عن التهرب من حراس العدو فقد ملأهم الغم والأسى ولكنهم فيما بعد وقع بصرهم على أحد الرومان كـان من جنس البيسى Besi ويدعى بورسـيـنتياس Burcentius وسـبق أن خصص لقيـاده نارسـيس الأرمنى — ولاحظوا أنه كان يتولى الحراسة بمفرده فى مرتصف النهار وأن أحدا لن يخرج من المدينة لأخذ الحشائش فاقتربوا منه وحيوه على أن يحضر لمقابلتهم واعدين اياه بأنه سوف يتسلم منهم مبلغا كبيرا من المال فلما أصبح فى حضرتهم توسلوا اليـه أن يحمل خطابا معينا الى رافينـا محدوين له مبلغا من الذهب يدفع له على الفور وواعدين اياه باعطائه اكثر منه عندما يعود اليهم حاملا خطابا معـه من فيتيجز فلم يسـع الجبيداى وقد غلبه حب المال سوى أن يقبل أداء هذه الخدمة ثم قام

(٣٩) مند فـسـيولا Fisula .

بتنفيذ وعده فتسلم خطابا مختوما حمله معه بأقصى سرعة الى رافنـا حيث قابل فيتيجز وسلمه الخطـاب وكانت الرسالة المرسـلة هى على الوجه الآتى :

« ان الموقف الذى نجد أنفسنا فيه الآن سوف يتم توضيحه لكم عندما تستعلم عن هوية حامل هذا الخطاب فلا يوجد أحد من القوط يستطيع أن يجد طريقا الى خارج التحصينات ومن جهة الطعام فـان اغلب التموين المتاح منه لنا هو الحشائش التى تنمو بجوار الحائط وحتى هذه لا نستطيع ان نلمسها فى الوقت الحاضر الا اذا فقدنا الكثير من الرجال فى الكفاح من اجل الحصول عليها ولا يعلم احد من القوط فى رافينا أى مصير سوف ننتهى اليه » •

وعندما سمع فيتيجز ذلك قام بالرد على الوجه الآتى :

« لا تدعوا أحدا يعتقد اننا قد توقفنا عن جهودنا يا أعز الرجال أو اصبحنا بهذه الدرجـة من الدناءة بحيث نتخلى كليه عن التنظيم الخاص بالقوط بلا مبالاة ومن جهتى فان الاستعدادات للرحيل قد تمت بكل ما هو متاح من تدابير حكيمة وان يورياس Uraias مـع كامل جيشه قد استدعى من ميلان ولكن غارة الفرنج التى وقعت علينا بدون توقع قد أحدثت خرابا ودمارا بالنسبة لكل استعداداتنا فـكان نتيجة ذلك على الأقل أنى لم أستطع أن اتحمل اللوم بطريقة عادلة فالأشياء الخارجة عن ارادة الانسان تجنبه التعرض للوم لأن الحـظ يلعب دوره دائما فى قلب الموازين • ومنذ ان علمنا بأن توديبيرت قد بعد عن طريقنا فسوف نقوم فى وقت ليس ببعيد وباذن الله بالحضور اليكم مع الجيش القوطى بأكمله وان الحاجة تدعوكم بأن تتحملوا ما يحدث لكم مهما كان وذلك بكل رجولة وشجاعة وبما يتفق مع الضرورة التى تلازمكم ذاكرين فى المقام الأول جرأتكم المعهودة عنكم والتى على أساسها قد اخترتكم من بين أفراد الجيش كله ووضعتكم فى أوكزيماس

وأن تحترموا أيضا سمعتكم التى تتمسكون بها بين جميع القوط والتى وضعتهم الى أن يضعوكم أمامهم كحماة لرافينا ولسلامتهم هم أنفسهم .

وبعد كتابة هذا الخطاب ومكافأة الرجل بمبلغ كبير من المـال أخلى فيتيجز سبيله ولما وصل الى أوكزيماس انضم الى رفاقه معتذرا بأن بعض المرض قد أصابه ولهذا السبب فقد كان يمضى الوقت فى معبد ليس ببعيد وعليه فقد أعيد تعينه كحارس لنفس المكان الذى اعتاد القيام بحراسته وبدون علم جميع الرومان أعطى الخطاب الى العدو وعندما تمت قراءته للجمع أضفى الخطاب شجاعة اضافية وان كانوا قد عانوا الكثير بسبب المجاعة ولذلك فقد كانوا غير عازمين على الاذعان لبليزاريوس بالرغم من أنه قد عرض شروطا مغرية ذلك ولكن ازاء عدم وصـــول ما يفيد تحرك أى جيش من رافينا وبالنظر الى ما كانوا يعانون من كرب شديد بسبب النقص فى الامدادات قاموا مرة أخرى بأرسال بيرستنتياس برســالة تذكر فقط بأنه بعد خمسة أيـــام ســـوف لا يكونون فى حالة يستطيعون معها القتال مع المجاعة وقد عاد اليهم مرة ثانية بخطاب من فيتجز بوعود تخدرهم مشابهة لوعوده السابقة .

كان الرومان فى هم لا يقل عن هم القوط حيث كانوا مستمرين فى حصار طويل فى أرض مهجورة كما خاب أملهم تماما لرؤيتهم البرابرة يرفضون التسليم لهم وذلك رغم المعاناه التى كانوا يعانونها وبالنظر الى هذا الوضع فان بليزاريوس كان متحمسا لاسر أحد ارجال حيــا من أفراد العدو حتى يعلم منه السبب الذى جعل البرابرة يقاومون من هذا الموقع الذى يبعث على اليأس وقد وعد فالريان Valerian بأن يقوم بتادية هذه الخدمة له كما كان هناك تحت خدمته بعض الرجال ينتمون الى شعب السكلافينى[٤٠] الذين كانوا معتادين على أن يختبئوا

(٤٠) السكلافينى : هى تسمية اطلقت على منطقة مقدونيا فى العصور الوسطى ، وذلك بعد ازدحامها بالصقالبة من كل مكان فى القرن السابع الميلادى . فهى كناية عن العناصر الصقلبية وهذه التسمية التى استعملوا بها تنتمى لهؤلاء « السكلافينى » .
انظر : موس « ميلاد العصور الوسطى » ص ٢٩٥ . (المترجم) .

بأنفسهم خلف صخرة صغيرة أو شجيرة قصيرة أنهما يتصادف اقترابهم منها ثم ينقضون منها على العدو وفى الحقيقة فقد كانوا دائمى الممارسة لهذا العمل من مساكنهم الوطنية على طول نهر استر[٤١] سواء على الرومان أو البرابرة سواء بسواء . فرح بليزاريوس لهذا الاقتراح وأمره بأن ينفذه بمنتهى السرعة وهكذا فان فاليريان اختار احد افراد السكلافين مناســبا فى حجم جسمه وسرعة حركته بصفه خاصة وأمره بأن يحضر رجــلا من أفراد العدو ووعدوه بأنه سوف يتسلم مكافأة ســخية من بليزاريوس ثم أضاف الى ما سبق بأنه يستطيع أن يفعل ذلك بسهولة فى المكان الذى توجد فيه الحشائش لان القوط اعتادوا من فترة طويلة ان يتغذوا على الحشائش وذلك بعد أن بدأت جميع تموييناتهم فى النفاد .
توجه هذا البربرى فى الفجر الى مقربة من التحصينات وخبأ نفسه فى شجرة وكوم جسمه على شكل دائرى ثم بقى مختفيا عن الأنظار بالقرب من الحشائش وعند طلوع النهار جاء أحد القوط وبدأ يجمع الحشائش وهو لا يتوقع أذى من جهة الشجيرة ولكنه كان ينظر بصفة منتظمة ومتوالية الى معسكر العدو خشية أن يقوم أحد منهم بالهجوم عليه من هناك وعندما انقض البربرى على القوطى من الخلف وعلى غير توقع منه قام بأسره وامسك به من وسطه بقوة وبكلتا يديه ثم حمله الى المعسكر حيث سلمه الى فاليريان وعندما سأل السجين عن مواثيق الأمان التى يتأكد بها القوط من أنهم لن تكون عندهم أبدا نية الاذعان للرومان وكذا تحملهم عن طيب خاطر اشد انواع المعاناة أخبر القوطى فاليريان بكل الحقيقة المتعلقة ببيورستيناس Buncentius ولمـا تم احضاره أمامه اعترف بجرمه ولما رأى بورستيناس أن أمره قد اكتشف لم يخف شيئا مما سبق أن فعله ولذلك سلمه بليزاريوس الى رفاقه لكى يفعلوا به ما يشاءون وكانوا ان اسرعوا بحرقه حيا والعدو ينظر الى ما فعلوه وهكذا جنى بورشتيناس ثمرة حبه للمال .

(٤١) نهر ايستر Ister هو نهر الدانوب حاليا . (المترجم) .

(٢٧)

ولكن عندما رأى بليزاريوس ان البرابرة استمروا فى عدم التسليم الى آخر المدى مع معاناتهم فقد وجه اهتمامه الى تنفيذ خطته ضـــد مواردهم من المياه معتقدا انه بهذه الطريقة ينتهى من الاستيلاء على العدو بكل سهولة ويسر وكانت هناك عين مائية تقع على منحدر وعر الى الشمال من أوكزيماس على مسافة تقدر بمرمى حجر من الحائط الدائرى تصب ماءها فى جدول صغـــير يصـــب ماءه هو الآخـــر فى مستودع كان متواجدا هناك منذ القدم وعندما يصبح ذلك المستودع مملوءا بماء ذلك الجدول الصغير أصبح من السهولة بمـــكان بالنسبة لسكان أوكزيماس سحب الماء منه وشجع هذا الوضع بليزاريوس على فكرة تقول انه اذا امكن منع الماء من التجمع فى ذلك المكان فســـوف يصبح البرابرة غير قادرين على الاطلاق على ملء جرارهم من تيـــار العين لأنهم سيكونون بذلك معرضين لقذائف أعدائهم لمدة طويلة ولذلك فقد خطط لتدمير المستودع على الوجه الآتى : قام بتسليح جميع أفراد قواته ثم اعاد تنظيمها حول الحائط الدائرى على شكل دائرة كمـــا لو كانت ستدخل فى معركة معطيا بذلك الموقع ولكن بليزاريوس فى أثناء ذلك انتقى خمسة من الأيزوريين ممن كانت لهم مهارة فى البناء وقادهم وبحيث يكونون بعدين عن الأعين وذلك تحت غطاء كبير من الدروع ثم أمرهم يجمعوا كل قواهم ويحطموا حوائط المستودع بأسرع ما يمكن وأما بالنسبة للبرابرة ولو أنهم قد انتابتهم الشكوك فى ان أولئك الرجال كانوا متجهين نحو الحائط فقد بقوا فى هدوء وذلك على أساس أنهم قـــد يقتربون أكثر وأكثر وعندئذ وباشـــارة بسيطة من قذائفهـــم فلا أحد كان يعرف بالضبط ما هو هدفهم ولكنهم لـــا رأوا الايزوريين قـــد دخلوا المستودع بدأوا فى القاء الاحجار وأفرغوا كل قذائفهم عليهم وعندئذ فلم يسع باقى الرومان الا أن ينسحبوا عائدين ولكن الايزيوريين

وحدهم كانوا قد وصلوا سالمين وبدأوا فى عملهم بالقبو الذى بنى منذ القدم فوق المستودع لكى يكون كمظلة للماء ولذا فعندما أصبحوا أسفل هذا القبو لم يعيروا العدو أى أهتمام وذلك بالرغم من أن أفراده كانوا يفرغون قذائفهم بطريقة متوالية وسريعة •

وازاء ذلك لم يسع القوط ان يتحملوا البقاء داخـــل تحصيناتهم فقاموا بفتح البوابة الصغيرة على ذلك الجانب واندفعوا نحو الخـــارج فى مواجهة مع الايزورين تتملكهم ثورة كبيرة من الغضب والصياح وأما من جهة الرومان وبناء على حث بليزاريوس لهم قاموا بهجوم مضاد بحماس كبير وهكذا حدثت معركة شرســة استمروا متورطـــين فيها لمدة طويلة وفى عراك كانت نتيجته ذبح عدد كبير من كلا الجانبين ولكن خسائر الرومان من الرجال كانت أفدح وحيث أن البرابرة كانوا يدافعون عن أنفسهم من موقع أعلى فعندئذ يمكن لعدد قليل من الرجال أن يتغلب على عدد كبير منهم وبما أنهم حازوا التفوق فى العراك بالأيدى فقد كانوا يقتلون رجالا أكثر من الرجال الذين كان العدو يقتلهم من صفوفهم ومع ذلك فان الرومان كانوا مصممين على عدم الاذعان خشية الشعور بالعار أمام بليزاريوس الذى كان حاضرا وكان يحثهم بالصياح • وبينما كانت هذه المعركة تدور رحاها حدث أن قذيفة طارت بصوت مدوى فى اتجاه بطن القائد تم تصويبها بمعرفة أحـــد افراد العدو اما بطريق الصدفة او عن نية متعمدة ولم يرها بليزاريوس على الاطلاق وعلى أى حال فقد فشل سواء فى الاحتماء منها أو فى ان يتخذ خطوة جانبية لتجنبها ولكن أحـــد الرماه كان يدعى يونيجاستاس Unigastus يقف بجواره رآها عندما كانت على مسافة غير بعيدة من بطن بليزاريوس فمد يـــده اليمنى على الفور وبذلك انقذ القائد بطريقة غـــير متوقعة ولكنه بالنظر الى ما اصابه من جرح بسبب الرمح انسحب على الفور وهو يعانى من الم عنيف وبعد ذلك ونظرا لأن أوتار العضلة قد عطبت

فلم يعد قادرا على استخدام يده اليمنى وأما بشــأن المعركة والتى كانت قد بدأت مع الصباح الباكر فقد استمرت حتى منتصف النهار .

هذا وقد أبدى سبعة من رجــال الأرمن تحت قيــادة نارســيس وأرايتوس Aratius أعمالا باسلة فكانوا يجرون على أرض غير ممهدة ووعرة بطريقة زائدة كما لو كانوا يجرون فوق أرض مسطحة كانوا يقتلون افراد العدو ومن وقت لآخر ويقفون فى طريقهم حتى أجبروا البرابرة على التقهقر فى ذلك الجزء من المعركة والحقوا بهم الهزيمة وعندئذ وعنوما رأى باقى الرومان العدو يخلى الطريق بدأو فى مطاردة افراده وأصبحت الهزيمة حاسمة ودخل البرابرة فى تحصيناتهم واعتقد الرومان أن المستودع قد تم تدميره وأن الايزوريين قد أتموا مهمتهم بالكامل ولكنهم فى الحقيقة كانوا جميعا غير قادرين حتى على ازاحة حصوة من ذلك البناء حيث ان الصـــناع القدامى والذين كانوا يبذلون قصارى جهدهم فى أن يجعلوا انتاجهم عملا ممتازا قد بنوا هذا المبنى المعمارى بطريقة يصمد معها أمام الزمن وأمام اية محاولات لهدمه وعلى أى حال فانهم لم ينجزوا أى شىء وذا لمجرد أن رأوا الرومان قد فازوا بالموقع غادروا المستودع وانسحبوا نحو المعســكر ونتيجة لذلك فان بليزاريوس أمر الجنود بأن يلقوا فى المــاء جثث الحيوانات الميتة وكذا العشب الذى يسبب بطبيعته الموت للانسان مع وضــع نوع من الحجــر محروق بالكامل اعتــاد الأقدمون أن يســموه (تيتــانوس) . Titanos والذى يســمى فى الوقت الحــاضر (اسبستوس)[٤٢] لاطفائة الماء وهذا ما فعله الجنود بالتالى ولــكن البرابرة انتقلوا من بئر داخل التحصينات كان يدر قدرا قليلا جدا من المــاء وهكذا تم تموينهم بالماء خلال تلك الفترة وان تم ذلك بكميات أقل من الكميات المعتاده وأقل مما تدعو حاجتهم اليه وفيما بعد ذلك

---

(٤٢) الجيــر .

لم يعد بليزاريوس يجهد نفسه سواء من جهة الاستيلاء على المكان عنوة أو تنفيذ أية خطة تتعلق بالماء أو باى شىء آخر وذلك على أمل أن المجاعة وحدها هى التى سوف تتغلب على العدو ولهذا السبب فقد وجه أغلب اهتماماته الى حراسة الخطوط فى الوقت الذى كان القوط ما زالوا يتوقعون وصول الجيش من رافينا والتزموا الهدوء والصمت لحاجتهم الشديدة الى الامدادات .

وفى أثناء ذلك كان القوط المحاصرين فى فسيولا قد بدأوا يشعرون بوطأة الحصار بدرجة كبيرة وذلك نتيجة المجاعة ولأنهم كــانوا عاجزين عن تحمل المعاناة كما وأنهم كانوا أيضا فى يأس من جهة أى أمل فى رافينا فقرروا التسليم لخصومهم وبناء عليه فقد دخلوا فى مفاوضــات مــع سبريان Cyprian وجوســتينوس Justinus وازاء تسلمهم بالابقاء على حياتهم قاموا بتســليم أنفسهم والحصن وعندئذ أخذهم هو وزملائه مع الجيش الرومانى وبعد ايجاد حامية كافية فى فسيولا اتى الى أوكزيماس ومنذ ذلك الوقت كان بليزاريوس وباستمرار يظهر قوادهم للبرابرة فى أوكزيماس ويأمرهم بالا يستمروا فى التمسك بهدفهم غير المعقول وبدلا من ذلك يتخلون عن أملهم فى رافينا لأنهم مثل الآخرين سوف لا يتسلمون أقل مساعدة الا بعد أن يكونوا قد فنوا تماما من الشدة التى ستجعل مصيرهم هو نفس مصير الذين كانوا فى حامية فسيولا على أقــل تقدير ولــما رأى البرابرة بعد مداولات طويلــة فيمــا بينهــم وانــه لن يمــكنهم الصــمود أكثــر مــن ذلك امام المجاعة اصبحوا على استعداد لقبول عروضه وأعربوا عن رغبتهم فى تسليم المدينــة على شرط الا يتعرضوا لأى أذى ويستمروا فى تبعيتهم لرافينا ونتيجة لذلك فان بليزاريوس لم يكن على ثقة مما يجب فعله فى ذلك الموقف الذى يواجهه فمن جهة رأى أنه من غير الملائم أن قطاعا من العدو ومن هذه النوعية الممتازة وبهذا العدد الكبير ينبغى له أن ينضم الى قوات من زملائه فى رافينا ومن جهة أخرى لم يكن راغبا

تماما فى أن يدع هذه الفرصة السانحة تمر دون أن يتحرك فى اتجاه رافينا وفيتيجز بينما الموقف مازال لم يحسم بعد وحيث ان الفرنجة كانوا يسببون له اهتماما كبيرا حيث كان يتوقع تماما أنهم سوف يأتون لمساعدة القوط على وجه السرعة ومع أنه كان متحمسا لانتظار وصولهم الا أنه كان غير قادر على فك حصار أوكريماس التى كادت تسقط بعد وعلاوة على ذلك فان الجنود لا يسمحون له بأن يمنح ما يملكونه للبرابرة مظهرين الجروح الكثيرة التى أصابتهم فى أيديهم أمام المدينة ومعددين كافة مراحل الكفاح التى حدثت لأغلبهم أثناء هذا الحصار كما أعلنوا أن المكافآت عن هذه المعازاة هى بالتأكيد غنائم المقهورين وأخيرا وحيث ان الرومـان كانـوا تحت ضـغط بحكم الحـاجة الملحة فى تلك الآونة وحيث ان القوط كانوا قد غلبتهم المجاعة فقد توصلوا الى اتفـاق مع بعضهم البعض يشترط أن الرومان يجب أن يقسموا فيما بينهم نصف ثروتهم بينما يجب على القوط أن يحتفظوا بالباقى ويكونوا خاضعـين للامبراطور وقد اعطى جانب التعهدات بمـا يضمن هذا الاتفـاق : فتعهد قواد الرومان بأن يلتزموا بذلك الاتفاق كما تعهد القوط بأنهم لن يخفوا شيئا مهما كان من ثروتهم وهكذا قاموا بتقسيم كل ما هو مملوك فيما بينهما وتسلم الرومان من جهتهم زمام أوكريماس بينما اندمـج القوط فى جيش الامبراطور .

(٢٨)

بعد سقوط أوكريماس تعجل بليزاريوس فى ضرب حصار على رافينا فحشـد كل جيشه لواجهتها كما أرسل ماجنوس Magnus مع قوة كبيرة خلف رافينا بأوامر بان يتحرك بثبات على طول ضفة نهر البـو ويستمر فى عملية الحراسة وذلك لمنع القوط فيما بعد من احضار امدادات عن طريق النهر ، وعلاوة على ذلك فان فيتالياس Vitalias الذى كان قد حضر من دالماشيا بجيش للانضمام اليه كان يتولى حراسة

الضفة الاخرى للنهر وكان ان حالف الرومان شىء من حسـن الحظ اظهر بوضوح أن الحظ نفسه كان يلازم مجرى الأحداث بالنسبة لكلا الجانبين فالنسبة للقوط فقد سبق ان جمعوا عددا كبـيرا من القوارب فى ليجوريا وأنزلوها فى البو وبعد ملئها بالقمح وغيره من التموينات أعدوا العدة للابحار نحو رافينا ولكن المـاء فى هذا انحسر الى أسفل فى ذلك الوقت بحيث أصبح من المستحيل الابحار من فوق سـطحه واستمر هذا الوضع حتى أتى الرومان واغتصبوا القوارب بكافة شحنتها ثم كان أن عاد النهر الى حجمه الطبيعى بعد ذلك بمدة قصيرة وأصبح صالحا للابحار من فوق سطحه وحسب ما نعلمه مما ورد فى التراث فان هذا الوضع لم يسبق أن حدث للنهر ابدا من قبل وفى ذلك الوقت كان البرابرة قد بدأوا يواجهون بعض النقص فى الامدادات لأن كليهما كان غير قادر على احضار شىء عن طريق الخليج الأيونى حيث ان عدوهم كان يتحكم فى البحر فى كل موقع منه كما كانوا هم أنفسهم قـد أبعدوا عن النهر ولما علم حكام الفرنج بمـا كان يحدث وأرادوا الفوز بايطاليا لأنفسهم أرسلوا مبعوثين الى فيتيجز مؤكدين وعـدا بتحالف هجومى دفـاعى وذلك بشرط أن يتولوا حـكم ايطاليا معه فلما سـمـع بليزاريوس بهذا أرسل هو الآخر مبعوثين من بينهم تودوسـياس الذى كان على رأس عائلته — وذلك بغرض التحدث ضد الجرمان[٤٣] .

وهكذا خطا مبعوثو الجرمان اولا بالمثول أمام فيتيجز كالآتى :

« ان حكام الجرمان قد ارسلونا اليكم فى المقـام الأول لأنهم متكدرون جدا لسـماعهم انكم محاصرون بواسـطة بليزاريوس ، وفى المقام الثانى لأنهم متحمسون للانتقام لكم باسرع ما يمكنهم ذلك وطبقا للشروط الخاصة بتحالفنا والان نحن نفترض ان جيشنا والذى لا يقل فى عدده عن خمسمائة الف رجل مقاتل قد عبر فى الآونة الحاضرة الالب ،

(٤٣) مازال بروكوبيوس يقصد بالجرمان الفرنجة فقط .

ونحن نفتخر بانهم سوف يقومون بدفن الجيش الرومانى بأكمله مع بلطه وذلك مع أول هجوم وأما من جهتكم فينبغى أن تعلموا بما يتفق مع هذا الغرض وليس من أجل اولئك الذين يعتزمون أن — يجعلوا منكم بل من أجل أولئك الذين يقتحمون خطر الحرب بسبب اخلاصهم وولائهم للقوط وبجانب هذا فاذا ما اتحدت قواتكم مع قواتنا فسوف لا يكون للرومان أى أمل لمواجهة جيشنا المجهز — فى المعركة كما واننا بنفس هذا الوضع وبدون أى مجهود سوف نحظى بالتفوق فى الحرب ولكن من جهة أخرى اذا ما اختار القوط أن يضموا صفوفهم الى صفوف الرومان ، حتى ولو لم يقاوموا فى تلك الحالة دولة الفرنج (لأن الكفاح سوف لا يكون متساويا من جهة القوة) ولكن النتيجة النهائية بالنسبة لكم سوف تكون الهزيمة مع الشركاء الذين يحملون أشد العداوة من دون جميع الرجال • ولكن هذا هو الجنون أن تصابوا بكارثة يمكن التنبوء بها فى الوقت الذى تعرض عليكم فرصة للنجاة منها بدون أى خطر ومع ذلك فان الرومان قد برهنت بنفسها على أنها لا تستحق ثقة البرابرة حيث انها بطبيعتها تحمل العداء لهم ، ولذلك فنحن نعرض مشاركتكم فى حكم ايطاليا اذا ما رغبتم فى ذلك وسوف نقوم بادارة البلاد بالطريقة التى تبدو أفضل ومن اجلكم أيها القوط سوف يكون المسار الطبيعى الذى يجب اتباعه هو ذلك الذى يضيف الى ما فيه مصلحتكم فوائد أخرى » هكذا تكلم الفرنج •

وجاء ايضا مبعوثو بليزاريوس فيما بعد وتكلموا على الوجه الآتى :

« بما أن الجرمان بما لديهم من كثرة فى العدد سوف لا يلحقون أى أذى بالامبراطور ومع ذلك فهم يبحثون عن كل ما يبعث فيكم الرعب والفزع اذن لماذا يقدمون براهين مطولة امامكم وهو يرى أنكم قد بدأتم بالتأكيد تتفهمون وبما لكم من خبرة طويلة ما الذى يتحكم فى مسار الحرب

باكمله واعلموا ان الانتصار لا يكون لمجرد ابداء الجرأة والشجاعة أو لكثرة الجيوش ونرى أننا فى غير حاجة الى القول أن الامبراطور يدهش كل الآخرين بالقدرة على التفوق على اعدائه خاصة فيما يتعلق بكثرة الجنود ولكن عندما نتحدث عن ولاء هؤلاء الفرنج الذى يدعون بفخر أنهم يظهرونه لكل البرابرة فان هذا الادعاء قد بان بكل الوضوح بموقفهم أولا تجاه الثورنجيين[٤٤] ودولة البورجنديين ، وثانيا تجاهكم أيضا وهذه هى تحالفاتكم وفى الواقع فاننا من جهتنا سوف يكون لنا السرور بسؤال الفرنج عن أى اله يستطيعون ان يقسموا به عندما يعلنون أنهم سوف يمنحونكم الثقة بولائهم انكم بالتأكيد تتفهمون الطريقة التى اكرموا بها — هؤلاء الذين تسلموا منكم مبالغ هائلة من المال كما تعلمون وكذا دخل اقليم الغال باكمله كثمن لتحالفهم مع ذا لتقرروا ليس مجرد عدم اعطائكم أية مساعدة فى شدتكم بل رفع السلاح بتحدى ضدكم وانتم تعرفون كل الأحداث التى حدثت على نهر البو وهى محفوظة عندكم[٤٥] ولكن لماذا نحتاج الى ان نبين كفر الفرنج بتعديد الأحداث الماضية ؟ فليس هناك شىء أكثر دناءة من المبعوثين الحاليين الذين ارسلوهم فحتى لو كانوا قد نسوا الشروط التى وافقوا هم أنفسهم عليها واليمين الذى اقسموا عليه لضمان المعاهدة فانهم يطالبون بحق المشاركة معكم فى كل ما تملكونه واذا ما تم لهم ذلك بالفعل وحصلوا على ما يريدونه منكم فسوف يكون من المناسب لكم أن تتساءلوا ما هى نهاية جشعهم الذى لا ينتهى ومدى حبهم للمال » •

هكذا تكلم مبعوثوا بليزاريوس بدورهم وأما من جهة فيتيجز وبعد مداولة طويلة مع أعيان القوط أعطى صوته مفضلا المعاهدة

---

(٤٤) أحد القبائل الجرمانية التى هاجمت الامبراطورية الرومانية منذ الدور الأول الذى انتهى سنة ٣٠٠م .. وبدءوا يتوسعون بعد ذلك الا ان الفرنجة وقتلوا ابائهم . وقد استقر هؤلاء فى مقاطعة ثورنجيا بالمانيا . وبعدوا عن الفرنجة فى فرنسا (المترجمة) .

(٤٥) فصل ١٥ — ٩ أعلاه .

المقترحة مع الامبراطور واعاد مبعوثى الجرمان دون أن يحققوا نجاحا ومنذ ذلك الوقت بدأ القوط والرومـــان فى اجراء مفاوضات مبـــاشرة ومستمرة مـــع كل منهما ولكن بليزاريوس لم يتخـــل قيـــد انمله عن الحراسة لمنع البرابرة من احضار امدادات لأنفسهم وعلاوة على ذلك فقد أمر فيتالياس بأن يتوجه الى البندقية ويقلب رأسا على عقب أكبر عدد من مدن ذلك الاقليم كلما امكن ذلك بينما كان هو — مع الديجر الذى سبق أن أرسله مقدما للمحافظة على حراسة كلتا ضفتى البو وذلك حتى يستسلم البرابرة بسرعة أكبر بسبب النقص فى الامدادات ويبرم المعاهدة على النحو الذى يريده هو شخصيا وما أن علم بان كمية من القمح لا زالت مخزنة فى المستودع العمومى داخل رافينا حتى قام برشوة أحد سكان المدينة ليشعل النار سرا فى المستودعات ويقضى على القمح مع تدمير المخزن ولكنهم يقولون ان ذلك فى الحقيقة كان بارادة ماتاسونتا Matasunthe زوجة فيتيجز التى بأمرها تم تدمير المستودعات بمحتوياتها والقليل يعتقد أن القمح احترق فجاة مما يبعث على الاعتقاد أن ذلك قد تم نتيجة مؤامرة ولكن الآخرين يفترضون أن المكان قد تعرض لضربة من ضربات البرق ومع ذلك فمع الاخذ بأى من هذين الرأيين فان كلا من القوط وفيتيجز كانا وأكثر من أى وقت مضى تحت وطأة اليأس عاجزين حتى عن الثقـــة فى مواطنيهم فيمـــا بعد ومعتقدين أن كـــفة الحرب قد أصبحت فى غير صالحهم وأن تلك هى ارادة الله سبحانه وتعالى » • وكانت هذه هى مجريات الأحداث •

كانت هناك تحصينات عديدة فى الألب تفصل غاله عن ليجوريـــا ويسميها الرومـــان الألب القوطية هـــذه التحصينات مملوءة بحاميات ولســـنوات عديدة بمعرفة كثـــير من أعيان القوط أرادت التســـليم له ارسل لها أحد ضباطه وكان يسمى توماس Thomas — مع عدد قليل من الرجال وبتعليمات أن يقبلوا تسليم البرابرة المتواجدين بهـــا

ولـــما وصل هؤلاء الى الألب استقبلهم فى احد الحصـــون سيزجيس Sisiges — الذى كـــان يحـــكم الحاميات فى ذلك القطـــاع ولم يكتف بتسليم نفسه بل حث أيضا كل قائد من قواده بأن يفعل مثل ما فعله هو وعند ذلك كان ايرياس Uraiasx الذى انتخب اربعة الاف رجل من أهالى ليجوريا من حصون الألب يتحرك بأقصى سرعة فى اتجاه رافينا بقصد نجده المدينة ولكن لما علم هؤلاء الرجال بما فعله سيرجيس خافوا كثيرا على افراد عائلاتهم وطلبوا ان يذهبوا أولا للاطمئنان عليهم ونتيجة لذلك فان ايرياس دخل الألب القوطية بكل جيشه وأقام حصارا حول سيرجيس والقوة الخاصة بتوماس ولما علم حنا ابن شقيق فيتاليان ومارتينوس بهذا الوضع (حيث تصادف أن كانا قريبين جدا من البو حضرا بأسرع ما يمكنهما مع كامل جيشهما للنجدة وبمصادفتهما لبعض الحصون فى الألب قاما بالاســـتيلاء عليها وحولوا عبيدا وتصادف أن عددا كبيرا من هؤلاء الأسرى كانوا فى الحقيقة اطفال وزوجات الرجال الذين فى خدمة ايرياس Uraias فاغلب الرجال الذين كانوا تحت امرته من أهالى تلك الحصون ولما علم هؤلاء أن بيوتهم قد تم الاستيلاء عليها حلوا أنفسهم فجأة من جيش القوط وذلك بعد أن قرروا الأنضمام الى القوات التابعة لحنا ونتيجة لذلك فان ايرياس أصبح عاجزا لا على انجاز أى عمل هناك فحسب بل أصبح عاجزا أيضا عن احضار مساعده للقوط المعرضين للاخطار فى رافينا فعاد دون اى يحقق نجاحا مـــع قليل من الرجـــال الى ليجوريا وبقى فى هدوء هناك واما من جهـــة بليزاريوس فقد قـــام بالقبض على فيتيجز واعيان القوط المحصورين فى رافينا بدون أى تدخل خارجى •

(٢٩)

لقد كانت تلك هى الظروف التى وصل فيها مبعوثا الامبراطور دومنيكاس Dominicus وماكسيمنياس Maximinus وكان كلاهما من أعضاء مجلس الشيوخ وذلك لتحقيق سلام بالشروط الآتية : كان على فيتيجز ان يأخذ نصف الأموال الملكية وان يحكم الاقاليم فى شمال نهر البو ، على ان يخصص النصف الثانى من الاموال للأمبراطور وكان عليه ان يحتفظ لنفسه بكل ما يقع أسفل البو ، وهكذا فان المبعوثين — وقد اظهروا خطاب الامبراطور لبليزاريوس — عمدا الى العوده الى رافينا ولما علم القوط وفيتيجز بالهدف من مجيئهما وافقا بسرور على عقد معاهدة بتلك الشروط ولكن بليزاريوس — عندما علم بذلك — تملكه الغيظ لأن الامر سيكون كارثة كبيرة لو قام احد بمنعه من الفوز بنصره النهائى للحرب عندما يصبح فى امكانه تحقيق مثل هذا الفوز بدون اية متاعب وكذا الامساك بفيتيجز كاسير الى بيزنطة ولذلك فعندما عاد المبعوثان اليه من رافينا رفض تماما أن يصدق على الاتفاق بالتوقيع عليه بامضائه وعندما أصبح القوط على علم بذلك بدأو يشعرون أن الرومان يعرضون عليهم السم بنية غادرة واصبحوا فى أشد الارتياب من جهتهم وأعلنوا على الفور وبكل الصراحة انه بدون ان يقوم بليزاريوس بالتوقيع وبالقسم سوف لا يبرمون مع الرومان اى ميثاق ابدا .

وعندما سمع بليزاريوس أن بعض القادة كانوا ينتقدونه بحرارة وذلك على أساس انه كان ببساطة يدبر مؤامرة ضد التنظيم الخاص بالامبراطور ولهذا السبب كان غير راغب تماما فى أن ينهى الحرب دعاهم جميعا وفى حضور دومنيكاس وماكسيمنياس تحدث اليهم على الوجه الآتى :

« انى وحدى الذى أعلم آن مصير الحرب هو مصير محدد على

وجه الاطلاق وانى اعتقد أن كل فرد منكم يشاركنى هذا الرأى فكثير من الرجال قد خدعوا بأمل النصر عندما بدا هذا النصر مؤكد بالنسبة لهم بينما الرجال الذين قالبتهم الكوارث قد حالفهم الحظ من كل الوجوه بطريقة غير متوقعة لتجاوز محنهم وبالتالى فانى أقول ان الرجال الذين يحاجون فى موضوع السلم لا يجب أن يضعوا فى أعتبارهم فقط توقع النجاح بل التأمل فى أن النتيجة ستكون الطريقة[٤٦] التى سيختارون بها سياستهم على هذا الأساس ومن هذا المنطلق فقد بدا لى انه من الأفضل وعلى اى حال ان اعرض عليكم التداول ايها الزملاء ويا مبعوثى الامبراطور بان الفرصة المتاحة حاليا قد تمكنا وعلى المهل — من اختيار نوعية المنهج الذى يبدو ذا نفع للامبراطورية وانه بعد حدوث الحدث قد لا يتاح لكم ابدا تعنيفى اذ ان الأمر سوف يكون فظيعا أولا بالتزام الصمت طالما كان من الممكن اختيار المسلك الأفضل وفيما بعد وعند مراجعة الحصيلة التى جاء بها الحظ بتقديم الشكاوى والان فيما يتعلق بقرار الامبرطور من وجهة النظر الخاصة نتيجة الحرب وفيما يتعلق فيتيجز فانكم جميعا قد ابلغتم بهما بطبيعة الحال . واذا اعتقدتم أنتم أيضا أن هذا المسلك يعود بالنفع فدعوا كل رجل يتقدم ويتكلم ومع ذلك فاذا ما اعتقدتم أنكم قادرين على استرداد ايطاليا كلها للرومان وتفوزوا بالسيادة على العدو فلن يمنعكم شىء من التحدث بكل الصراحة .

وعندما انهى بليزاريوس حديثه عبر الجميع عن رأيهم وبكل الثقة بان قرار الامبراطور كان هو القرار الأفضل وانهم سوف لا يكونوا قادرين على الحاق الأذى بالعدو فيما بعد ، فسر بليزاريوس برأى القواد وطلب منهم تدوينه كتابة وذلك حتى لا يمكنهم انكاره وعليه قاموا بتحرير مستند يقرون فيه انهم غير قادرين على تحقيق تفوق على خصومهم فى الحرب .

---

(٤٦) اما حسنة او سيئة .

كانت هذه المداولات تجرى فى معسكر الرومان ولكن القوط وقد تعرضوا لضغط شديد بسبب المجاعة ولم يعودوا قادرين على تحمل معاناتها كانوا فى حالة تردد فبينما كانوا يحملون العداء لحكم فيتيجز حيث لم يحالفه الحظ مطلقا طوال حكمه فكانوا مع ذلك محجمين عن الاذعان للامبراطور يخشون من شىء واحد وهو انه عندما يصبحون عبيدا للامبراطور سوف يرغمون على الانتقال من ايطاليا والذهاب الى بيزنطة والاستيطان بها لذا فبعد أن تدارسوا الأمر فيما بينهم قرر جميع نبلاء القوط أن يعلنوا بليزاريوس أمبراطورا على الغرب(٤٧) فارسلوا اليه سرا راجين منه ادعاء السلطان الملكى ، فعلى هذا الشرط أعلنوا أنهم سوف يتبعونه بكل السرور ولكن بليزاريوس كان غير عازم على ادعاء سلطة الحكم ضد رغبة الامبراطور فقد كان متأففا وبدرجة غير عادية من لقب الطاغية وعلاوة على ذلك كان فى الحقيقة مرتبطا من قبل بخدمة الامبراطور بناء على قسم جليل بالا يقوم بأى تمرد أو ثورة طوال حياته ومع ذلك فلكى يبدو الوضع امامه أكثر أمانا أظهر بأنه قد تسلم عروض البرابرة بالسرور واما فيتيجز وقد شعر بما يدور حوله أصبح خائفا ومع قوله أن مداولات القوط قد انتهت الى افضل خاتمة ممكنة الا أنه حث بليزاريوس فى السر أن ينقض على السلطة الملكية حيث لن يقف فى طريقه أحد على حد قوله عندئذ استدعى بليزاريوس مرة أخرى مبعوثى الامبراطور وجميع القواد وسألهم عما اذا كان الامر سيبدو لهم خطيرا اذا ما حمل القوط ومعهم فيتيجز أسرى واستولى على كل ثروتهم كغنيمة واستعاد كل ايطاليا من اجل الامبراطور فقالوا ان ذلك سوف يكون بالنسبة للرومان حظا سعيدا شاملا ورجوه ان يحقق ذلك وبأى طريقة يستطيع بها تحقيقه وعلى ذلك ارسل بليزاريوس وعلى الفور الى فيتيجز واعيان القوط بعض المقربين اليه

---

(٤٧) كان هذا الراى الذى اورده بروكوبيوس هنا هو السبب الرئيسى فى استدعاء الامبراطور جستنيان لبليزاريوس (المترجمة) .

يأمرونهم بتنفيذ ماسبق إن وعدوا به وفى الواقع فان المجاعة لم تكن لتسمح لهم بارجاء الامر الى اى وقت اخر فبضغطها المتزايد دفعتهم الى اتخاذ هذا القرار ارسلوا مبعوثين بتعليمات الى معسكر الرومان من أجل استيضاح بعض الفقرات المهمة فى الاتفاقية وتسلم تعهدات فى السر من بليزاريوس بأنه سوف لا يلحق اى أذى باى شخص من القوط وانه من ذلك الحين سوف يصبح ملكا على القوط والايطاليين وهذا الوضع انهى ما كان يجب عليهم من توجههم مع الجيش الرومانى الى رافينا وأما من جهة بليزاريوس فقد أقسم على كل شىء طلبه المبعوثون منه ، ولكن بالنسبة لتولى الملك فقد قال انه سوف يقسم لفيتيجيز نفسه وكذا لحكام القوط — ونظرا لأن المبعوثين كانوا يعتقدون أنه سوف لا ينبذ فكرة تولى الملك ولكنه قد يعمل لها قبل أى شىء آخر ، فلم يظهروا اى تردد فى حثهم اياه على ان يأتى معهم الى رافينا ، وعندئذ أمر بليزاريوس بيساس وحنا ونارسيس وأرايتوس أن يتوجهوا مع قيادتهم الى أماكن مختلفة (لأن هؤلاء كانوا الرجال الذين كانوا موضع شك من كونهم يحملون العداء له بطريقة زائدة) وأن يعدوا تموينات لأنفسهم حيث أوضح أنه لم يعد قادرا ومن الموقع الذى كان فيه من أن يقوم باحضار تموينات للجيش بأكمله ولذلك فان هؤلاء الضباط شأنهم شأن أثناسيوس ، حاكم روما والذى حضر أخيرا من بيزنطة شرعوا فى تنفيذ التعليمات المعطاه لهم أما بليزاريوس فقد اتجه مع بقية الجيش نحو رافينا ومعهم مبعوثو القوط ، وعند اعداد اسطول من السفن المحملة بالقمح والتموينات الاخرى ، اصدر الأوامر بان تبحر باقصى سرعة نحو ميناء كلاسيس Classes الذى يسميه الرومان ضاحية رافينا .

وفى ذلك الوقت وبينما كنت اشاهد دخول الجيش الرومانى رافينا خطرت لى فكرة تقول انه ليس من حكمة الرجال أو اى نوع من انواع العبقرية يمكن ان تسير الاحداث الى نهايتها بل ان هناك قوة الهية تعمل على الانحراف باهدافهم ودفعتهم الى طريق لا ينفع فيه شىء لصد

ما قدر ان يحدث بالفعل بالرغم ان القوط كانوا متفوقين وبدرجة كبيرة على خصومهم فى العدد والقوة ولم يخوضوا معركة حاسمة منـذ ان دخلوا رافينا كما وان روحهم المعنوية لم تهتز نتيجة اى كارثة أخرى ومع ذلك فقد تحولوا اسرى على يد جيش أضعف منهم واصبحوا لا يعتبرون كلمة العبودية اهانة ولكن عندما رأيت النساء وهن جالسات عند البوابة (لانهـن سـبق ان سـمعن مـن ازواجهن أن العـدو كـان رجـاله فى اعداد كبيرة لا تحصى بصقن على وجـوه أزواجهن وهـن يشرن بايديهن الى المنتصرين وأخذن فى سب ازواجهن بسبب جبنهم •

وأما بالنسبة لبليزاريوس فقد وضع فيتيجز تحت الحراسة ولكن بدون تحقير ثم حث البرابرة الذين كانوا يعيشون جنوب نهر البو أن يذهبوا الى اراضيهم واهتم بعدم حدوث ما يكدرهم • فعلى ذلك شعر انه لا يحصل اى عداء لسكان تلك البقعة وان اولئك القوط فى ذلك الاقليم سوف لا يتحدون ابدا حيث سبق ان أوجد عددا كبيرا من فرق الرومان فى المدن هناك وعلى ذلك فان اولئك القوط اسرعوا بالعوده فرحين ، وهكذا أصبح الرومان آمنـين فى مواقعهم لأنهم على الأقل كانوا فى رافينا أقل عددا من القوط ثم كان أن استحوذ على الأموال التى كانت فى القصر والتى اعتزم تسليمها للامبراطور ولكن فيما يتعلق بالأملاك الخاصة بالقوط فلم يغتصب أيامنا من أى فرد كما لم يسمح لأى رومانى آخر أن يقوم بمثل هذا الإغتصاب فاحتفظ كل فرد منهم بممتلكاته وذلك طبقا لشروط الاتفاق وعندما سمع أولئك البرابرة الذين كانوا يتولون الحراسة فى أقوى المدن أن كلا من رافينا وفيتيجز قد أصبحا فى قبضة الرومـان بدءوا فى ارسـال المبعوثين الى بلزاريوس يلتمسوا الاذن بتسليم أنفسهم والأماكن التى يقومون بحراستها وقد أعطاهم جميعا التعهدات عن طيب خاطر وهكذا استولى على تاربيسيوم Tarbesium [٤٨] وكذا كافة التحصينات الأخرى التى كانت توجد فى البندقية أما فيمـا

(٤٨) تريفيـزو الحديثة Treviso •

يتعلق بكاسـنيا Caesena فقد كان الوحيـد الذى بقى فى أميليا Aemilia التى سبق أن استولى عليها فيما مضى هى ورافينا وأما القوط الذين حكموا تلك المدن فبمجرد أن تسلموا التعهدات اتوا الى بليزاريوس وبقوا معه كلهم فيما عدا الديبادوس EL dibadus — وكان رجلا له مركزه — الذى كان يقود الحامية فى فيرونا فبالرغم من أنه أرسل هو الآخر مبعوثين الى بليزاريوس لنفس المهمة مثلما فعل الاخرون خاصة وان بليزاريوس قد وجد أطفاله فى رافينـا وتحفظ عليهم لنفسه فانه لم يحضر الى رافينا كذلك لم يسلم نفسه لبليزاريوس حيث حالفه الحظ بأن وضعه فى موقف سوف أتولى شرحه الآن •

بدأ بعض الضباط من الجيش الرومانى من الذين يحملون حقدا على بليزاريوس يؤلبون الامبراطور عليه ويتهمونه بأنـه يسعى لعمل انقلاب ضده دون أن تكون هناك أسس لهذا الادعاء وكان أن استدعى الامبراطور بليزاريوس للحضور بأسرع ما يمكن ،ولم يكن ذلك بسبب اقتناعه بتلك الوشايات بل لأن حرب الفرس كان تضغط عليه ، فاستدعاه حتى يتولى زمام الأمور ضد الفرس وفى أثناء ذلك أمر بيساس Bessas وحنـا John مع الآخرين أن يتعهدوا بالأمور الخاصة بايطاليا كما طلب من كوستانتيانس Constantinus يتوجه الى رافينا من دالماشيا • وعند سماع القوط الذين كانوا يقطنون البلاد التى تقع شمال البو أن الامبراطور يستدعى بليزاريوس لم يعيروا الأمر أهمية بادئ ذى بدء معتقدين ان بليزاريوس سوف لا يعتبر مملكة ايطاليا فى مرتبة أقل من الولاء لجستنيان ولكنهم لما علموا أنـه كان يعد العدة للرحيـل فان جميـع القوط الأوفيـاء فى ذلك الاقليم والذين كانوا مقيمين هناك اجتمعوا على غرض واحد وذهبوا الى ايريـاس ابن أخ فيتيجز فى تيسنوم Ticinum وبعد[٤٩] ابداء الحزن طويـلا معه على ماحدث تكلموا على الوجه التالى :

(٤٩) تيسينوم Ticinum ، هى Pavia الحالية . (المترجمة)

و ان الرجل الذى اثبت انه مسئول بصفة رئيسية عن المصائب الحالية التى حلت بدولة القوط لن يكون أحدا غيرك فمن جهتنا ما كنا لنتوانى ومنذ وقت طويل عن أن نزيح مثل هذا من كرسى الحكم بالنظر الى ما كنا نراه من حكمه لنا بأسلوب جبان وسوء طالع مثلما أزحنا تيوداتوس Theodatus ابن أخ تيودريك ، ولكن رغم الأعمال البطولية التى أظهرتها فاننا قررنا أن نمنح فيتيجز مجرد لقب الملك وأن نعهد اليكم بحكم القوط ومع ذلك فان الاعتبارات التى كانت تبدو عندئذ وجيهة تبرز الآن وبوضوح كأنها حماقة وهى السبب فيما أصابنا من كوارث بالنسبة لكثير جدا من القوط وكما تعلمون أيها العزيز ايريايس أن نبلاءنا قد هلكوا فى الحرب وأن الأشراف الذين بقوا مع من تخلف سوف يصبحون تحت امرة بليزاريوس وفيتيجز وكذا بالنسبة لسكان ثروتنا ولا أحد يستطيع أن ينكر اننا سوف نعانى أيضا من نفس هذا المصير قريبا جدا وذلك بعد أن تقلص عددنا فأصبحنا قلة يرثى لها ، ولذلك فبما أن هذا المصير المرعب قد أحاط بنا فمن الأفضل لنا أن نموت مع الشرف والمجد عن أن نرى زوجاتنا تقاد بأيدى العدو حتى آخر أطراف الدنيا ولو بقيت قلة لكفاحنا ، فاننا سوف نستكمل المسيرة بما يتصف به الرجال البواسل » ، كانت هذه كلمات القوط ،

وقد رد ايريايس على الوجه الآتى « أنتم تقولون انه ينبغى علينا فى الوقت الحاضر وفى شدتنا المتطرفة أن نختار الهلاك مع المعركة عن العبودية وانى أشارككم هذا الرأى (ومع ذلك اعتقد انه من غير اللائق بالنسبة لى أن أركب الموجة وأصبح زعيما للقوط ، اولا لأنى كابن أخ فيتيجز — الرجل الذى كان سىء الحظ بهذه الدرجة الكبيرة — يجب أن أبدو أمام العدو كشخص يستحق الاحتقار وذلك حيث ان الرجال تعتقد أنه فيما بين الاقارب فان الحظ الشبيه ينتقل من يد الى اخرى ، وثانيا فسوف أبدو وكأنى اتصرف كأنى طامع فى اغتصاب الحكم من عمى وفى هذه الحالة ستكون أفئدتكم حانقة على ولكن رأيى هو أنه

يجب على الديبادوس أن يصبح هو الحاكم على القوط فهو رجل نال من الامتياز أعلى درجاته وذو عزم قوى بدرجة ملحوظة كما أن الأمر جدير أيضا بتوديس Theudis حاكم القوط الغربيين فبالنظر الى أنه عم الديبادوس فسوف يكون الأساس لايجاد أمل فى الثقة فيه للاستمرار فى الكفاح ضد خصومنا » ،

وعندما تكلم ايريايس بدوره بهذا الشكل كان يبدو لجميع القوط أن كلماته أظهرت الطريق الذى سيكون فيه نجاحهم فقاموا على الفور باستدعاء الديبادوس وحضر اليهم قادما من فيرونا وعندئذ وبعد الباسه ملابس أرجوانية[٥٠] نصبوه ملكا على القوط وتوسلوا اليه أن يتولى الأمر بنفسه وأن يصحح الوضع بالنسبة لهم هكذا تم لالديبادوس تولى سلطة الملك ولكن وبعد فترة قصيرة من الوقت نادى القوط وتحدث اليهم على الوجه الآتى :

« أيها الرفاق فى السلاح كما أنكم على وعى تام بأن لى خبرة فى كثير من الحروب فاننا سوف لا نشرع أبدا فى الدخول فيها وبى فى اللحظة الراهنة لأن التجارب تعطى حكما صائبا فلا يعتاد الانسان التصرف باندفاع فى أية موضوع والآن ينبغى عليكم — لتكونوا منصفين نحو أنفسكم أن تعيدوا تجميع كل ما تهدم نتيجة ما سبق أن حدث بنا والتخطيط لمواجهة الوضع الحالى مع التذكير بذلك دائما لأنه عندما ينسى الرجال أحداث الماضى فهو غالبا — وعن طريق الحماقة يفقدون عقولهم فى اللحظة الحرجة وعندئذ وعندما يجتاحهم الخطر فانه يلقيهم بعيدا ، وعندما وضع فيتيجز نفسه بين أيدى العدو فان ذلك لم يكن ضد ارادتكم كما أنكم لم تكافحوا لمنعه من ذلك ولكنكم فى ذلك الوقت أحنيتم رأسكم لسوء الحظ واعتبرتم أنه من الأفضل مراجعة مصالحنا وذلك بالجلوس فى البيت واطاعة بليزاريوس عن الزج بأرواحنا فى مخاطر لا نهاية

---

(٥٠) الملابس الأرجوانية اعتاد ان يلبسها أباطرة الدولة البيزنطية وتشبه بهم القوط .

لها والان وبعد أن سمعنا أن بليزاريوس سيتوجه فى الوقت الحاضر الى بيزنطة قررتم أن تقوموا بثورة — ومع ذلك فان كل فرد منكم كان عليه أن يأخذ فى اعتباره أن الاشياء لا تحدث دائما وفق رغبات الرجال ولكن فى كثير من الأحيان تأتى نتيجة الأحداث وبطريقة غير متوقعة على عكس ما كان يخطط لها ؛ فبطريق الصدفة أو تغيير فى أوراق اللعبة تجد معظم الأشياء طريقها وباية وسيلة أن ذلك سوف يحدث لبليزاريوس ولذلك فمن الأفضل أولا الاستعلام منه عما يضره ثم اجراء حوار معه ومحاولة استرجاع الرجل الى الاتفاق الأول وبعد ذلك فقط يمكنكم التقدم الى الخطوة التالية التى ترونها أحسن ».

عندما تحدث الديبادوس هكذا قرر أنه قد أشار بما هو مطلوب على الوجه الأكمل فأرسل مبعوثين الى رافينا بأسرع ما يمكن وعند وصول هؤلاء المبعوثين قبل بليزاروس بالاتفاق الذى أبرم معه وعيروه بأنه نكث عهده ونادوه باسم العبد باختياره لأنه حسب قولهم لم يستح باختياره العبودية بدلا من الملك وبكلام كثير آخر من هذا النوع استمروا فى حثه على قبول الحكم لأنه اذا فعل ذلك فسوف يعلنون أن الديبادوس سوف يأتى بمحض ارادته لكى يضع الأرجوان عند قدميه ويسجد أمام بليزاريوس وذلك كملك على القوط والايطاليين وهكذا فان المبعوثين من جهتهم استمروا فى أحاديثهم تلك معتقدين أن الرجل سوف يأخذ لنفسه وبدون أى تردد لقب الملك فورا ولكنه وعلى عكس ما كانوا يتوقعونه فى الحال قائلا انه طالما كان الامبراطور جستنيان حيا فلن يغتصب منه لقب الملك ولذلك فبمجرد سماعهم ذلك رحلوا بأسرع ما يمكن وأبلغوا ايلديبادوس بكل ما حدث من الأمور ، وأخذ بليزاريوس يشق طريقه الى بيزنطة واقترب الشتاء من نهايته وانتهت فورا السنة الخامسة ٥٤٠م من هذه الحرب التى أرخ لها بروكوبيوس .

تـــاريخ الحـــروب

الكتـــاب (٧)

الحرب القوطية (تابع)

تاريخ الحروب : اكتاب ٧

الحرب القوطية (تابع)

(١)

وهكذا رحل بليزاريوس وذلك بالرغم من أن الموقف لم يتم حسمه بعد ووصــل الى بيزنطة فى صحبة فيتيجز وأعيــان القوط وأطفــال ايلديبادوس محضرا معه كل الكنوز وكان يتولى حمايته الديجر فالريان ومارتيناس • وقد سر الامبراطور جستنيان لرؤية فيتيجز هو وزوجته وتعجب من جمال أجسام البرابرة ورشاقتها ولــكن عند تسلم الثروة الخاصة بثيودريك وكانت ذات مظهر فريد اكتفى بعرضها على أعضاء مجلس الأعيان والسناتو لمشاهدتها بعد ذلك على انفراد فى القصر نظرا لشعوره بالغيرة بسبب عظمة وروعة صناعتها ، وكما وأنه لم يحضرها أبدا امام جمهرة الشعب فانه لم يعط بليزاريوس ثمن النصر المألوف كما سبق أن فعل عندما عاد منتصرا على جيليمر والوندال ، ومع ذلك كان اسم بليزاريوس على شفاه الذى يعزى اليه نصران وهو مــا لم يحدث أن حققه من قبل أحد من الرجال ؛ فقد أحضر الى بيزنطة اثنين من الملوك كأسرى كما وأنه وعلى غير انتظار قضى على الأجناس التابعة لجزريك ملك الوندال وثيردريك وكذا على أملاكهما وهما اثنان من الملوك كانا فيما بين البرابرة على الأقل أكثر الملوك شهرة واستعاد ثروتهم من العدو وأعادها على الفور — للدولة واسترد للامبراطور فى وقت قصير نصف الأراضى والبحر وقد أنتاب السرور اهــالى بيزنطة وهم يرون بليزاريوس خارجا من بيته كل يوم متوجها الى مكان السوق أو عائدا الى بيته ولم يكن أحد منهم يمل هذه الرؤية حيث كان وهو يتقدم أشبه بموكب احتفال غفير فقد كان دائما تحت حراسة عدد كبير من الوندال

والقوط والمغاربة وعلاوة على ذلك كان يتمتع بوجه وسيم كما كان طويله
الجسم رشيق القد بدرجة ملحوظة كما كان وديع الخلق ودودا مع كله
من يقابلهم كما لو كان رجلا فقيرا وليست له أية شهرة[١] .

وكقائد أحبه كل من الجنود والفلاحين حبا لا يقاوم حيث كانوا
يرون أن معاملته لجنوده قد تجاوزت كل حدود الكرم (اذا ما صادفه
أحدهم سوء الطالع فى المعركة كان يواسيه ويعوضه عن جروحه بكثير
من المال وأما من جهة أولئك الذين حازوا تفوقا فكان يهديهم أساور
وعقودا ليلبسوها كجوائز واذا ما فقد جندى فى المعركة حصانه أو
سهمه أو أى شىء آخر مهما كان يقوم بنفسه بتعويضه عنه فى الحال)
وأما معاملته للفلاحين فقد نال محبتهم حيث أظهر لهم كثيرا من التواضع
والاحترام بحيث لم يشعر الكثير منهم بالمعاناة من القسوة عندما كان
بليزاريوس مجرد قائد بل أن أصحاب الأراضى التى كان يقوم بزيارتها
عدد كبير من القوات التى كانت تحت امرته كان يجدون أنفسهم وعلى
غير انتظار قد أصبحوا أغنياء فقد كانوا يرفعون أثمان كل شىء يبيعونه
لجنوده وكلما كانت المحاصيل ناضجة كان بليزاريوس معتادا أن يلاحظ
وبدقة أن السوارى (الفرسان) وهى تمر لا تلحق ضررا بمحصول أى
فرد كما أن الفاكهة عندما تكون ناضجة على الأشجار كان لا يسمح لأى
رجل من رجاله أن يمس شيئا منها وعلاوة على ذلك كانت عنده فضيلة
التحكم فى النفس وذلك بدرجة تبعث على الدهشة ولذلك فلم يحدث
أبدا أن مس امرأة غير المرأة التى تزوجها وهكذا فمع أنه قد أسر عددا
كبيرا من النساء سواء من الوندال أو من القوط وكن على درجة من
الجمال لم يرها أحد فى العالم حسبما أعتقد فلم يسمح لاحداهن أن
تحضر فى وجوده أو تقابله بأية طريقة أخرى وبالاضافة الى كل صفاته

---

(١) يتضح هنا العلاقة الطيبة التى كانت تربط بروكوبيوس ببليزاريوس وكيف أثنى عليه ثناء كبيرا على عكس ما فعله مع غيره خاصة ثيودورا وجستنيان . (المترجمة)

الأخرى كان أيضا ثاقب الفكر بدرجة ملحوظة وفى كل المواقف الصعبة
كان قادرا على أن يقرر وبحكم سديد أحسن الطرق للتصرف هذا علاوة
أنه كان فى أخطار الحرب شجاعا دون ان يعرض نفسه لمخاطر لا داع
لها كما كان جريئا لا يفقد الاتزان سواء وهو يضرب بسرعة أم وهو يمسك
عن القتال مع عدوه فى المعركة وذلك طبقا لما يقتضيه — الموقف وحتى
فى المواقف التى كانت تدعو لليأس كان يظهر روحا معنوية ممتلئه بالثقة
وبعدم الانزعاج لما يحدث من اثارة وأما فى حالات النجاح الكامل فلم
يكن ليسمح بأن يداخله الغرور كما لم يكن ليسمح بان يتمادى فى
التساهل وعلى أى حال فلم يحدث أبدا أن رأى رجل بليزاريوس وهو فى
حالة سكر .

وطوال خدمته فى الجيش الرومانى سواء فى ليبيا أم فى ايطاليا
كان دائما مظفرا كما كان يفوز دائما على كل ما يعترض طريقه مهما كان
ولكنه عندما أعيد الى بيزنطة بموجب استدعاء من الامبراطور فان قدرته
كانت كما لوحظ أكثر مما كانت عليه من قبل كما صادف تقديرا كريما أعظم ،
وبعد أن أصبح متفوقا على جميع القواد الآخرين لانتصاره فى
كل الجبهات وفى كل الاوقات وسواء من جهة سعة ثروته أم عدد أفراد
حراسته ورماه السهام أصبح ينظر اليه بطبيعة الحال من جميع الضباط
والجنود على أنه اشبه بانسان خارق وانى على ثقة من أنه لا يوجد
أحد لديه الجرأة ليقاوم أوامره وأن الرجال التابعين له لم يرفضوا على
الاطلاق تنفيذ الأوامر التى كان يعطيها لهم مهما كانت فكلا الطرفين كان
يحترم قدراته كما كان يخشى بأسه فقد كان معتادا على أن يجهز
سبعة آلاف فارس من عشيرته[٢] لم يكن احد منهم بمستوى هابط بل
كان كل منهم يستطيع القول أن فى قدرته الوقوف فى الخط الأول من
المعركة وتحدى أفضل ما لدى العدو من أفراد وفى الواقع وعندما

---

(٢) المقربون اليه من الرسميين .

حاصر القوط روما وكان كبار الرومان يشاهدون التقـدم فى الكفاح من خلال الاشتباكات[٣] كانوا مندهشين بدرجة كبيرة فأخذوا يصيحون ويرددون أن فردا واحدا من عشيرة الرجل كان يدمر قوة بأكملها .

وهكذا وبعد أن أصبح بليزاريوس — كما وضح أعلاه رجلا ذا قوة هائلة سواء بسبب الاحترام الموجه له أم بسبب حكمه على الأشياء حكما صائبا استمر ينصح باتباع مثل هذه المقاييس لتؤتى ثمارها فى التنظيم الخاص بالامبراطور كمـا كان ينفذ القرارات التى تصله برأى مستقله ولكن بالنسبة للقادة الآخرين نظرا لكونهم لا يشبهونه ويختلفون عنه من جهة النوعية ولا يحملون فكرة واحدة — وى التأكد من مكاسبهم الشخصية فقد بدأوا فى نهب الرومان[٤] ووضع السكان المدنيين تحت رحمـة الجنود ولم يعيروا أى التفات الى ما يقتضيه الوضـع القائم بـل انهم لم يستطيعوا ضـمان طاعة الجنـود لأوامرهم وعـلى ذلك ارتكبت أخطاء كثيرة بسببهم وتم القضاء تماما على البنية الخاصـة بقوة الرومان فى وقت قصير من الزمن والآن سوف انتقل لاحكى قصة تلك الأحداث على قدر — استطاعتى .

عندما علم ايلديبادوس أن بليزاريوس قد غادر رافينا وأصبح فى طريقه خارجها بدأ يجمع حولهجميع البرابرة وما يستطيع جمعه مـن الجنود الرومان الذين يميلون لتأييد الثورة وأخذ يبحث بـكل الطرق عما يقوى حكمه ويعمل بكل اجتهاد ليستعيد لدولة القوط سيادتها على ايطاليا وفى أول الأمر ابتعد أقل من الف رجل سيطروا على مدينة واحدة هى تيسينام ولكن شيئا فشيئا أصبح جميع سكان ليجوريا والبندقية الى جانبـه .

---

(٣) التفاصيل فى الكتاب ٥ — ٦ .

(٤) داخل ايطاليا .

كان الكسندر ALexander يوجد فى بيزنطة وكان يتولى مكتب مراجعة حسابات خزانة الدولة وكان الرومان يطلقون عليه (لوجوثيت Logethete) مستخدمين بذلك اسما يونانيا كان هذا الرجل يتولى دائما شئون العهد والتهم بالنسبة للجنود الذين يتسببون فى خسائر خاصـة خزانة الدولة[٦] وبقيامه بالعمل انتقل من الفقـر الى الغنى الفاحش ولم يقتصر الأمر على ذلك فقد نجح فى جمع مبالغ كبيرة من المال للامبراطور متفوقا فى ذلك على كل من سبقوه فى هذا المضمار ولكنه كان ودون أى شخص آخر هو المسئول بصفة رئيسية عن الفساد فى الجيش الذى كان يتمثل فى أن الجنود كانوا قلة وفى فقر ومحجمين عن مواجهة أخطار الحرب وقد تمادى أهالى بيزنطة فى تسميته حتى أصبحوا يطلقون عليه (المقص) لأنه كان من الأسهل عليه وبكل المهارة أن يقتطع الطرف المحيط بأية عملة ذهبية وبعمله هذا يجعـل الجزء المقتطع أصغر مما يمكن وحسب رغبته كان يحتفظ بالشكل المسـتدير للعملة بالطريقة الأصلية التى كانت عليها وقد سمى الأسم لأن الأداة التى كان يستخدمها لمثل هذا العمل كانت (المقص) هذا المدعو الكسندر كان هو الشخص الذى أرسله الامبراطور بعد استدعاء بليزاريوس للعودة وعند وصوله مباشرة الى رافينا أذاع تقديرا ماليا غير معقول فى حد ذاته وبالرغم من أن الايطاليين كما لم تمس أيديهم أموال الامبراطور فانهم مع ذلك لم يلحقوا أية اساءة بالدولة نفسها فقد دعاهم أولا وقبل كل شىء الى مواجهة فحص لعهدهم واتهامهم لما قد يكونوا قد ارتكبوه من أخطاء بشأنهم وقد أرغم ثيودريك وغيره من حكام القوط أن يدافعوا من المكاسب التى حصلوا عليها ما أدعى هو من مبالغ وذلك عن طريق خداع القوط وفى المقام الثانى كان يجعل الجنود يشعرون بالاحباط وذلك

---

(٥) الشخص الذى يفحص الحسابات « مراقب الحسابات » انظر :
Runciman Byzantine civilization

(٦) الصيانة الخاصة بالجيش كانت تبدو لحنا مما يتعلق ببيانات غير ضرورية للمصروفات .

نتيجة التقديرات التى كان عليه ان يسددها لهم مقابل جراحهم والأخطار التى يتعرضون لها ومن ثم فلم يصبح الايطاليون يتفرون من الامبراطور جستنيان فحسب بل اصبح كل جندى غير راغب فى أن يتحمل الأخطار الخاصة بالحرب وكانوا يرفضون القتال بمحض ارادتهم وبهذا تسببوا فى انماء قوة العدو باستمرار وبدرجة كبيرة •

بينما كان القادة الآخرون باقين فى هدوء على أساس هذا الوضع فان فيتالياس Vitalius وحده (حيث تصادف أن كان له فى البندقية جيش كبير العدد يكون مع غيره حشدا كبيرا من الايرولى البرابرة[٧]) كان له من الشجاعة أن يدخل معركة مع ايلديبادوس لخوفه كما حدث فعلا من أنه فى وقت لاحق وعندما تصبح قوته قد نمت بدرجة كبيرة فلن يكونوا قادرين بعد ذلك على كبح جماحه ولكن فى خلال المعركة الشرسة التى اندلعت بالقرب من مدينة تاربيسيام Tiarbesium[٨] هزم فيتالياس هزيمة سيئة للغاية وفر هاربا بعد أن انقذ عددا قليلا من رجاله وأما الغالبية الباقية منهم فقد فقدهم هناك وفى تلك المعركة سقط كثير من الأيرولى صرعى كان من بينهم فيساندس Visanddus قائد الايرولى ، واما توديماند Theudimund أن موريشياش Maaricus وحفيد ماندياس Murdus وكان مجرد صبى فى ذاك الوقت فقد تعرض فعلا لخطر الموت ولكنه نجح فى الهروب مع رفيقه فيتالياس Vitalius وكنتيجة لهذا الانجاز فان اسم ايلديبادوس وصل الى سمع الامبراطور وشمل كافة ارجاء العالم •

ولكن بعد مده من الوقت اندلع العداء بين ايرياس وايلديبادوس للسبب الآتى ذكره • كان لايرياس زوجة كانت تعتبر لاثروتها وجمالها

(٧) انظر ما سبق من تعريفنا للشعب الايرولى او الهيرولى •

(٨) تاربيسيام Tarbesum حاليا بمدينة تريفيزيو Triviso فى ايطاليا « المترجمة » •

الأولى بين جميع نساء هؤلاء البرابرة حدث مرة أن توجهت الى الحمام مزدانه بحلى باهرة مما يلفت النظر ومستصحبة معها مجموعة من رفيقاتها من الأسر المرموقة وعند رؤيتها زوجة ايلديبادوس هناك فى كساء بسيط فانها لم تكتف بعدم الانحناء لزوجة الملك تعظيما لها بل انها تجاهلتها أيضا فالحقت بها اهانة لأن ايلديبادوس كان ما زال فى فقر فلم يصل اطلاقا الى درجة الثروة الملكية فاتت زوجة ايلديبادوس وكانت مستاءة للغاية بسبب الاهانة غير المباشرة والتى تدعو للاستفزاز الى زوجها والدموع فى عينيها وطلبت منه أن ينتقم للمعاملة الشائنة التى تلقتها من زوجة ايرياس ونتيجة لذلك قام ايلديبادوس اولا بأن قدم للبرابرة وشاية ضد ايرياس متهما اياه أنه يعتزم الهرب الى العدو ولكنه حكم عليه بالموت فيما بعد لخيانته وبهذا جلب لنفسه عداء القوط فلم تكن رغبتهم على الاطلاق وطبقا لذلك أن يبعد ايرياس هكذا عن العالم بلا طقوس احتفالية فعلى الفور شكل عدد كبير منهم جماعة بدأت تتهم ايلديبادوس وبشكل عنيف بانه قد ارتكب عملا دنسا ومع ذلك فلم يكن هناك أحد عازم على أن ينتقم لجريمته الشائنة هذه •

ولكن كان هناك فرد واحد بينهم يدعى فيلاس ومع أنه كان من الجبيداى[٩] بحكم مولده الا أنه نال شرف الخدمة بين حراس الملك كان هذا الرجل يتودد الى امرأة جميلة بدرجة تستلفت النظر وقد أحبها حبا غير عادى ولكنه بينما كان فى حملة ضد العدو لشن هجوم عليه مع جماعة معينة من رفاقه قام ايلديبادوس سواء عن جهل أم بدافع معين بتزويج عروسه المرتقبة الى شخص آخر من بين البرابرة وعندما عاد فيلاس من الجيش وسمع بهذا وكان بطبيعته حاد الطباع لم يتحمل الاهانة التى لحقت به هكذا وقرر على الفور أن يقتل ايلديبادوس معتقدا أنه ذلك يقدم خدمة لجميع القوط وبينما كان الملك يقيم وليمة لأحد

(٩) الجبيداى احد الشعوب الجرمانية •

أعيان القوط أخذ يتحين الفرصة لتنفيذ مؤامراته عندما يتناول الملك طعامه • جرت العادة أن يقف كثير من الأشخاص حوله ومن بينهم الحرس الملكي وعليه فعندما مد يده لتناول الطعام كان مضطجعا على المقعد الوثير اطاح فيلاس برأسه مستخدما سيفه فبينما كان الطعام ما زال في قبضة أصابع الرجل كانت رأسه تسقط على المائدة وملأت جميع الحاضرين مشاعر الوجوم والذهول وكان ذلك هو الانتقام الذى لحق بايلديبادوس عن قتله ايرياس واقترب الشتاء من نهايته وانتهت بهذا السنة السادسة فى هذه الحرب ٥٤١ بعد الميلاد القصة التاريخية التى كتبها بروكوبيوس •

(٢)

كان من بين الجيش القوطى رجلا ينتمى الى قبائل الروجى Rogi وكان ذا قوة كبيرة من بين البرابرة وهؤلاء الروجى هم فى الواقع دولة قوطية ولكنهم فى الأزمنة القديمة اعتادوا الحياة مستقلين ولكن ثيودريك سبق أن أقنعهم مع دول أخرى معينة أن يشكلوا تحالفا معه وكان أن ذابوا فى الدولة القوطية وأخذوا يتصرفون على وجه العموم فى كل الأشياء ضد أعدائهم ولكنهم لما كانوا لم يخالطوا نساء اجنبيات على الاطلاق بل اكتفوا بمخالطة نساء عشيرتهم فان كل جيل لاحق من الأطفال كان يحمل دما غير مخلط وهكذا احتفظوا باسم دولتهم فيما بينهم وخلال الشغب الذى تلا مقتل ايلدايبادوس نودى بايرارك ملكا من قبل الروجى وقد بعث هذا التصرف السرور فى القوط الى حد ما ومع ذلك فأغلبهم أنتابهم حالة يأس كبير لأن الآمال التى وضعوها فيما سبق على ايلديبادوس قد خابت لأنهم كانوا يشعرون أنه كان قادرا على استرداد ، المملكة والهيمنة على ايطاليا لحساب القوط ومع ذلك فان ايراريك لم يفعل شيئا يستحق الذكر فبعد أن عاش فى مركزه خمسة شهور توفى بالطريقة الآتية : كان هناك ابن أخ لايلديبادوس يدعى توتيلا Totila وهو رجل حذر حاد النشاط وكان يحظى باحترام كبير من

القوط تصادف أن قام توتيلا هذا بقيادة القوط فى تاربيسيوم Tarbesium ولكنه لما علم بان ايلديبادوس قد أبعد من بين الرجال على النحو السابق ايضاحه الى كوستانتيونس Constaninus فى رافينا يطلب تعهدات تعطى له من أجل سلامته وذلك على شرط أن يسلم نفسه للرومان هو والقوط الذين تحت امرته على طول خط تاربيسيوم • استمع كوستانتيونس لهذا العرض بسرور وأقسم بأنه سينفذ كل شىء طلبه تويتلا ووافق كل طرف على تحديد يوم واحد لتنفيذ العملية التى قرروا فيها أن يقوم توتيلا والقوط الذين كانوا فى حراسة تاربيسيام شركاء كوستانتيوس فى المدينة ، وأن يسلموا أنفسهم والمدينة اليهم •

ولكن القوط كانوا غير راضين عن حكم ايراريك حيث كانوا يرون الرجل عاجزا عن الاستمرار فى الحرب ضد الرومان كما كانت أغلبيتهم تتهمه بأنه هو الذى وقف فى طريقهم وحطم الانجازات الكبيرة واتهموه بأنه هو الذى أطاح بايلديبادوس[١٠] واخيرا أبرموا اتفاقا فيما بينهم وأرسلوه الى توتيلا فى تاربيسيوم يحثونه على اتخاذ السلطة الملكية فقد بدأوا يشعرون بالأسى والترحم على حكم ايلديبادوس كما بدأوا يتجهون بأملهم فى النصر نحو قريبه توتيلا حيث بدأوا يشعرون بالثقة فى الرجل وذلك لأن رغبته هى نفس رغبتهم وأما بالنسبة لتوتيلا فعندما اتى الرسل امامه وبدون اخفاء أى شىء أباح باتفاقه مع الرومان ولكنه قال ان القوط اذا ما قتلوا ايراريك قبل الوقت المحدد فانه سوف يتبعهم وينفذ كل شىء طبقا لمشيئتهم وعندما سمع البرابرة ذلك شرعوا فى تدبير مؤامرة القضاء على ايراريك هكذا كان مسار الأحداث فى المعسكر القوطى •

---

(١٠) هذا اول تلميح بأن ايراريك كان له يد فى مقتل ايلديبادوس حيث ورد فى الفصل السابق ان ذلك كان منسوبا الى فيلاس •

وفى تلك الأثناء فان الجيوش الرومانية بالرغم من أنها كانت تتمتع بالأمان كنتيجة لانشغال العدو فلم يتحركوا ويوحدوا قواهم ولم يقوموا بأى عمل ضد البرابرة أما فيما يتعلق بايراريك فقد دعا جميع القوط واقنعهم بارســـال مبعوثين الى الامبراطور جستنيان ليرجوه أن يعقد مرسوما معهم بنفس الشروط التى كان يريد من قبل ابرامها مع فيتجز أى بشرط أن يمتلك القوط الاقليم شمال البو وذلك اذا ما انسحبوا من بقية ايطاليا وبما أن هذا قد نال استحسان القوط فقد انتقى بعضا من أولئك المقربين اليه بصفة خاصة وأرسلهم كمبعوثين وظاهريا كان على هؤلاء المبعوثين أن يتعاملوا بنفس الشروط التى سبق أن أوضحناها أعلاه ولكنه أعطى تعليمات فى السر بألا يتعاملوا مع الامبــراطور الا عن كيفية استلامه مبلغا كبيرا من المال يسجل فيما بين النبلاء مقابل تسليم كل ايطاليا والتنازل عن لقبه الرسمى ، وهكذا فان المبعوثين تقدمــوا عند وصولهم الى بيزنطة تفاوضوا فى هذه الامور وفى ذلك الوقت قتــل القوط ايراريك غدرا وبعد موته تولى توتيلا الحكم للاتفاق الذى أبــرم معهــم •

(٣)

لـــا علم الامبراطور جستنيان بالمصير الذى آل اليه ايراريك وأن القوط قد نصبوا توتيلا حاكما عليهم أخذ يوبخ قواد الجيش فى ايطاليا ويزجرهم ولم يعطهم أية مهلة فقد كانت نتيجة تلك الحرب أن حنا ابن آخ فيتاليان وبيســـاس وفيتالياس وجميع الاخرين تجمعوا فى رافينا واقامــة التحصـــينات فى كـــل مدينـــة حيـــث يقيـــم كوســـتانتيونس والكسندر اللذين أشرت اليهما فيما سبق[١١] ولـــا اجتمع شملهم جميعا تقرر أن أفضل تصرف لهم هو أن يسيروا أولا نحو فيرونا التى تقع فى البندقية ثم بعد الاستيلاء على تلك المدينة والقوط بها يتحركون نحو

(١١) فصـــل ١١ •

توتيلا وتيسينوم وهكذا تجمع هذا الجيش الرمانى بقوة اثنى عشر الف رجـــلا وبعدد أحـــد عشر قائدا كـــان اولهم وعلى مقدمـــة الجيـــش كرستانتيونس الكسندر وساروا رأسا نحو مدينة فيرونا[١٢] وعندما وصلوا الى مـــكان مـــلاصق عـــلى بعـــد ســـتين ستيد أقاموا معسكرا فى الســـهل الموجـــود هنـــاك نظـــرا لأن الســـهول التى تـــلائم السوارى (الفرسان) تمتد فى كل اتجاه من ذلك المكان وحتى مدينة مانتوا[١٣] التى تقع على مسافة رحلة يوم واحد من مدية فيرونا •

كان هناك رجل له منزله بين البنادقة واسمه مارسيان يعيش فى حصن لا يبعد كثيرا عن مدينة فيرونا ولما كان من أتب اع الامبراطور المخلصين تعهد وبكل الحماس أن يسلم المدينة للجيش الرومانى وحيث انه كان على صلة بأحد الحراس منذ الطفولة فقد أرسل اليه بعضا من المقربين اليه واقتنـــع الرجـــل عن طريق الرشـــوة أن يســـتقبل جيش الأمبراطور داخل المدينة وعندما وافق حـــارس البوابة على ذلك أرسل مارسيان أولئك الذين دبروا الأمر مع الحارس الى قـــادة الجيـــش الرومانى حتى يقوم الطرفان بابلاغهم بالترتيبات التى أعدت وللانضمام اليهم عند اقتحام المدينة فى الليل عندئذ قرر القادة أنه من المستحسن أن يذهب أحد منهم مقدما ومعه عدد قليل من الرجال فاذا ما قام الحارس بفتح البوابات لهم وضعوا أيديهم عليها واستقبلوا الجيش سالما وهو يدخل المدينة غير أن أحدا من بينهم لم تكن لديه الرغبة فى التعهد بمثل هذا العمل الخطير وذلك فيما عدا ارتابازيس Artabazis وحده وهـــو أرمنى المولد ، ولكنه كان يمتلك قدرة غير عادية فى مجال الحرب فعرض نفسه عن طيب خاطر للقيام بهذه المهمة ، كان هذا الرجل قائدا لبعض

(١٢) مدينة فيرونا تقع فى ايطاليا على بعد خمس وستين ميلا غرب البندقية •

Setton v op. cit., vol I. p. p. 662.

(١٣) تقع مدينة مانتوا غرب فيرونا •

عفاف صبره « العلاقات بين الشرق والغرب » ص ١٦ •

الفرس التابعين لبليزاريوس والذين سبق ارسالهم الى بيزنطة من اقليم فارس بليستشاميس Bleschames قبل ذلك بمدة قليلة وذلك بعد قيامه بالاستيلاء على حصن سيزورانوم[١٤] وهكذا ففى هذه المناسبة انتخب مائة رجل من جميع أفراد الجيش وفى ساعة متأخرة من الليل صعد قريبا من التحصينات وعندما فتح الحارس لهم البوابة — بناء على الاتفاق — اتخذ بعضهم موقعه هناك وأخذوا يحثون الجيش على أن يأتى بينما أخذ الآخرون فى تسلق الحائط وقتلوا الرجال الذين كانوا يتولون الحراسة هناك بقيامهم بغارة مفاجئة عليهم دون انذار سابق وعندئذ قامت كل قوات القوط وقد أدركت ورطتها بالاندفاع من البوابة الأخرى مولية الأدبار .

كانت هناك صخرة معينة ترتفع ارتفاعا كبيرا فى مواجهة تحصينات فيرونا ومنها يمكن مشاهدة كل شىء يحدث فى المدينة واحصاء أفرادها وعلاوة على ذلك يمكن أيضا الرؤية لمسافة كبيرة من السهل وهناك تقهقر القوط وبقوا فى هدوء طوال الليل وأما بالنسبة للجيش الرومانى فقد تقدم نحو نقطة داخل المدينة بمسافة أربعين ستيد ولكنهم لم يتقدموا أكثر من ذلك وانشغل القواد فى نزاع فيما بينهم بشأن الأموال الموجودة فى المدينة واستمروا فى التشاجر فيما يتعلق بنهبها حتى جاء الفجر ولكن القوط وبعد مشاهدتهم بكل دقة أعداد افراد العدو المنتشرين داخل المدينة والمسافة التى تفصل بين باقى الجيش عن فيرونا اندفعوا الى داخل المدينة ومروا من خلال نفس البوابة التى سبق لهم أن رحلوا منها حيث كان أولئك الذين دخلوا المدينة غير قادرين حتى على الوصول الى هذه البوابة وهكذا فان الرومان بعد التشاور فيما بينهم أسرعوا فى البحث عن مكان أمين على السور بطول الحائط الدائرى ، وعندما أغار البرابرة عليهم بأعداد كبيرة ومن

---

(١٤) الكتاب ٢ فصل ١٩ .

جهات قريبة منهم أظهروا جميعا وبصفة خاصة ارتابازيس Artabazes اعمالا مجيدة وردوا المغيرين عليهم بشجاعة فائقة .

فى تلك اللحظة كان قادة الرمان قد توصلوا أخيرا فيما بينهم الى اتفاق بشأن الأموال فى فيرونا وقرروا التقدم نحو المدينة للاستيلاء عليها ممن تبقى معهم من الجيش ولكنهم عندما وجدوا البوابات مغلقة أمامهم والعدو يقوم بحراستها بشجاعة كبيرة أسرعوا الى الخلف بالرغم أنهم رأوا الآخرين يقاتلون داخل التحصينات ويرجونهم عدم التخلى عنهم والانتظار فى مكانهم حتى يستطيعوا انقاذ أنفسهم بالهروب اليهم وهكذا فان ارتابازيس ورجاله وقد غلبوا على يد الأعداء يئسوا من مساعدة جيشهم وقفزوا جميعا خارج الحائط فبالنسبة لهؤلاء الذين كانوا محظوظين بالقفز على أرض ناعمة عادوا الى الجيش الرومانى دون ضرر وكان من بينهم أرتابازيس ولكن بالنسبة للكثيرين الذين سقطوا على أرض يابسة فقد قتلوا على الفور وعندما وصل ارتابازيس الى الجيش الرومانى تقدم معهم بعد أن وجه الى افراده كثيرا من الشتائم وبعد أن عبروا ايريدانوس Eridanus [١٥] دخلوا مدينة فافينتيا Favehtia [١٦] التى هى أرض أميليا Aemilia على بعد مائة وعشرين ستيد .

(٤)

وعندما علم توتيلا بما حدث فى فيرونا قام باستدعاء كثير من القوط من تلك المدينة وعند وصولهم انتقل بكل جيشه الذى كان يبلغ خمسة آلاف رجل لمواجهة خصومة وعندما علم قادة الجيش الرومانى بذلك بدأوا فى التباحث بشأن وضعهم وحضر ارتابازيس وتحدث اليهم على الوجه الآتى :

---

(١٥) حاليا « يسمى البو Po »

(١٦) فينزا الحديثة Faienza بايطاليا .

« أيها القادة الرفاق لا تجعلوا أحدا منكم يعتقد أنه من المناسب فى الوقت الحاضر أن نحط من شأن العدو لأن أفراده أقل عددا من أفراد جيشنا ولا لأنهم يقاتلون ضد رجالا عبيدا أصبحوا عبيد لبليزاريوس دعوه يتقدم لمواجهتهم على نحو من التفكير الطائش فكثير من الرجال وقد خدعوا بتقديرهم الزائف جلبوا لأنفسهم السقوط بينما الآخرون الذين لديهم شعور كامل بازدراء حماقاتهم فانهم يرون قوتهم يقضى عليها بسبب ذلك وبخلاف ذلك فان حقيقة سوء حظهم السابق تغرى هؤلاء الرجال بالحصول على نصيب أكثر عدلا لأن الحظ عندما يجعل الانسان يصل الى مرحلة اليأس ويسلب منه كل آماله الجميلة فانه يغير من طبيعته ويقوده الى درجة غير عادية من الشعور بالجرأة وانى لم اقدم لكم هذه التقارير لأنى مدفوع بمجرد الشك فيكم ولكن بسبب معرفتى اخيرا بجرأة أولئك الرجال أثناء القتال الميت معهم ولا تدعوا أحدا يعلم أنى اتعجب من قوتهم لأنى سبق أن هزمت بعدد من الرجال يعد على الأصابع فالى أولئك الذين سوف يأتون ليتفاخروا يجب أن يعرفوا أن انتصار الناس يظهر سواء أكانوا متفوقين فى العدد أم كانوا قلة ان رأى حينئذ هو انه سوف يكون من مصلحتنا أكثر ملاحظة عبور البرابرة للنهر واثناء تقدمهم فى العبور وبينما يكون نصف عددهم قد عبر نلتحم معهم مباشرة فهذا أفضل من أن يكون هذا الالتحام وهم متجمعون فى مكان واحد ولا تدعوا أحدا يعتبر هذا نصرا مخجلا فحصيلة الأحداث هى التى تبرر عادة هل الفعل يوصف بأنه مجيد ام مخجل وان الظافرين هم الرجال الذين يعتادون المدح بدون البحث عن الوسيلة الخاصة بالنصر » هكذا تكلم أرتابازيس Arttbazes •

ولكن القادة — بالنظر الى تشعب آرائهم لم يفعلوا أى شىء من الأشياء المفروضة عليهم واستمروا فى البقاء حيث هم وفقدوا فرصتهم بهذا التأخير .

واقترب جيش القوط وعندما أصبحوا على وشك عبور النهر ناداهم توتيلا جميعا وحذرهم على الوجه الآتى : « أيها الأقرباء ان كل المعارك الأخرى تعطى كمبدأ عام — عهدا بالنضال الذى سيصبح أكثر أو أقل وبموجب ذلك تحرص الجيوش القائمة على الكفاح ولكنا ندخل هذا القتال بمستوى غير متكافىء مع عدونا من جهة الميزات التى منحها لنا الحظ ولكنا موقفنا صعب للغاية لأنه حتى فى حالة هزيمة العدو فانه يكون قادرا فى وقت ليس بالطويل على استئناف القتال ضدنا فقد ترك العدو خلفه جيشا كبيرا محتشدا فى المعاقل داخل ايطاليا بأكملها وعلاوة على ذلك ولا يستبعد أن يأتى جيش آخر وفى وقت مبكر من بيزنطة لمساعدتهم لكن ومن جهة أخرى اذا ما عانينا نفس هذا المصير فسوف يكون ذلك نهاية لاسم وآمال القوط فمن جيش يتكون من مائتى ألف رجل قد نقص فى مسار الأحداث الى خمسة آلاف رجل ويمثل هذا الاستهلاك أعتقد أنه من المناسب أن أعيد الى ذاكرتكم هذه الحقيقة أيضا وهى أنه عندما قررتم شهر أسلحتكم مع ايلديبادوس ضد الامبراطور كان عدد جماعتكم قد ارتفع الى اكثر من الف رجل بينما اقليمكم بأكمله كان يتكون من مدينة تيسينوم ولكن منذ أن أصبحتم من المنتصرين فان كلا من جيشنا واقليمنا أزداد حجما ولذلك فاذا كنتم عازمين فى تلك المعركة على أن تظهروا نفس هذه الروح من شجاعة فانى مليىء بالأمل أنه طالما أن الحرب مستمرة وسائرة فى طريقها الطبيعى فاننا سوف نحقق الهزيمة الكاملة لخصومنا فالحقيقة تبرهن دائما على أن الفائزين يزدادون فى العدد وفى القوة ولذلك دعوا كل فرد منكم أن يكون متلهفا على خوض المعركة مع العدو بكل قواه وأعرفكم أننا اذا لم نوفق فى معركتنا الحالية فسوف يكون من المستحيل علينا أن نجدد كفاحنا ضد خصومنا وعلاوة على ما تقدم فمن المعقول بالنسبة لنا أن نمسك بتلابيب العدو بآمال كبار مستلهمين الشجاعة مع الوقائع الظالمة التى ارتكبها فقد كان سلوكه نحو تحقيق أغراض هو أن الايطاليين

فى الوقت الحاضر لا يحتاجون الى عقاب أكثر بسبب غدرهم الفاضح الذى جرموا على أن يرتكبوه ضد القوط لذا فمن الحق أن كل شكل من أشكال الشر وفى كلمة واحدة قد حل على كثرتهم بأيدى هؤلاء الذين استقبلوهم بالترحاب ثم أى عدو يمكن التغلب عليه بسهولة أكثر من هؤلاء الرجال الذين تعتبر أعمالهم — حتى تلك التى تمت باسم القوط — أعمالا شريرة تماما(١٧) ليس هذا فحسب بل ان نفس الخوف الذى توجيه اليهم ينبغى أن يكون وعلى وجه سليم سببا للثقة من جهتنا ونحن ندخل المعركة فهؤلاء الذين نتقدم لملاقاتهم ليسوا أكثر من رجال تسللوا أخيرا الى داخل ووسط فيرونا ثم تخلوا عن ذلك دون أى سبب وجيه وبالرغم من أن أحدا لم يتبعهم فقد اندفعوا للخارج مولين الأدبار بطريقة شائنة » •

بعد توجيه هذه الرسالة التشجيعية امر توتيلا ثلاثمائة رجل من الفرق العسكرية ان يعبروا النهر على مسافة نحو عشرين ستيد من حيث يقفوا ويأتوا الى خلف معسكر العدو وعندما تشرف المعركة على الانتهاء يقوموا بالهجوم على مؤخرته لازعاجه بقذائفهم ثم الهجوم عليه بكل ما لديهم من قوة وذلك حتى يمكن ارباك الرومان وابطال أى تفكير فى المقاومة وأما هو نفسه وفى أثناء ذلك ومع بقية الجيش فقد عبروا النهر على الفور وتقدموا مباشرة نحو خصومهم وعندئذ اتى الرومان فى الحال لملاقاتهم وعندما كان الجيشان يتقدمان وأصبح كل منهما قريبا من الآخر قام أحد القوط ويدعى فالاريس Valaris وكان رجلا طويل الجسم بطلعة تبعث على الخوف نشيطا مقاتلا من الدرجة الأولى ركب حصانه قبل بقية الجيش واتخذ موقفه فى الفضاء بين الجيشين مرتديا عدة حربية وواضعا خوذة فوق رأسه وتحدى أحد الرومان اذا ما كانت لديه رغبة فى أن ينازله وعليه بقى الكل فى وجوم وقد ملكهم الرعب وذلك فيما عدا ارتابازيس Artabazes

(١٧) اشارة الى نكثهم عهودهم .

الذى انتظر خصمه ثم القى بسهمه الأول الذى أخترق الجانب الأيمن من فالاريس وكان البربرى وقد أصيب اصابة قاتلة واصبح على وشك السقوط على الأرض من الخلف ولكن سهمه كان مازال على الأرض خلفه ملتصقا بصخرة منعته من السقوط وأما من جهة ارتابازيس فقد استمر فى الضغط على الجزء الأمامى بجرأة أكثر طاعنا الرمح فى الأعضاء الحيوية من جسم خصمه حيث لم يكن يفترض أنه كان يعانى من جرح مميت وهكذا انتهى الأمر بأن سهم فالارياس وقد بقى الطرف الحديدى منه منتصبا الى أعلى مقابل رداء ارتابازيس بدأ يدخل شيئا فشيئا مخترقا رداءه استمر فى شقة حتى اخترق رقبة ارتابازيس وبمحض الصدفة فان الطرف الحديدى نظرا لأنه اندفع الى الامام قطع شريانا فى تلك المنطقة من الجسم وعلى الفور اندفع تيار كبير من الدم ومع ذلك فان الرجل وقد تدرب على الشعور بالألم عاد الى الجيش الرومانى بينما سقط فالاريس ميتا على الأرض فى تلك البقعة ولكن تيار الدم الذى كان يندفع من ارتابازيس لم تخف وطأته وفى اليوم الثالث وبعد رحيله عن الرجال بددت هذه الكارثة كل آمال الرومان حيث أصبح غير قادر على القتال فى الاشتباك التالى كما أنه قد أثر بهذا الوضع على تنظيمهم تأثيرا سلبيا الى حد ما لأنه بينما خرج عن دائرة القذف بالسهام وأصبح منشغلا بجرحه فقد اشتبك الجيشان مع بعضهما البعض •

ولكن عندما كان الاشتباك على أشده ظهر فجأة البرابرة الثلاثمائة وهم يتقدمون خلف الجيش الرومانى وعندما رآهم أولئك الرجال اعتقدوا أن المغيرين عليهم كانوا اعدادا ضخمة للغاية انتابهم الهلع واندفعوا لائذين بالفرار بأقصى ما يمكنهم من قوة وأما من جهة البرابرة فقد استمروا فى ذبح الرومان وهم يولون الأدبار فى فوضى كاملة كما أسروا عددا كبيرا منهم ووضعوهم تحت الحراسة كما استولوا على أعلام كل فرقهم وهو شىء لم يسبق أن حدث للرومان على وجه

الاطلاق[١٨] أما من جهة القادة فقد فر كل منهم بأسرع ما يمكنه مع قليل من الرجال يجدون السلامة فى أية مدينة يقابلونها مهما كانت وليقوم هؤلاء الرجال بحراستهم .

(٥)

بعد ذلك بقليل أرسل توتيلا جيشا ضد جستينوس Justinus فى فلورنتيا Florentia [١٩] واضعا على قيادته أفضل مقاتليه من القوط : فليداس Viedas ، روديريك Rodric ، ويوليارس Uliaric ، وعندما وصلوا فلورنتيا أقاموا معسكرا بجوار السور وضربوا حصارا وبناء عليه فان جوستينوس وقد اصابه هياج كبير بسبب عدم احضاره أية امدادات للمدينة أرسل الى قواد الجيش الرومانى فى رافينا يرجونهم الحضور لمساعدته بأسرع ما يمكن وقد انسل حامل الرسالة من بين خطوط العدو ليلا دون أن يلحظه أحد وعند وصوله رافينا أبلغ الوضع الذى واجه الحامية ونتيجة لذلك بدأ جيش رومانى له وزنه فى الشروع وعلى الفور فى الاتجاه الى فلورنتيا تحت قيادة بيساس وحنا ابن أخ فيتاليان ولما علم القوط بأمر هذا الجيش عن طريق الكشافة الخاصة بهم فكوا الحصار وانسحبوا الى مكان يسمى موسيليس[٢٠] وهو على بعد رحلة يوم واحد من فلورنتيا ولما انضم الجيش الرومانى الى قوات جوريستينوس ترك القواد عددا قليلا من رجاله لحراسة المدينة ولكنهم أخذوا الباقين معهم لملاقاة العدو .

---

(١٨) غير صحيح بطبيعة الحال ، فقد سقطت هذه الاعلام ايام كراسوس Cruss سنة ٣٥ . ق.م وايام فاروس Varus سنة ١٠٠ م كان من الواجب ان تكون معلومة لبروكبيوس .

(١٩) فلورنسا الحديثة Florence

(٢٠) موسيليس Mucellis هى الآن موجيلوه Mugello

وبينما كانوا يتقدمون فى طريقهم قرر أحد القواد أن أفضل خطة تعود بالنفع هى أن يختار أشهر المقاتلين من الجيش كله وأن يذهب معهم فى مقدمة الآخرين ثم يقوموا بهجوم مفاجىء على العدو بينما يتقدم باقى الجيش دون سرعة فى سيره ويشتبك مع العدو بعد ذلك ولكنهم تباحثوا كثيرا بشأن الخطة وانتظروا دور الحظ فى الموضوع بل ان الكثير منهم تشاجر من أجل حنا الذى خالفهم الرأى ولكن القواد كانوا فى رغبة عاجلة لتنفيذ هذا الاتفاق وهكذا أرغم حنا وفرقته الخاصة على التقدم وحدهما أمام الآخرين وشن هجوم على العدو ولكن البرابرة عندما علموا أن خصومهم كانوا يتقدمون نحوهم وأصبحوا فى فزع كبير قرروا أن يتخلوا عن السهل حيث كانوا قد أقاموا معسكرهم واندفعوا فى حالة ارتباك الى قمة التل العالى الذى يرتفع فى الجوار لما وصلت قوة حنا هناك اندفعت هى الأخرى فى اتجاه العدو وبدأوا المعركة ولكن نظرا لأن البرابرة قد دافعوا عن أنفسهم بجرأة فقد حدث كفاح عنيف وأخذ كثير من رجال الطرفين يسقط بينما يظهرون بطولة ملحوظة وبالرغم من أن حنا كان يقود الهجوم وهو يصيح ويحدث جلبة ضد العدو الذى يواجهه فقد حدث أن واحدا من حراسه أصيب بنبلة صوبت اليه من العدو فسقط على الأرض ونتيجة لذلك فان الرومان وقد تم صدهم بدأوا يرتدون الى المؤخرة .

وفى ذلك الوقت كانت بقية الجيش الرومانى قد وصلت أيضا الى السهل وتجمعت على شكل فرقة كبيرة وأخذت فى الانتظار ولو انها قامت بتدعيم فرق حنا التى كانت عندئذ فى كامل قتالها لكانت قد تقدمت هى وفرق حنا الى العدو ولم تقتصر على هزيمته فى المعركة فحسب بل لكانت قد اسرت قوته كلها ولكن حدث بطريق الصدفة أن ذاع تقرير غير صحيح بين الجيش الرومانى مفاده ان حنا قد هلك على يد أحد حراسه الخصوصين وذلك اثناء عملية التقدم وبعد ان وصل التقرير الى القادة لم يعودوا راغبين فى الاحتفاظ بموقعهم وبدأوا فى الارتداد بشكل شائن فلاهم

احتفظوا بفرقهم فى نظامها ولاهم تحركوا على شكل مجموعات متناسقة بل أخذ كل رجل منهم يندفع هاربا بأقصى ما يستطيع من سرعة وفى الواقع هلك عدد كبير فى هذا الهروب وأما بالنسبة للباقين الذين انقذوا من هذا المصير فقد استمروا فى فرارهم لعدة أيام وذلك بالرغم من أن احدا لم يكن يتتبعهم وبعد ذلك بفترة دخلوا مثل هذه الحصون فرادى وكان البلاغ الذى تصادف أن وصله هو أن حنا قد مات وبالتالى فلم يعد أحدیتصل بالآخر كما لم يعد الهدف هو الاتحاد مع الاخرين لملاقاة العدو فيما بعد وبقى كل منهم داخل الحائط الدائرى للحصن الخاص ببلده وبدأ فى الاستعداد للحصار خوفا من ان يأتى البرابرة وفى أثناء ذلك فان توتيلا كان يظهر عطفا على سجنائه وبهذا نجح فى الفوز بتحالفهم ومنذ ذلك الحين فان أكثرهم طواعية دخلوا الخدمة تحت امرته ضد الرومان وبدأ الشتاء يقترب من نهايته وانتهت السنة السابعة من هذه الحرب التاريخ الذى كتبه بروكوبيوس ٥٤٢ بعد الميلاد .

(٦)

بعد ذلك استولى توتيلا على حصنى كاسنيا Caesena [٢١] وبيترا Petra ثم بعد ذلك بقليل دخل توسكانى[٢٢] واجرى فحصا على الأماكن بها ولكن نظرا لأن احدا لم تكن لديه النية للاذعان له فقد عبر التيبر ولتحاشى دخول اقليم روما تماما فقد تقدم على الفور فى اتجاه كمبانيا Campania [٢٣] وسامنيوم Samnium وبلا

(٢١) حصن كاسينا Caesena يسمى حاليا سيسينا Cesena « المترجم »

(٢٢) توسكانى Tuscany مدينة فى وسط ايطاليا
Setton « op. cit., » vtl. I, p. 661.
« المترجم »

(٢٣) منطقة كمبانيا تقع حول مدينة نابلى .
Setton p. 635.

متاعب ظفر بالمدينة القوية : بينفينتوم Benveutum [٢٤] التى ساوى أسوارها بالأرض وذلك حتى لا يستطيع أى جيش قادم من أن يحاصر نابلى Naples [٢٥] وذلك لأن السكان بالرغم من دعوته لاستخدام هذه القاعدة القوية أن يسبب متاعب للقوط وبعد ذلك فرق الكثيرة لاستمالتهم كانوا عازفين تماما عن استقباله فقد كان كونون Conon يقوم بالحراسة هناك مع قوة تقدر بألف من الرومان والايزوريين وأقام توتيلا نفسه مع أكبر جزء من جيشه معسكرا ليس ببعيد عن الحصون وبقوا فى هدوء ولكنه أرسل جزءا من جيشه استولى به على حصن كيومى[٢٦] كذا حاميات أخرى نجح بها فى تجميع مبالغ كبيرة من المال وعندما وجد زوجات بعض أعضاء مجلس الأعيان هناك فانه لم يمتنع عن توجيه أية اهانة لهن فحسب بل أظهر عطفا حقيقا بأن جعلهن يذهبن احرارا وبهذا التصرف نال شهرة كبيرة من الحكمة والانسانية بين جميع الرومان .

وحيث انه لم تحدث عمليات عدائية ضده فقد استمر فى ارسال فرق صغيرة من الجيش بطريقة غير مباشر حقق بها نتائج على درجة كبيرة من الأهمية وبهذه الطريقة أخضع بروتى ولو كان تحت سيطرته كما كسب أبوليا وكالابريا[٢٧] بالمثل وقام بنفسه بجمع الضرائب العامة كما تسلم المتحصلات عن الأراضى بدلا من أولئك الذين كانوا يملكون العقارات وفى كل الأمور الأخرى كان يتصرف بنفسه وكأنه قد أصبح سيد ايطاليا ، ونتيجة لهذا فان الجنود الايطاليين لم يتسلموا مستحقاتهم

(٢٤) منطقة تقع جنوب ايطاليا .
Can med Hist vol. I. V. p. 106.

(٢٥) نابلى تقع فى جنوب ايطاليا .
Cam Med. Hist.

(٢٦) تقع كومس فى اقليم كامبانيا « المترجمة »

(٢٧) مناطق جنوب ايطاليا « المترجمة »

المعتادة وفى المواعيد المحددة لها فخصهم الأمبراطور بمبالغ كبيرة من المال وبسبب هذا الوضع فان الايطاليين من جهة بدأوا نتيجة تجريدهم من ممتلكاتهم ونتيجة لكونهم عبيدا للمرة الثانية وفى وضع خطير للغاية يشعرون بالغم بدرجة كبيرة بينما كان الجنود من جهة أخرى يظهرون وبدرجة متزايدة التمرد على قادتهم كما كانوا مسرورين لبقائهم داخل المدن وهكذا كان كوستانتيانوس Constantianus واضعا يده على رافينا وجنا على روما وبيساس على سبوليتوم[٢٨] ، جوستينوس فلورينتيا ، كبريان بيروسيا[٢٩] كما وان كل واحد من الآخرين كان يضع يده على أية بلدة تكون قد أمدته أصلا بالمأوى والسلامة أثناء فراره •

وعند سماع مثل هذه الأشياء فان الامبراطور وهو فى ضيق مرير أسرع بتعيين ماكسيمنيوس واليا[٣٠] على ايطاليا مفوضا اياه أن يمارس سلطته على القادة وذلك بهدف الاستمرار فى الحرب وامداد الجنود بالتموينات طبقا لاحتياجتهم كما أرسل معه أسطولا من السفن عززه بالجنود من التراقيين والأرمن كان قائد التراقيين هو هيروديان Herodian والأرمن هو فازاس phazas الايبيرى ابن أخ بيدانيوس Pedanius[٣١] وكذا أبحر معهم قليل من الهون وهكذا أبحر ماكسيميوس من بيزنطة ومعه الأسطول بأكمله ووصل ابيروس[٣٢] فى اليونان حيث تقدم دون سبب وجيه ليستقر فى الجنوب ليضيع وقتا ثمينا حيث لم تكن لديه أية خبرة بمثل هذه الأعمال الجماعية وبالتالى كان مترددا وتعرض للتأخير بدرجة زائدة •

(٢٨) سبوليتو الحديثــة •

(٢٩) بيروجيا الحديثــة •

(٣٠) بالرغم من أن الحكام فى ايطاليا لم يعودوا حراسا امبراطوريين •

(٣١) انظر الكتاب ١ فصل ١٢ ، الكتاب ١١ ... الخ •

(٣٢) ابيروس Epirus تقع فى شمال بلاد اليونان • « المترجمة »

وفيما بعد أرسل الامبراطور ديمتريوس قائدا ايضا وكان رجلا سبق أن خدم تحت رياســة بليزاريوس كقائد لفرقة من المشــاة[٣٣] وهكذا أبحر ديمتريوس الى صقلية وعندما علم أن كونون وسكان نابلى كانوا يتعرضون لضغط شديد بسبب الحصــار ولعدم وجود امدادات فقد رغب أن يتوجه الى مساعدتهم بأقصى سرعة ولكنه كان عاجزا عن ذلك لأن القوة التى كانت تتبعه من الصغر بحيث لن تؤدى الا الى نتائج قليلة ولذلك فقد وضع الخطة التالية : جمع أكبر عدد من السفن من كل صقلية وملأها بالقمح والامدادات الأخرى ثم أبحر جاعلا ذلك يبدو لخصومه وكأن جيشا هائلا خلف تلك السفن وكان حكمه على عقلية العدو صحيحا فقد اعتقد أفراده أن هناك جيشا كبيرا فى الطريق اليهم وقد توصلوا الى هذه النتيجة لأنهم علموا أن هناك أسطولا ضخما كان يبحر من صقلية واذا كان ديمتريوس قد أراد فى بادىء الأمر أن يسير رأسا نحو نابلى فانى أعتقد أنه قد أوقع الرعب فى العدو وفى الوقت نفسه انقذ المدينة وذلك دون أن يواجه رجلا واحدا فى طريقه ولكن وكما حدث فقد شعر أن الخطر الذى يحفه كبير للغاية وهكذا فلم يتجه الى نابلى أطلاقا ولكنه أبحر نحو ميناء روما وبدأ يسرع فى جمع الجنود من هناك ولكن الجنود فى روما وقد سبق أن هزموا على يد البرابرة وما زالوا ينظرون اليهم بخوف كبير لم تكن لديهم الرغبة على الاطلاق فى السير وراء ديمتريوس لملاقاة توتيلا والقوط وهكذا فقد أرغم على التوجه الى نابلى مع الفرق التى جاءت معه فقط من بيزنطة •

كان هناك ديمتريوس آخر سيفالينى بالمولد كان من قبل بحارا وكان ذا مهارة تامة فى كل الأمور التى تتعلق بالبحر وأخطاره سبق أن أبحر مع بليزاريوس الى ليبيا وايطاليا واشتهر بهذه المهارة ولهذا السبب عينه الامبراطور حاكما على نابلى وعندما بدأ البرابرة فى حصار المدينة

(٣٣) انظر الكتاب ٥ فصــل ٥ ــ ٣ •

أمتلاء بروح من الفجور لدرجة أنه بدأ فى القاء الاهانات على توتيلا واستمر فى هذا العمل وبذلك عرف الرجل أنه صاحب لسان طـائش بدرجة زائدة وذلك اثناء وقت الشدة .

وبما أن الوضع أصبح أسوأ والخسارة فى الأرواح بين الحاضرين أصبحت بدرجة خطيرة فان الرجل وطبقا لنصيحة كونون جاءته الجرأة بان يركب قاربا صغيرا ويذهب به بمفرده الى القائد ديمتريوس ومـع دهشة كل فرد فقد قطع الرحلة بسلام وأتى أمام ديمتريوس وسعى بكل ما يملك من قوة أن يثير جرأته وحثه على أن يتعهد بالأمر أمامه ولكن توتيلا كان قد سمع بالحقيقة الكاملة عن هذا الاسطول وأنه كان يحوى سفنا كثيرة جاهزة من أحسن الأنواع خفة وسرعة فى الحركة وعندما رسا العدو على الجزء الساحلى فى مكان ليس ببعيد عن نابلى أنقض عليهم بطريقة مفاجئة وأشاع فيهم الفزع ووجه كل قواه نحو الفرار وبالرغم من أنه قتل كثيرا منهم فقد أسر عددا كبيرا لم يهرب منهم الا من نجح فى بادىء الأمر فى القفز الى القوارب الخاصة بالسفن التى كان مـن بينها سفينة القائد ديمتريوس وقد أسر البرابرة كل السفن بحمولاتها وبحارتها ومن بينهم ديمتريوس حاكم نابلى وبقيامهم بقطع لسانه وكلتا يديه لم يقتلوه فى الواقـع تركوه هكذا مشـوها ليذهب أينما يشـاء وهكذا كان الجزاء الذى دفع ديمتريوس لتوتيـلا عن لسـان مطـلق العنـان .

(٧)

وفيما بعد رسا ماكسيمينوس فى صقلية بكل سفنه وعند وصوله الى سيراكوز بقى ساكنا نتيجة لفزعه من ويلات الحرب وعندما علم قادة جيش الرومان بمجيئه أرسلوا اليه جميعا وبكل الحماس يرجونه أن يحضر بأقصى سرعة لانقاذهم وأما كونون فقد أرسل بصفة خاصة رسالة عاجلة من نابلى حيث كان محاصرا بشكل عنيف بواسطة البرابرة

وقد نفدت كل تمويناته ولكن ماكسيمنيوس بعد التأخير طوال المدة الحرجة وفى مثل هذه الحالة من الرعب تحرك فى النهاية بدافـع من خوفه من تهديدات الامبراطور وأذعن أمام أخطاء باقى القواد بينما بقى هو نفسه حيث كان وراء الجيش بأكمله الى نابلى مع هـيروديان Herodian ، وديمتريوس Demetrius ، فازاس Phazas وكان الشتاء قد اقترب من نهايته .

وعندما وصل أسطول الرومان الى نقطة قريبة جدا من نابلى هبت ريح عاتية عليهم مثيرة عاصفة عنيفة وبطريقة غير عادية وغطى انظلام كل شىء بينما كانت الأمواج الكبيرة تمنع البحارة من جذب المجاديف أو السيطرة على السفن بأية طريقة أخرى ونتيجة للصوت العالى الصادر عن الأمواج الهائجة أصبحوا عاجزين عن سماع احدهم الآخر وعمت الفوضى الكاملة وأصبحوا تحت رحمة الرياح العاتية التى نقلتهم حسبما كانوا يرغبون الى نفس الشاطىء الذى كان العدو مقيما عليه معسكره ولذلك فان البرابرة وقد تسلقوا سفن خصومهم فى وقت راحتهم أخذوا يقتلون الرجال ويغرقون السفن وذاك دون أن يلقوا أية مقاومة كمـا أسروا كثيرا من الآخرين مثل القائد ديمتريوس ولكن هيروديان وفازاس وقليل من الرجال نجحوا فى الافلات وذلك لأن سفنهم لم تقترب كثيرا من معسكر العدو وهكذا كان مصير الأسطول الرومانى .

أما توتيلا فقد ربط حبلا حول عنق ديمتريوس ثم جره الى أعلا حائط نابلى حيث أمره أن يأمر المحاصرين ألا يسلموا أنفسهم للهلاك وذلك بالاعتماد على آمال غير ذات جدوى وأن يسلموا المدينة وبأسرع ما يمكن للقوط وبذلك يخلصوا أنفسهم من شدائد مريرة بشأن الامبراطور فقد قال انه عاجز عن أن يرسل لهم فيما بعد أية مساعدة فقد تم بالقضاء على هذا الأسطول القضاء أيضا على قوتهم وآمالهم بالكامل وهكذا نطق ديمتريوس بالكلمات التى أمره توتيلا النطق بها وأما بشأن المحاصرين

وقد أصبحوا تحت ضغط شديد من المجاعة والعوز الكاملين وأمام ما رأوه من مصير ديمتريوس وسماع كلماته فقد بدأ اليأس يتسرب الى قلوبهم واستسلموا للحزن وفقدوا كل أمل وامتلأت المدينة بالضوضاء والشغب والنحيب .

بعد ذلك قام توتيلا بنفسه باستدعائهم الى أعلى الحصن وخاطبهم على الوجه الآتى :

« يارجال نابلى اننا لم نأخذ على عاتقنا هذا الحصار بسبب أننا نوجه اليكم اية تهم او اى تعنيف ضدكم ولكن لكى نستطيع تحريركم من أشد السادة كراهية من أن نسدد لكم الخدمة التى قدمتموها لنا أثناء الحرب وهى الخدمة التى اقنعت العدو أن يعاملكم بأشد ألوان القسوة والصرامة فقد حدث أنكم كنتم وحدكم بين جميع الايطاليين الذين أظهرتم أعظم الولاء لدولة القوط وسقطتم دون رغبة تحت سيطرة خصومنا ولذلك ففى الظروف الحالية وعندما اضطررنا الى محاصرتكم معهم كما تشعر بطبيعة الحال بالآلام من أجل اخلاصكم لنا بالرغم من أننا غير مستمرين فى الحصار لكى نلحق الأذى بأبناء نابلى ولذلك لا تعتقدوا الحنق الناشى عن البؤس الذى سببه الحصار أنه ينبغى عليكم أن تنظروا الى القوط نظرة غضب من أجل أولئك الذين يكدون من اجل جعل أصدقائهم بمنأى عن أى لوم حتى ولو ارغموا على استخدام وسائل كريهة فى انجازهم الخدمة التى يقدمونها لهم وأما فيما يتعلق بالعدو فلا تدعوا أى خوف منه يدخل قلوبكم ولا تجعلكم الأحداث الماضية تعتقدون أنه سوف يحرز النصر علينا لأن وقائع الحياة غير المعقولة[٣٤] والناتجة عن الصدفة والتى هى ضد التوقعات جديرة مع مرور الزمن بالا تحقق أى شىء مرة أخرى ومن منطلق حسن النية التى تضمرها لكم فاننا نرخص لكل من كانون جنوده أن يذهبوا

(٣٤) يعنى النجاح الخاص بالرومان .

أحرارا الى أى مكان يريدونه ودون أن يصيبهم أى ضرر وبشرط واحد هو أن يسلموا المدينة لنا ومن ثم يرحلون مصطحبين معهم كل ممتلكاتهم الخاصة ولم يمنعنا أى شىء من أن نقسم على أن نصون هذه الوعود لضمان سلامة أهل نابلى .

هكذا تحدث توتيلا وعبر كل من أهل نابلى وجميع الذين يعملون تحت أمره كانون عن استحسانهم وموافقتهم فقد كانت الضرورة الملحة الناشئة عن المجاعة تضغط عليهم بشدة ومع ذلك وبدافع من الحفاظ على الولاء للامبراطور وانتظارا لقدوم بعض المساعدة لهم فقد وافقوا على تسليم المدينة بعد ثلاثين يوما ولكن توتيلا رغبة منه فى أن يمحى من عقولهم أى أمل فى مساعدة من الامبراطور حدد مدة ثلاثة أشهر بشرط انه بعد تلك المدة يجب أن يفعلوا ما تم الاتفاق عليه كما أعلن علاوة على ما تقدم أنه وحتى انقضاء المدة المذكورة سوف لا يقوم بأى هجوم على الحائط وبالمثل لن يلجأ الى أية خدعة من أى نوع كانت وبهذا تم اعتماد الاتفاق على هذا الاساس ولكن المحاصرين وبدون انتظار لليوم المحدد (حيث تغلب عليهم تماما النقص فى المواد الضرورية) استقبلوا توتيلا بعد ذلك بقليل فى المدينة هو والبرابرة واقترب الشتاء من نهايته وانتهت السنة الثامنة من الحرب ٥٤٣ بعد الميلاد التاريخ الذى كتبه بروكوبيوس .

(٨)

عندما استولى توتيلا على نابلى أظهر عطفا كبيرا وغير متوقع على أسراه وأمن كل عدو وكل فرد من أفراد البرابرة ونظرا لانتشار المرض بين الرومان نتيجة للمجاعة التى جعلت قواهم الجسدية تقل فقد خشى أنه اذا ما أشبعوا بالطعام فقد تصيبهم التخمة وتؤدى بهم الى الموت ولذلك وضع الخطة التالية : وضع حراسا على كل من الميناء والأبواب وأعطى أوامر الا يخرج احد من المدينة ثم تقدم هو بنفسه

وبطريقة متحفظة بتوزيع الطعام بكميات أقل مما كانوا يرغبون وفى كل يوم كان يضيف اليها كمية أخرى وبحيث تبدو الزيادة من يوم لآخر غير ملحوظة على الأطلاق وهكذا وبعد استردادهم لقواهم قام بفتح الأبواب وسمح لكل رجل أن يذهب حسبما شاء .

فيما يتعلق بالقائد كونون والجنود الذين تحت امرته كانوا غير راضين بالمرة عن بقائهم هناك فأمرهم بركوب السفن والابحار بها الى أى مكان يختارونه واعتقادا منهم أن العودة الى بيزنطة قدتجلب العار عليهم فقد كانوا يهدفون للابحار وبأقصى سرعة نحو روما حيث ان الرياح كانت معاكسة لهم وكانوا هم بالتالى عاجزين تماما عن الخروج من المرفأ فقد كانوا فى حيرة كبيرة خشية أن يفور توتيلا وقد أصبح من المنتصرين الا يعير التفاتا الى اتفاقه بشكل ما فيعانون من أذى كبير على يده وعندما شعر توتيلا بذلك ناداهم جميعا واعاد الاطمئنان اليهم وأكد لهم مرة أخرى أنه ما زال على العهود التى قطعها على نفسه موصيا اياهم أن يتحلوا بالشجاعة فى الحال ويختلطوا بجيش القوط دون أى خوف ويشتروا منهم ما يلزمهم من امدادات ويحصلوا على أى شىء آخر يكونون فى حاجة اليه وذلك كأصدقاء ولكن وفيما بعد حيث كانت الرياح ما زالت تهب ضدهم وضاع وقت كثير فقد أمدهم بالخيل والدواب كما قدم لهم النقود اللازمة للسفر وأوصاهم أن يأخذوا طريقهم صوب روما عن طريق البر وأرسل معهم حراسا من أعيان القوط .

ثم شرع فى هدم أسوار نابلى حتى سواها بالأرض حتى لا تتاح للرومان فرصة لوضع يدهم عليها ثانية واستخدامها كقاعدة صلبة فى أحداث المتاعب للقوط فقد فضل أن يصل الى قرار فورى بالدخول معركة معهم على أرض سهلية بدلا من الاستمرار فى نضال بتدبير شتى أساليب المكر والدهاء ولكنه وبعد أن حطم جزءا كبيرا منها ترك الجزء الباقى .

وبينما كان توتيلا مشغولا هكذا حضر أمامه أحد الرومان كالابرى المولد[٣٥] واتهم أحد حراس توتيلا بأنه اغتصب ابنته التى كانت فتاة عذراء وذلك ضد ارادتها تماما وعليه ولما رأى توتيلا أن الرجل لا ينكر التهمة أسرع بعقابه عن ذلك الذنب وأودعه السجن ولكن اغلب وجهاء الرجال فيما بين البرابرة بدأوا يشعرون بالخطر من جهته (حيث كان شخصا نشيطا ومحاربا ممتازا) وعلى ذلك تجمعوا فى الحال وتوجهوا الى توتيلا بطلب نفى التهمة عن الرجل .

ولكنه بكل الرقة ودون أى انفعال بعد سماع كلامهم هذا تحدث اليهم على الوجه الآتى :

« أيها الجنود الرفاق سبب تحدثى اليكم الآن ليس لانى مملوء بالوحشية الشرسة أو لأنه بداخلى سرور كبير لمصائب تحل بعشيرتى ولكن لأنى أشعر بخوف كبير فمن الممكن أن يحل بالقوط المصائب أما من جهتى فاعلم أن الغالبية العظمى من البشر يحرفون أسماء الاشياء ويحولوها وذلك حتى يعكسوا معناها فقد اعتادوا أن يطلقوا لفظ فضيلة على أشياء هى فى الحقيقة خروج على القانون ونتيجة ذلك أى شىء محترم يصبح موضع شك كامل ومن جهة أخرى يسمون أى رجل منحرف جدا وصعب للغاية لأنه يريد أن يطبق القانون بصرامة الى النهاية وقد وضح أنه باستخدام تلك الاسماء وبكل بساطة فهى ستار لأعمالهم الفاضحة التى قد يقومون بها لهو اشد هولا من ارتكابهم الخطأ واخفاء اسمه وانى احثكم على الا تضحوا بأمنكم من أجل عمل ارتكبه فرد واحد كما أحثكم على ألا تسهموا بانفسكم فى مثل هذا الاثم الدنس وتعتبرون أنفسكم أنكم لم ترتكبوا خطأ فان ارتكاب الاثم ومنع معاقبة أولئك الذين ارتكبوه هما بأى مقياس فى مستوى واحد وعلى ذلك فانى أريد أن يكون قراركم بشأن الأمر المعروض علينا آخذين فى الاعتبار وجهة

(٣٥) تقع كالابريا فى الجنوب الشرقى من ايطاليا . « المترجمة »

النظر هذه ان هناك أمرين مختلفين معروضـــين عليكم لاختيار احدهما فاما ألا يدفع هذا الرجل ثمن ما ارتكبه من خطيئة وينال جزاءه وأما من تنفذ دولة القوط وتنجز فوزهـــا فى الحرب انى أريـــد أن تأخذوا فى الاعتبار ما يلى : لقد كان لدينا فى بداية هذه الحرب جيش كبير لا ينقصه شىء سواء من جهة السمعة الحميدة أو من جهـــة الخبرة الحقيقية فى شئون الحرب ان كل ما تملكه ثروة وكانت من الكبر بحيث لا تحصى لقد امتلكنا قـــدرا هـــائلا من الخيـــل والأسلحة وأخـــيرا وضـــعنا أيدينا على الحصون والمعاقل التى توجد فى ايطاليا وفى الحقيقة ان هذه الأشياء لا يمكن أن تعتبر معدات ذات ، نفع فى حالة دخول الرجـــال الحرب ولكننا عندما ننتظم تحت قيادة تيوداتوس Theodatus الرجـــل الذى حقق من العدل قدرا أقل من رغبته فى أن يصبح ثريا فان المعصية فى خلقنا اليومى تجعل من غير المعقول أن يرحمنا الاله وأنتم تعلمون جيدا أى مصير آل اليه خطنا نتيجة لذلك وأية نوعية من الرجال تعرفونهم فان ارادة قليلة منهم الحقت بنا الهزائم وقد أنزل الله علينا عقابا كافيا عن الآثام التى ارتكبناها فانه ينظم حياتنا الان طبقا لرغبتنا ولكى أتكلم بصفة شاملة فانه يوجه شئوننا بطريقة أفضل مما كنا نأمل وبخط أوفر جعلنا ننتصر على أعدائنا بقوة تفوق قوتنا الحقيقية بكثير ولذلك فان المحافظة على هذه المبررات لانتصارنا وباستقامتنا سيكون فى صالحنا أكثر ما ادخلنا الاصلاح على سلوكنا لكى نبدو وكأننا قد أصبحنا نحسد فلا يستطيع رجل ظالم يأتى بأفعال من العنف أن يحظى بالمجد فى المعركة فالتوفيق فى الحرب يقاس طبقا لحياة الفرد » .

هكذا تحدث توتيلا ولم يعد وجهاء القوط وقد استحسنوا كلماته يرجونه اطلاق سراح الحارس الملكى بل قبلوا أن يعامل بأية طريقة يرى توتيلا أنها هى الأفضل فأعدم الرجل بعد ذلك بقليل وأعطى الفتاة التى اضيرت كل الأموال التى كانت تخصه .

(٩)

وبينما كان توتيلا مشغولا هكذا كان قادة الجيش الرومانى وجنوده فى ذلك الوقت ينهبون الممتلكات[٣٦] ولم يحجموا عن اتيان اى فعل من أفعال الوقاحة والفجور مهما كان ولكن القادة من جهتهم كانوا يمرحون مع السيدات داخل القلاع بينما الجنود وهم يبدون مزيدا من العصيان لقادتهم كانوا يرتكبون كل شكل من أشكال المعاصى وأما من جهة الايطاليين فقد كانوا نتيجة الوضـــع بالنسبة لهم هوانهم عانـــوا الكثير على أيدى الجيشين وبطريقة شرسة فقد طردوا من أراضيهم على يد العدو وأما جيش الامبراطور من جهة أخرى فقد استولى على كل سلعهم المنزلية كما أرغموا علاوة على ذلك على المعاناة من العذاب المؤلم والموت دون داع نتيجة لـــا تحملوه من ضـــغوط النقص فى الطعـــام أما بالنسبة للجنود فكانوا عاجزين عن الدفاع عن أنفسهم عندما كانت تساء معاملتهم على يد العدو فلم يكونوا يشعروا بالخجل من الأوضاع القائمة فحسب بل جعلوا الناس فى الواقع يتربصون بالبرابرة وذلك بسبب الأخطـــاء والخطايا التى ارتكبوها وأما كونستانتينوس وقد أصيب بخسارة فقد مركزه فقد أرسل خطابا الى الامبراطور جستنيان يبين له بكل وضوح أنه عاجز عن الاستمرار فى مواصلة الحرب ضد القوط وأما من جهـــة القادة الآخرين وقد بدأوا يؤيدون نفس وجهة النظر هذه أوضحوا فى نفس الخطاب احجـــامهم عن الاستمرار فى الكفاح وهكذا كـــان حظ الايطاليين .

وفى أثناء ذلك أرسل توتيلا خطابا الى مجلس الشيوخ محررا بالوضع الآتى :

« ان الرجال الذين كانوا فى خطأهم مثل جيرانهم والذين هم اما

---

(٣٦) المقصود بها ممتلكات المدينتين فى ايطاليا .

ضحايا للجهل أو عميت بصيرتهم بنسيانهم مـا حدث لهم قد يغفر لهم لكونهم ضحايا لسـوء المعاملة وان جهلهم أو نسيانهم اللذين أدياهم الى ارتكاب مـا ارتكبوه مـن خطـايا يقدمـان أيضـا عذرا عنها ومع ذلك فأى رجل يرتكب الخطأ كنتيجة لنية مبيته خاصة به وحده مثل هذا الرجل لا يملك شيئا يدافع به عن سلوكه فالأمر ليس الفعل وحده بل أيضا النية التى من أجلها يتحمل هذا الرجل المسئولية فى نظر العدالة ولذلك فما دام الأمر كذلك فأى دفاع يمكن ان تقيموه بالنسبة لتصرفاتكم نحو القوط — هل انتم تجهلون الأعمال الممتازة لثيودريك وأما لاسونثا أم قـد غابت عن ذاكرتكم بمـرور الوقـت والنسـيان لا ففى الواقع ليس شىء من ذلك حقيقى فلم يكن الأمر هينا حتى تجاه أسلافكم فى العصور السابقة ولكن الأمر كان مسألة ذات أهمية حيوية أيهـا الرومان الاعزاء تجاهكم فى القريب وفى هذه الأيـام التى تعايشها ولكن هل لأنكم قد أبلغتم عن طريق الاشاعات أو علمتم عن طريق الخبرة بعدل اليونـان تجـاه أمورهم هل بسـبب ذلك قررتم التخلى عنهم كما سبق أن فعلتم بتنظيم القوط والايطاليين ؟ على أى حال فانكم من جهتكم وعلى ما اعتقد — قد استضفتوهم ملكيا ولكنكم تعلمون جيدا أى نوع من الضيوف والأصدقاء وجدتوه فيهم اذا كان لديكم أى تذكر للمحاسبة العامة المتعلقة بالكسندرانى لا اجد نفسى فى حاجة الى ان اذكر الجنود والقواد الذين بفضـل صداقتهم وشهادتهم انتفعتم وان سلوك هؤلاء الرجال هو الذى جلب لحظهم مثل هذا التدهور فلا تدعوا أحدا منكم يعتقد أنى مدفوع بطموح فتى طلب هذا التغيير لهم كما انى غير مبال بالحديث لمجرد انى حاكم البرابرة فالسيطرة على أولئك الرجال لم تكن عمـلا من أعمـال البطولة ولكن — وبكل الثقـة — أؤكد دائما على ان نوعا من أنـواع الانتقام قد أصابهم بدرجة كبـيرة بسبب الأخطار التى عانيتم منها على أيديهم فكيف اذن لا يبدو الأمر كفعل أثم من وجهة نظركم أنتم — بينما الاله ينتقم منهم بالنيابة عنكم — تتمسكون

ملهفة بآثامهم ولا تريدون التخلص من المساوىء الناشئة منها ؟ ولذلك أقول أعطوا أنفسكم بعض الأسس للدفاع الواجب عليكم اعداده للقوط وأعطونا من جهة أخرى بعض الأسس للغفران لكم .

وسوف تعطون هذا — وبدون اقتراح لانتظار نتيجة الحرب — اذا ما كان هناك أمل ضئيل متروك لكم ، وهذا ايضا بلا جدوى . لتختاروا الطريق الأفضل وتصلحوا الأخطاء التى ارتكبتموها ضدنا » .

تلك اذن هى الرسالة التى أظهرتها الكتابه . وبقيام توتيلا بوضعها فى أيدى بعض الأسرى للتوجه الى روما واعطائها لمجلس الشـيوخ وقد قاموا بذلك بالفعل ، ولكن حينما منع الذين راوا الخطاب من اعداد أى رد على توتيلا ؛ لذلك فان توتيلا أجرى محاولة ثانية بكتابة عدد كبير من الخطابات القصيرة أعطى فيها أقدس التعهدات ومقسما بعبارات فى منتهى الوضوح أن القوط لن يلحقوا الأذى بأى فرد من الرومان ابدا — وأما بشأن الاشخاص الذين قاموا بتوصيل هذا المكاتبات الى روما فلا أستطيع التحدث عنهم فجميعهم كانوا يرسلون ليلا من الأماكن المشهورة فى المدينة ؛ فقط وعندما يبزغ النهـار يكتشـف أمرهم ويتم التعرف عليهم ولكن قادة الجيش الرومانى كانوا يضمرون شكوكا خطيرة من جهة رجال الدين الأريوسيين ونتيجة لذلك ابعدوا هؤلاء جميعا عن المدينة فى الحـال .

وعند سماع توتيلا هذا ، أرسل جزءا معينا من جيشه الى كالابريا وأمره أن يجرى محاولة لحصـار درايوس[٣٧] ولكن حيث ان الفرق التى كانت تقوم بحراسة هذا الحصن قد رفضت تماما الاستسلام له ، فقد امر القوة التى أرسلها الى هناك أن تضرب حصارا بينما ذهب هووممه الجزء الأكبر من الجيش ليكون على مقربة من رومـا ، وعندما سمع

(٣٧) هايدرانتوم ، اورترانتو الحديثة ortranto

الامبراطور بذلك أصابته نوبة كبيرة من الأرتباك ، وبالرغم من أن الحقيقة التى تقول ان الفرس كانوا ما زالوا يضغطون عليه بشدة ، فقد كان مرغما على أن يرسل بليزاريوس ضد توتيلا ، واقترب الشتاء من نهايته ، وانتهت السنة التاسعة من هذه الحرب ، ٥٤٤ بعد الميلاد من التاريخ الذى كتبه بروكوبيوس .

(١٠)

وهكذا فان بليزاريوس — وللمرة الثانية — توجه الى ايطاليا ، ونظرا لأنه كان لديه عدد صغير جدا من الجنود — حيث كان من غير الممكن بالنسبة له أن يفصل الفرق الخاصة به من الجيش فى بلاد الفرس — فقد تقدم فى رحلته نحو تراقيا باكملها ، وبعرضه المال جمع عددا من المتطوعين الجدد ، وبناء على أمر الامبراطور فقد رافقه فيتاليوس Vitalius قائدا لليريا الذى كان قد عاد مؤخرا من ايطاليا حيث ترك الجنود الالليرين ، وهكذا فقد جمع الاثنان نحو أربعة آلاف رجل وذهبوا بهم الى سالونى Salones بنية التوجه الى رافينا أولا وقبل أى شىء اخر ثم ادارة الحرب من هناك بأية وسيلة متاحة ، فلم يكن من الحكمة ان يحطوا الرجال بالقرب من روما ، سواء بالاحتفاظ بتحركاتهم سرا من العدو (حيث انهم قد سمعوا أن القوط قد أقاموا معسكرهم فى كل من كالابريا وكامبانيا) أم ارهاب العدو بأية وسيلة كانت حيث كانوا ذاهبين بدون القوة الكافية للاقاته على مستوى متعادل .

وفى ذلك الحين كان الرومان المحاصرون داخل درايوس — وقد رأوا أن تموينااتهم قد نفذت تماما — قرروا عقد اتفاق مع البرابرة المحاصرين يشترط تسليم المكان لهم وحدد لذلك يوم معين من الطرفين ، ولكن

(٣٨) اوسالونا ، قريبة من سبولتيو الحالية .

بليزاريوس شحن السفن بامدادات تكفى لمدة سنة وأمر فالنتينوس أن يبحر معهم الى درايوس وأن ينقل الحامية السابقة من الحصن بأسرع ما يمكنه ذلك — فقد علم أنهم قد أصبحوا فى منتهى الضعف بسبب المرض والمجاعة — وكذا أن تحل حامية أخرى محلهم من بعض الرجال الذين كانوا يبحرون معه ، فبهذا الترتيب سوف يكون — من السهل عليهم نسبيا وقد اصبحوا ذوى نشاط متجدد وليسوا فى حاجة الى ضروريات أن يقوموا بحراسة الحصن فى أمان وهكذا فان فالنتيوس — وهم يأمل فى أن يتاح له ريح مواتيه — أبحر بأسطوله الى درايوس ووصل قبل الوقت المحدد للتسليم بأربعة أيام ، وبما أن المرفأ كان بدون حراسة فقد وضع يده عليه ونجح بدون أية متاعب فى دخول الحصن ، وأما بالنسبة للقوط — وقد وضعوا ثقتهم فى الاتفاق الذى أبرموه وافترضوا أنهم سوف لاتعترضهم أية عائقة فى فترة الهدنة — كانوا لا يعيرون التفاتا لعملياتهم ضد درايوس فبقوا ساكنين ، ومع ذلك فعندما رأوا الأسطول ينقض فجاة عليهم أصابهم الذعر وتخلوا عن الحصار ، ثم ذهبوا الى موقع بعيد جدا عن المكان حيث أقاموا معسكرهم وأبلغوا توتيلا بكل ما حدث لهم ، وهكذا كان الخطر القريب الذى نجت منه حامية درايوس ، ولكن بعض رجال فالنتينوس — رغبة منهم فى نهب البلاد المجاورة — بدأوا فى شن غارات وبطريق الصدفة تلاقوا مع العدو قرب شاطىء البحر واشتبكوا مع أفراده ، ونظرا لهزيمتهم المنكرة فى المعركة فقد فر أغلبهم الى مياه البحر ، وبهذه الطريقة فقدوا مائة وسبعين رجلا ، وانسحب الباقون من الحصن .

وعندما وجد فالنتينوس أن الحامية السابقة فقد نصفها فقد انتقل من الحصن واستبدل رجالا آخرين متجددى النشاط وذلك حسب التعليمات المعطاه له من بليزاريوس ، وبعد أن ترك لهم مؤونة تكفيهم سنة عاد بباقى الجيش الى سالونى .

وأما من جهة بليزاريوس فبعد أن أبحر من هناك مع الأسطوله بأكمله رسا فى بولا Pola حيث بقى لمدة قصيرة والجيش فى وضعه النظامى ولكن توتيلا عندما سمع أن بليزاريوس قد وصل الى بولا ، ورغبة منه فى استكشاف قوة الجيش الذى أحضره معه ، فقد اتخذ الخطوات الآتيــة :

كان هناك شخص يدعى بونوس ابن أخ حنا — قائد الحاميــة الموجودة فى جنوه فعمد بالتالى الى الاستفادة من اسم هذا الرجل وحرر خطابا الى بليزاريوس متضمنا أنه مرسل من قبل بونوس ، يحثه فيه على المجئ بأسرع ما يمكن لانقاذهم حيث كانوا فى خطر جسيم ، ثم اختار خمسة من الرجال المعروفين بالفضولية ووضع الخطاب فى أيديهم وأعطى تعليمات لهم بأن يرصدوا بدقة قوة بليزاريوس وأن يظهروا أنفسهم وكأنهم مرسلون من طرف بونوس ، وهكذا فعندما مثل الرجال أمام بليزاريوس قابلهم بحفاوة كبيرة كما كانت عادته ، وبعد قراءته الخطاب أمرهم ان يخبروا بونوس أنه سوف يأتى مع الجيش بأكمله وفى وقت قصير ، وعندئذ وبعد أن تفحصوا كل شىء بدقة كما سبق أن طلب توتيلا منهم عندئذ عادوا الى المعسكر القوطى وأعلنوا أن قوة بليزاريوس هى قوة معقولة بصفة مطلقة .

وفى أثناء ذلك استولى توتيلا على مدينة تيبور[٣٩] التى كان عليها حراس من الايزوريين وذلك عن طريق الخيانة ، وقد حدث هــذا على الوجه الآتى :

كان بعض سكان المكان يحرسون البوابات هم والايزوريون وهؤلاء الرجال سبق لهم أن تعاركوا مع الايزوريــين الذين كانوا يشاركوهم الحراسة ، ومع أن الايزوريين لم يعطوا سببا للاساءة ، فقد دعوا أفراد

(٣٩) تيبور كانت مدينة من أهم المدن اللاتينية . وتقع بالقرب من روما . « المترجمة »

العدو الذين كانوا معسكرين للمجئ ليــلا ، ولكن الايزوريــين — من جهتهم — تبنوا خطة عامة فبينما كانت المدينة يتم الاستيلاء عليها ، نجح جميعهم فى الهرب ، ومع ذلك يبق القوط على أحد من سكان المدينة فقد قاموا بقتلهم جميعا هم وأسقف المدينة بشكل اعلمه جيدا وسوف أذكره بالقطع وذلك حتى لا أترك تســجيلا للقسوة غــير الانســانية للمرات القادمة . كان من بين هؤلاء الضحايا أيضا كاتيلوس Catellus وهو رجل مرموق بين الايطاليين ، وهكذا استولى البرابرة على تيبور وأصبح الرومان بالتالى غير قادرين على احضار ىامدادتهم من توسكانى عن طريق التيبر لأن المدينة — وقد كان موقعها مواجها للنهر[٤٠] بنحو مائة وعشرين ســتيد أعــلى رومــا — أصــبحت فيمــا بعــد خارج النطاق ضد من يرغب فى الابحار الى روما بذلك الطريق .

(١١)

هكذا كان المصير الذى حل بتيبور ، وأمــا من جهة بليزاريوس ، فقد وصل الى رافينا مع الأسطول بأكمله ، وهناك جمع أولئك القوط الذين كانوا فى المدينة وكذا الجنود الرومان وتحدث اليهم على الوجــه الآتى :

« ان هذه ليست المناسبة الوحيدة التى يقضى فيها الشر على كل ما تحقق من خير وفضيلة ، فهذه الأشياء هى سمة الانسانية وطبيعتها منذ القدم ، وكان محور الانســان وخطته دائما سببا فى القضاء على الآمال الطيبة التى يقوم بها الطيبون ، والآن أيضا ، ان هذا هو نفس الشىء الذى قضى على التنظيم الخاص بالامبراطور ، وهو — من جهته — مهتم جدا بتصحيح الأخطاء التى ارتكبت بدرجة أنه اعتبر المهمة الخاصة

(٤٠) يؤكد الأستاذ Hodgkin ان بروكوبيوس هنا قد خلط بــين آنى Ani مع التيبر Tiber .

بهزيمة الفرس أقل شأنا من هذا الوضع وهكذا قرر أن يوفدنى اليكم حاليا حتى أتمكن من اصلاح ما حدث بطريق الخطأ على يد القـــادة فى معاملتهم لجنوده أو فى معاملة القوط لهم ، انه ليس من طبيعة البشر عدم ارتكاب أية أخطاء محتملة فى المسار الطبيعى للأحداث ، ولكن المهمة الخاصة بتصحيح الأخطاء التى تمت والتى لا تليق برفقة الامبراطور ، هى أيضا يمكن أن تحمل العزاء لرعيته المحبوبة ، فانكم لن تجدوا فقط خلاصا من الكرب الذى أصابكم ، ولكنكم أيضا سوف تكون لكم وفى الحال ميزة تفهم حسن نية الامبراطور تجاهكم ومـــا هى النعم التى يمكن أن تعود على إنسان أكثر من ذلك فى عالمنا هذا وحيث انى هنا معكم لهذا الغرض بالذات ، فالمفروض على كل فرد منكم بدوره أن يجهد نفسه الى أقصى حد حتى يمكن بذلك الانتفاع من هذه المزايا المعروضة عليكم واذا كان أى فرد منكم — له بطريق الصدفة أقارب أو أصدقاء مـــع المغتصب توتيـــلا — فليستدعوهم بأسرع مـــا يمكن لتوضـــيح غرض الامبراطور وبهذه الطريقة يمكن أن تحققوا الفائدة التى يمكن أن تتحقق من السلم وكذا تلك التى تاتى على يد الامبراطور القوى ، لأنى — من جهتى — لم أحضر هنا برغبة جامحة لشن حرب ضدكم ، كما انى لن تكون لى رغبة أبدا أن أكون عدوا لرعية الامبراطور ، ومـــع ذلك فاذا مـــا اعتبروا الأصلح لهم عملا سخيفا واذا ما وقفوا ضده ، فسوف نعاملهم كأعداء رغما عن ارادتنا ومع شعورنا بالمرارة » .

هكذا تكلم بليزاريوس ، ولكن أحدا من الأعداء لم يتقدم نحوه لا من القوط ولا من الرومـــان ،وبعـــد ذلك أرســـل حارســـه توريموث Turimuth هو وبعض فرقـــه الخاصة ومـــع فيتاليوس والجنود الايلليريين الى اميليا Aemilia يأمرهم بـــأن يجروا فحصا على المدن هنـــاك وهـــكذا اتخذ فيتاليـــوس مـــع قوتـــه موضـــعا بالقرب من مدينة بونونيا Bononia [41] وبعد الاستيلاء على بعض الحصون

(٤١) بولونا Bologna الحاليا .

المجاورة التى استسلمت له ، بقى بلا نشـــاط فى بونونيا ، ولكن بعد ذلك بقليل فان افراد الالليريين الذين كانوا تحت امرته — فجاه وبدون ان يلحق بهم أية معاملة سيئة أو تأنيب من أى نوع — انسحبوا سرا من البلدة ليلا وتوجهو الى بيوتهم ثم أرسلوا مبعوثين الى الامبراطور يلتمسون منه العفو عنهم قائلين انهم عادوا الى بيوتهم بهذه الطريقة لا لسبب الا أنهم — وبعد خدمتهم الطويلة فى ايطاليا بدون تسلم أيـــة مدفوعات على الاطلاق — فان الدولة تدين لهم بمبلغ كبير من المال كما سبق أن غار جيش من الهون على الليريا وأخـــذ النســـاء والأطفـــال كعبيد ، وانه بسبب هذا وبسبب النقص فى التموينات داخل ايطاليا قد انسحبوا ، وبالرغم من أن الامبراطور كان غاضبا منهم فى بادىء الأمر الا أنه سامحهم فيما بعد .

وعندما علم توتيلا بانسحاب الفرقة الالليرية أرسل جيشا ضـــد بونونيا لأسر فيتاليوس والفرق التى معه وذلك بخدعة سريعة وخفيفة ، ولكن فيتاليوس وتوريموث نصبا عدة كمائن فى أماكن متعددة هكـــذا قضوا على كثير منقوة الهجوم وأجبروا الباقين منها على الفرار ، كان نازاريس Nazares رجل مرموق كان الليريا بحكم المولد — وقائد القوات الالليرية ، تفوق على الآخرين بما أظهره من عروض ملحوظة فى مجـــال الحرب ضـــد العدو ، وبنـــاء على ذلك جـــاء توريموث الى بليزاريوس فى رافينا .

وأخيرا أرسل بليزاريوس ثلاثة من حرسه الخـــاص ، توريموث Turimuth ، ريســـيلاس Ricilas ، وســـابينيونس Stbinianus ومعهم ألف جندى الى مدينة أوكسيموس [42] وذلك لمساندة ماجنوس والرومان المحاصرين هناك ، وبعد أن انسلت هذه

(٤٢) تقع مدينة أوكسيموس فى ايطاليا واسمها الآن اوزيمو Osimo من المدن المحيطة برافينا « المترجمة »

القوة من أمام توتيلا ومعسكر العدو دخلت أوكسيموس وبدأت فى التخطيط لعمل هجمات ضد خصومهم ، وهكذا ففى اليوم التالى وعند الظهر وعند سماعهم أن بعض أفراد العدو كانوا بالقرب منهم وفى متناول أيديهم خرجوا لعمل هجوم مباغت عليهم بقصد الاشتباك معهم ولكنهم قرروا — بقصد التقدم — أن يرسلوا بعض الكشافة ليتعرفوا على قوة العدو وذلك حتى لا يقوموا بهجوم على أفراده دون استطلاع مسبق .

ولكن ريسيلاس — حارس بليزاريوس — الذى تصادف أن كان مخمورا فى ذلك الوقت لم يكن ليسمح لأى واحد بالذهاب للاستكشاف ، ولكنه هو نفسه ركب جواده وحده وانطلق بأقصى سرعة ، وبرؤيته ثلاثة من القوط على منحدر وعر ، اتخذ فى بادىء الأمر موقفا بنية اعتراضهم فقد كان رجلا يتسم بشجاعة غير عادية ، ولكنه عند رؤيته عددا كبيرا من الرجال مندفعين نحوه من كافة الجهات ، أسرع بالفرار ولكن جواده تعثر فى مكان به عقبات مما نتج عنه صيحة مدوية من جانب العدو فقامت أفراده جميعا برشقة بالنبال ،وعندئذ سمع الرومان هذه الجلبة فأسرعوا بالمجىء لانقاذه ولكن ريسيلاس كان قد قتل تحت وابل منهمر من السهام ولكن فرق تيووريموث الحقت الهزيمة بخصومها ثم حملت جثة ريسيلاس الى داخل مدينة أوكسيموس ، وهكذا لقى ريسيلاس ، حتفه بطريقة لاتتلاءم مع ما يستحقه من بسالة .

وبناء على ما تقدم فان سابينياس وبعد المداولة مع ماجنوس وجدوا أنه من غير المناسب لهم أن يبددوا أى وقت آخر هناك وذلك على أساس أنهم لن يكونوا أبدا ندا لعدوهم طبقا لعددهم فى المعركة ، فمن جهة أخرى وعن طريق استهلاكهم للتموينات الخاصة بالمحاصرين سوف يحكمون على أهل المدينة أن يقعوا بسهولة فى أيدى خصومهم ، وعندما تقرر هذا بدأوا هم والألف رجل التابعين لهم بالاعداد لرحيلهم عازمين على بدء رحلتهم ليلا ، ولكن أحد الجنود انسل سرا الى معسكر

العدو واحاطه علما بخطط الرومان ، وبالتالى فان توتيلا اختار ألفين من الرجال الذين عرفوا ببسالتهم وعندما حل الليل وضع الحراس على الطرق لمسافة ثلاثين ستيد من أوكزيماس جاعلا كل تحركاته سرا ، وهكذا فعندما انتصف الليل ورأى هؤلاء الحراس يمر بجوارهم استلوا سيوفهم وبدأوا هجومهم وقتلوا مائتين منهم ولكن سابينيوس وتوريموس والباقى — وبفضل الظلام — نجحوا فى أن يهربوا الى اريمينوم[٤٣] ، ومع ذلك فان القوط أسروا كل الدواب التى كانت تحمل الخدم والاسلحة وملابس الجنود .

كان هناك حصنان على ساحل خليج أيونيان :

بيسوراس[٤٤] Pisaurus وفانوس Fanus[٤٥] يقعان بين مدينتى أوكسيموس وأريمنيوم كانتا قد جردتا من الأسلحة فى بداية هذه الحرب على يد فيتيجز الذى أحرق المنازل فيها وهدم حوائطها الى نحو نصف ارتفاعها وذلك حتى لا يتمكن الرومان — عند قيامهم بحصارها — من أن يتسببوا فى متاعب للقوط ،وقد سبق لبليزاريوس أن قرر الاستيلاء على حصن من هذه الحصون — بيسوروس — فقد بدا له أن المكان بموقعه هو مكان مناسب لرعى الخيل ، لذا فقد أرسل بعض رفاقه ليلا وفى السر حصلوا على مقاسات دقيقة بالنسبة للطول وعرض كل ممر من ممرات البوابات ، وبعد ذلك أتم صنع البوابات وربطها بالحديد ثم حملها على قوارب وأرسلهم وأمر رجال سابينياس وتوريموث أن ينصبوا هذه البوابات تجاه الحوائط بكل سرعة وأن يبقوا داخل الحائط الدائرى ، وبعد التأكد من سلامتهم بهذا الوضع ، يبدأوا فى بناء أجزاء من الحائط الدائرى وبأية طريقة ممكنة كما لو كانت قد تهدمت من قبل وأن يضعوا الأحجار والطين وأية مادة أخرى منهما كانت ، وكان أن

---

(٤٣) هى مدينة Rini رينى حاليا .
(٤٤) بيسارو Pesaro حاليا .
(٤٥) فانوم فورتونا Fanum Fortunae وحاليا فانو Fano .

قاموا بتنفيذ هذه التعليمات ، ولكن توتيلا — عند سماعه بما كان يجرى من حوله — سار نحوهم مع جيش كبير ثم قام بتجربة على البلدة فتوقف بالقرب منهـا لبعض الوقت ولكن بالنظر الى أنه كان غير قـادر على الاستيلاء عليها فقد عاد خائبا الى معسكره فى اوكزيماس •

ومع ذلك فان الرومان لم يعودوا يقومون بهجمـات على العدو ، فقد قبعوا داخل حوائط كل حصن ، وعلاوة على ذلك وحتى عندما أرسل بليزاريوس اثنين من حرسـه الخاص الى روما ، فـان ارتـاسيرس Artasires ، وهو فارسى لكنه عاش فى تراقيا لمساعدة بيسان Bizan فى حراسة المدينة ، فقد أعطاهم تعليمات بالا يقوموا بهجمات على العدو اطلاقا ، وأما من جهة توتيلا والجيش القوطى — وقد رأوا أن قوة بليزاريوس لم تكن بالقدر الكافى لتنتظم فى مواجهتهم ، فقد قرروا مناوشة أقوى البلدان ، وعلى ذلك أقاموا فى بايسنوم أمام فيرموم(٤٦) وأسكولوم(٤٧) وبدأوا فى عمل حصارا ، واقترب الشتاء من نهايته وانتهت السنة العاشرة من هذه الحرب ، ٥٤٥ بعد الميلاد ، التاريخ الذى كتبه بروكوبيوس •

(١٢)

ولمـا وجد بليزاريوس نفسه عاجزا تماما عن أن يمد يد العون الى المدن المحاصرة ، أرسـل حنا — ابن أخ فيتاليان — الى بيزنطة ، بعد أن جعله يقسم بأغلظ الأيمـان أنه سيبذل أقصى جهده ليعود بأسرع ما يمكن ، وكانت مهمته هى أن يرجو الامبراطور أن يرسـل اليهم جيشا كبيرا ومبلغا وفيرا من المـال وعلاوة على ذلك أسلحة وخيول ، فحتى الجنود القليلة المتبقية لديه فقدت رغبتها فى القتـال ، ومع التأكيد على

(٤٦) فيرمو Fermo حاليا .

(٤٧) اسكولى Ascoli حاليا .

أن الحالة تتطلب منهم كثيرا من المال وانهم هم أنفسهم كانوا فى حاجة الى كل شىء ، ولقد كان ذلك حقيقيا ، وقـد كتب بليزاريوس أيضـا خطابا(٤٨) الى الامبراطور مسجلا فيـه هذه الأمور ، وقد أوضـحها الخطاب على النحو التالى :

« ايها الامبراطور لقد وصلنا الى ايطاليا ، بدون رجال وخيول ، وأسلحة أو أموال ، وانى أعتقد أنه لا يوجد انسـان يعتقد أنه بدون التموين وقدر وفير من هذه الأشياء يكون قـادرا على الاسـتمرار فى الحرب وبالرغم من أننا قد توجهنا بكل الجهد والمثابرة الى الليريا وتراقيا ، فان الجنود الذين جمعناهم كانوا — ولدرجة كبيرة مجموعة صغيرة يرثى لها ، رجال دون معدات أو أسلحة فى أيديهم وغير مدربين على القتال ، ونحن نرى من جهة أخرى أن الرجال الذين تركوا فى ايطاليـا كانت أعدادهم غير كافية وممتلئين بالرعب من العدو ، وأرواحهم كانت ذليلة نتيجة الهزائم الكثيرة التى عانوا منها الكثير والتى تمت على أيديهم ، ببسالة رجال لم يهربوا اعتباطا من خصومهم ولا حتى تخلوا عن خيولهم والقوا بأسلحتهم الى الأرض ، وأما عن الدخل فقد كان من المستحيل علينا أن نحصل أية أموال من ايطاليا حيث أن العدو استولى عليها مرة أخرى ، ومن ثم فمنذ أن عجزنا عن دفـع مرتبات الجنود ، فقد نجد أنفسنا غير قادين تماما عن فرض أوامرنا عليهم فالدين قد أزال حقنا فى القيادة ، كما وأن على سيادتكم أن تعلموا هذا أيضا ، أن غالبيـة هؤلاء الذين يخدمون فى الجيوش قد هربوا الى العدو ، ولذلك فاذا لم يكن من الضرورى على بليزاريوس أن يرسل الى ايطاليا وعلى سيادتكم أن تعدوا أحسن ما يمكن اعداده للحرب لأنى متواجد بالفعل فى منتصف ايطاليا تماما ، ومع ذلك اذا كان فى نيتكم قهر الأعداء فى الحرب فيجب

(٤٨) ان روح البطل تظهر بشكل مؤثر فى الخطاب ، والتا تندهش للوقائع الاصلية وأساليب الحديث المزخرفة والخاوية غالبا للمؤرخ البيزنطى انظر جيبون فصل ٤٣ .

اعداد الامدادات أيضا بالنسبة لكل الأشياء الضرورية ، فلا يستطيع أى رجل – حسبما أعتقد – أن يكون قائدا بدون رجال يساندونه ولذلك فان من اللازم – أولا وقبل كل شىء – أن يرسل لى رماة وحراسا ثم يرسل لى من بعدهم قوة كبيرة من الهون وبرابرة آخرين اذا دعت الحاجة لذلك ، ومع دفع الأموال اللازمة لهم فى الحال » •

هكذا كان الخطاب الذى حرره بليزاريوس ، وأما عن حنا – فبالرغم من أنه أمضى وقتا طويلا فى بيزنطة – فلم يحقق شيئا من أحد أهداف مهمته ولكنه تزوج ابنة جيرمانوس – ابن أخ الامبراطور – وفى أثناء ذلك استولى توتيلا على فيرموم ، اسكولوم وذلك بعد أن استسلما له وبتقدمه نحو توسكانى بدأ فى حصار سبوليتيوم[49] وايزيس[50] ، وكانت الحامية فى سبوليتيوم تحت قيادة هيروديان ، وفى ايزيس Assis تحت قيادة سيسفردون Sisifridun الذى كان – بالرغم من أنه كان قوطى المولد – مخلصا بدرجة كبيرة للرومان وللتنظيم الخاص بالامبراطور ومن جهة هيروديان فقد وضع شروطا مع العدو وكان الاتفاق هو أنه سيبقى مستكينا لمدة ثلاثين يوما فاذا لم تأت أية مساعدة للرومان خلال المدة فسوف يقوم بتسليم نفسه والمدينة والجنود والسكان للقوط • وقدم ابنه كرهينة للمحافظة على هذا الاتفاق ، فلما حل اليوم الموعود ولم يحضر أى جيش رومانى ، فان هيروديان وجميع حامية سبوليتوم – وطبقا للاتفاق – وضعوا أنفسهم والمدينة فى قبضة توتيلا والقوط ، ولكنهم قالوا ان العداوه الموجودة بين هيروديان وبليزاريوس كانت الدافع الحقيقى لتسليم نفسه وسبوليتيوم للقوط ، فقد سبق بليزاريوس أن هدد باحضاره لتصفية حسابه معه عن بلاغه السابق •

---

(٤٩) سبوليتو الحالية Spoleto •

(٥٠) اسيزى الحالية Assisi وهما فى دوقية توسكانى •

وهكذا كان مسار الأحداث بالنسبة لسبوليتيوم ، وأما عن سيسفريدون – من جهة أخرى وأثناء قيامه بهجوم مع فرقة – فقد أفنى رجاله وأهلك نفسه وبناء على ذلك فان سكان ايزيس – وقد يئسوا من الوضع – قاموا على الفور بتسليم المدينة للعدو ، كما أرسل توتيلا أيضا الى سبريان يطلب منه أن يقوم بتسليم بيروسيا Perusia له محاولا بث الرعب فيه اذا لم يطعه ، ولكنه من جهة أخرى وعده بمبلغ كبير من المال لو أنه نفذ هذا الأمر ، وحيث انه لم يصادف أى نجاح فى التعامل مع سبريان فقد قام برشوة أحد حراسه – واسمه يوليفوس Ulifus – لقتله غدرا ، وبالتالى فان يوليفوس – وقد تقابل صدفة مع سيبريان على انفراد – قام بقتله ثم فر هاربا الى توتيلا، ومع ذلك فان جنود سبريان استمروا فى حراسة المدينة من أجل الامبراطور ، وبالتالى قرر القوط الارتداد عن بيروسيا Penrusia •

(١٣)

بعد ذلك تحرك توتيلا لمواجهة روما وعندما اقترب من المدينة بدأ يضرب حصارا حولها ، ومع ذلك فلم يلحق ضررا بالمزارعين فى ذلك الجزء من ايطاليا أو فى أى جزء اخر منها فقد طلب منهم الاستمرار فى حرث التربة بدون خوف وكما تعودوا على حرثها من قبل ، وأخذ منهم الدخل الذى كانوا يحضرونه من قبل الى الخزانة العامة والى ملاك الأراضى ، وعندما اقترب بعض القوط من استحكامات روما ، قام ارتاريرس Artasires وباربيشن Barbation بهجوم عليهم ولو أن بياس لم يستحسن هذا التصرف من جهتهم الا أنه قاد عددا كبيرا من رجالهم الى الهجوم وقتلوا على الفور عددا كبيرا منهم وأجبروا الباقين على الفرار ، ولكن وفى تعقبهم لأولئك الرجال ، فقد أضروا بأنفسهم الى أن يسحبوهم الى مسافة كبيرة حتى سقطوا فى كمين وضعه العدو ، وهنا فقد أغلب رجالهم ولكنهم ومع عدد يعد على الأصابع من

الرجال نجحوا وبصعوبة فى الهرب ، وبعد ذلك لم تصبح لديهم الجرأة للخروج لملاقاة خصومهم حتى ولو كانوا يزيدون من ضغط هجومهم .

ومن ذلك الوقت ، أصبح الرومان فى كرب بسبب مجاعة عنيفة اذ لم يعد فى استطاعتهم احضار أية مواد ضرورية من الريف كما وأن المواصلات عن طريق البحر قد قطعت فبعد أن استحوذ القوط على نابلى Naples وضعوا قوة بحرية بأسلحة كثيرة هناك وكذا فى الجزر المسماة ايوليان Aeolian والجزر التى تقع عند ذلك الساحل ، وبهذه الأماكن كانوا يراقبون دائما وعن قرب الطريق البحرى ، ونتيجة لذلك فان السفن التى كانت تقلع من صقلية وتبدأ فى الأبحار فى الاتجاه نحو ميناء روما كانت تسقط فى أيدي هذه الدوريات هى وأطقم بحارتها .

ثم كان أن أرسل توتيلا جيشا الى اميليا Aemiliea وأمره أن يستولى على مدينة بلاكنتيا Placentia [51] سواء عنوة أم بالتسليم ، وهذه المدينة هى المدينة الرئيسية فى أراضى اميليا وكانت لها دفاعات قوية حيث كانت مقامة على نهر ايريدانوس [52] وكانت المدينة الوحيدة فى الاقليم الخاضعة للرومان — عرض شروطا على الحامية بها بتسليمها لتوتيلا والقوط ، لكن بما ان هذه الشروط لم تلق نجاحا فقد أقاموا معسكرا فى الموقع وبدأوا فى ضرب حصار وذلك على أساس أن الناس داخل المدينة كانوا فى حاجة الى امدادات .

وفى ذلك الوقت لاح اشتباه فى خيانة بين قادة جيش الأمبراطور فى روما ضد سيتيجوس Cetegus — أحد النبلاء ورئيس

---

(٥١) هى مدينة بياكنزا الحالية Piacenza فى شمال ايطاليا .
« المترجمة »

(٥٢) نهر الايريدانوس هو نهر البو Po الحالى « المترجمة »

مجلس شيوخ روما — ولهذا السبب أسرع بالرحيل من سانتوميسيا [53] Centumecia .

ولكن بليزاريوس أصبح فى قلق مزعج من جهة روما ومن جهة التنظيم الرومانى بأكمله حيث كان من المستحيل الحصول على مساعدة من رافينا بأى حال وخاصة مع جيش صغير ، ولهذا قرر الانتقال من هناك واتخاذ موقع بالقرب من روما وذلك حتى يستطيع — بالتواجد قريبا منها — أن يتوجه لانقاذ من يعانون من الشدة بها ، وفى الواقع لقد ندم على أنه جاء أصلا الى رافينا ، المسار الذى اتخذه من قبل خلال تتبعه لفيتاليوس ، ولم يعمل بتنظيم الامبراطور حيث انه بابعاد نفسه فى ذلك المكان قد جعل للعدو اليد الطولى ليحدد مسار الحرب حسبما يريد ، وبالنسبة لى يبدو أن بليزاريوس اما أنه قد اختار الطريق الاسوأ حيث شاء الحظ فى ذلك الوقت ان الرومان أصيبوا بالفشل ، واما انه قد قرر بالفعل الطريق الأفضل ولكن الاله — وقد شاءت ارادته أن يساعد توتيلا والقوط أن يقيموا العقبات فى طريق بليزاريوس وذلك حتى تنقلب أحسن خطط بليزاريوس رأسا على عقب وفى الاتجاه المضاد لتوقعاته ، فأولئك الذين تهب عليهم رياح الحظ من جهة عادلة — حتى ولو كانوا يعملون بأسوأ الخطط — سوف لا يصادفون أية نكبة فالسماء تتحفظ على هذه الخطط وتجعل لهم نتائج متوافقة مع صالحهم تماما ، ولكنى أعتقد أن الانسان اذا تعرض للعنة الحظ فسوف تعوزه القدرة تماما ليخطط بحكمة حيث يصبح محروما من ادراك الحقيقة بعد أن أصبح قدره أن يكون من الفاشلين وحتى اذا ما وضع ذات مرة بعض الخطط التى تتلاءم مع الموقف فان الحظ — وعلى الفور — يعمل على ما هو ضد صالحه بعد أن يكون قد وضع مثل هذه الخطط ثم يعمل على الانحراف بالهدف الحكيم الذى كان يستوحيه وذلك أبشع النتائج ، ومع ذلك فاذا كان هذا هو السبب أم غيره ، فاننى لا أستطيع أن أعرف .

---

(٥٣) هى حاليا مدينة سيفيتا فيشيا Civita — Vecchia
« المترجمة »

عندئذ عين بليزاريوس جوستينوس قائدا لحامية رافينا ، وأما عن نفســه فقد رحل من هناك مع عدد قليل من الرجال عن طريق دالماشيا والأراضي المجاورة الى ابيدامنوس(٥٤) حيث بقى هناك متوقعا حضور جيش من بيزنطة ، ثم حرر خطابا للامبراطور أخبره فيه بالوضع القائم ، ولذلك فان الامبراطور — بعد ذلك بقليل — أرسل اليه حنا — ابن اخ فيتاليان — واسحق الارمينى — شـقيق ارانيوس Araatius ونارسيس Narses ومعهما جيش من البرابرة والجنود والرومان ووصـلت هـذه الفرق الى ابيدامنـوس وانضـمت الى بليزاريوس هنــاك .

أرسل الامبراطور أيضا نارسيس الخصى — الى حكام الأيرولى ليقنع غالبيتهم بالسير الى ايطاليا وقد تبعه كثير من الأيرولى تقيادة فيلموث Philemuth وآخرين وتوجهوا معه الى أرض تراقيا فقد كانت النية أنه بعد انقضاء الشــتاء هناك سوف يوفدون الى بليزاريوس عند اشراقة الربيع ، وكان فى ضمنهم أيضــا حنا الذى كانوا يسمونه « الشره »(٥٥) وقد حدث أنه أثناء تلك الرحلة أنهم قاموا — وعلى غير انتظار — بتقديم خدمة عظيمة الى الرومان ، حيث ان حشدا كبيرا من البرابرة السكلافينى(٥٦) — تصادف أن عبروا مؤخرا نهر اســتر(٥٧) ونهبوا البلدان المجاورة وحولوا عددا كبيرا من سكانها الرومان الى عبيد ، وعندئذ أنقض الايرولى على أولئك البرابرة واشتبكوا معهم فى معركة — ورغم من الفارق الكبــير فى العدد — فقد استطاعوا على غير توقع — أن يهزموهم كما ذبحوا بعضهم ، وأما الأسرى الذى اعتقوهم فقد عادوا الى بيوتهم الواحد بعد الآخر ، وفى ذلك الوقت أيضــا وجــد

(٥٤) ديراخيوم دوارزو الحالية على البحر الأدرياتى .
Cam — med. Hist. vol. IV.

(٥٥) الكتاب ٢ — فصل ٩ — ١٥ ... الخ .

(٥٦) انظر التعريف السابق عن الاسكلافينى .

(٥٧) نهر الدانوب .

نارسيس رجلا كان يزعم أنه يحمل اسم تشيلبوديوس Chilbudius وهو رجل مرموق كان ذات مرة أحد قادة الرومان — وقد نجح بسهولة فى فضح أمر هذه الخديعة ، وهنا سوف اقوم بسرد وقائع هذه القصة .

(١٤)

كان هنــاك من يدعى تشيلبوديوس من أهــل منزل الامبراطور ، وكان ذا مقدرة فائقة فى الحرب وفى نفس الوقت كان ذا مقدرة فائقة أخرى ولكن فى الاستحواذ على المال ، ولو بالخديعة وبدلا من أن تكون له املاك كثيرة نتيجة لذلك فلم يكن لديه منها شىء على الاطلاق ، وفى السنة الرابعة من حكم الامبراطور — ٥٣١ بعد الميلاد — عين الامبراطور هذا المدعو تشيليبوريوس قائدا على تراقيا وفوضت اليه مهمة حراسة نهر استر وأمر أن يستمر فى المراقبة حتى لا يتمكن البرابرة فى ذلك الاقليم من عبــور النهر حيث ان الهون والأنتاى Antiae (٥٨) والسكلافينى قد قاموا بالعبور عــدة مرات والحقوا بالرومان اضرارا جسيمة ، وأصبح تشيلبوديوس مصدر رعب للبرابرة حتى انه لمدة ثلاث سنوات — وهى المدة التى أمضاها هناك شاغلا لمنصبه — لم ينجح أحد منهم فى عبور الأستر لملاقاة الرومان فحسب بل وان الرومان عبروا الجانب المقابل مرات عديدة مع تشيلبوديوس وقتلوا من البرابرة هناك وأخذوا منهم أعدادا كبيرة عبيد ، ولكن بعد مرور ثلاث سنوات وعندما عبر تشيلبوديوس النهر — كما كانت عادته — مع قوة صــغيرة حضر السكلافينى أمامه مع كامل قوته ونشبت معركة شرسة سقط فيها كثير من الرومان ومن بينهم القائد تشيلبوديوس ، وفيما بعد أصــبح النهر متاحا للبرابرة للعبور فى كل الأوقات وحسبما يشاءون ، وأصــبحت ممتلكات الرومان فى متناول اليد بســهولة ، ووجدت الامبراطوريــة

(٥٨) الأنتاى من نفس جنس السكلافينى — وكانوا فى الماضى يطلق عليهم اسم واحد وهو Spori وكانوا يحتلون اكبر جزء من الضفة الشمالية لنهر الدانوب . « المترجمة »

الرومانية نفسها غير قادرة بالمرة على أن توفق الى بسالة رجل واحد لأداء هذه المهمة .

وفيما بعد أصبح كل من الأنتاى والسكلافينى عدوا للاخر واشتبكوا فى معركة هزم فيها الأنتاى على يد خصومهم ، وفى تلك المعركة أسر أحد السكلافينى شابا من أفراد عدوه كان يسمى تشيلبوديوس وذا لحية وأخذه معه الى منزله وهذا المدعو تشيلبوديوس أصبح على مر الزمن مخلصا لسيدة لدرجة غير عادية وأثبت أنه محارب جرئ للغاية فى تعامله مع العدو ، وفى الواقع لقد عرض نفسه للخطر مرات عديدة لينقذ سيده فيتميز بهذه الأعمال الباسلة والتى نجح بها فى أن يفوز بسمعة طيبة ، وفى ذلك الحين حط الأنتاى على أرض تراقيا واغتصبوا كثيرا من السكان الرومان وأخذوا منهم الكثير من العبيد ، ثم غادوا أولئك الأسرى معهم بينما كانوا عائدين الى موطنهم الأصلى .

وشاءت الصدف أن يقع أحد هؤلاء الأسرى فى أيدى سيد كريم ورفيق فى معاملاته ، كان هذا الرجل وغدا كبيرا وأحد الذين يغدرون على مراوغة وخداع من يعترضون طريقه ، ومنذ أن أصبح عاجزا بأية طريقة على تدبير عودته الى أرض الرومان حسبما كان يشتهى فقد دبر فى مخيلته الخطة التالية فعندما حضر أمام سيده أخذ فى مدحه لكرمه وأعلن أن الاله بسبب ذلك سوف ينعم عليه بنعم وفيرة وأنه من جهته سوف لا يظهر اطلاقا أى تنكر لأعظم سيد كريم ، ولكن اذا ما كان لدى هذا السيد رغبة فى أن يصغى الى اقتراح ممتاز عليه أن يعرضه ، فسوف يؤدى هذا الاقتراح وفى القريب الى امتلاكه لمبلغ كبير من المــال ، فقد كان هناك — على حــد قوله — بــين دولة الســكلافينى المدعــو تشيلبوديوس — القائد السابق للرومان — كعبد تينما يجهل كل البرابرة حقيقة أمره ، ولذلك فاذا كانت لديه الرغبة فى أن يدفع الثمن الموضوع لتشيلبوديوس ويرحل الرجل الى أرض الرومان فمن المحتمل أن يحصل لنفسه من الامبراطورية لاعلى سمعه طيبة فحسب ولكن على مبلغ هائل

من المال أيضا — وبهذه الكلمات اقنع الرومانى سيده بسرعة الأمر فذهب معه على مقربة من أرض السكلافينى ، فقد كــان هؤلاء البرابرة فى حالة سلم مشروط ويختلطون الواحد بالآخر دون خوف ، ونتيجة لذلك كان فى استطاعتهم أن يدفعوا مبلغا كبيرا من المال الى سيد تشيلبوديوس ليشترى الرجل فرحلا به على الفور ،ولما أتوا الى بــلادهم اســتعلم المشترى من الرجل عما اذا كان هو نفسه تشيلبوديوس قائد الرومان ، وبدون أى تردد ذكر وبكل الصدق كافة الحقائق وبالترتيب قائلاً انه هو أيضا كان من مواليد الأنتاى وأنه أثنــاء القتال مع مواطنيه ضــد السكلافينى والذين كانوا وقتئذ فى حالة حرب معهم تم أسره بمعرفة أحد أفراد العدو ولكنه الان فى موطنه الأصلى وطبقا للقانون فسوف يصبح حرا طليقا من الآن فصاعدا .

وبنــاء على ذلك فان الرجل الذى دفــع من أجله مالا ذهبا فقد النطق من شدة الغيظ بعد أن رأى نفسه قد فشل فى تحقيق أمل بسيط ولكن الرومانى — وقد أراد أن يعيد الطمأنينة الى الرجل ويجادل فى الحقيقة وذلك حتى لا يصادف صعوبة تمنعه من العودة الى وطنه — استمر يصر على أن هذا هو الرجل هو فى الحقيقة تشيلبوديوس ولكنه كان خائفا بسبب وجوده وسط البرابرة وهكذا كان ممتنعا عن الكشف عن كل الحقيقة وأنه لو دخل أرض الرومان سوف لا يمتنع عن اخفاء الحقيقة فحسب بل سوف يتفاخر بالفعل بالاســم الذى يحمله ، وفى بادئ الأمر فان كل هذه الأشياء قد تمت دون علم البرابرة الآخرين .

لمــا ذاع الخبر ووصل الى كل انحاء الدولة ، خاصة جميع الأنتاى الذين تجمعوا لمناقشة الوضع وطلبوا اعتبار الأمر مسألة عامة معتقدين أنه يمكن الاستفادة الى حد كبير من حقيقة أنهم أصبحوا الآن ســادة القائد الرومانى تشيلبوديوس ، وفيما يتعلق بهذه الأمم فان السكلافينى والأنتاى لا يحكمون حكما ، فرديا فقد عاشــوا منذ القدم تحت مظلة

من الديمقراطية ونتيجة لذلك فان كل شيء يتعلق بهم سواء أكان طيبا أم سيئا يعرض على الشعب •

وانها لحقيقة أنه بالنسبة لباقي الأمور كلا — خاصة التحدث — فان هذين الشعبين من البرابرة ظلا ومنذ الأزمنة القديمة يحتفظان بنفس النظم والعادات ، فهما يعتقدان أن الها واحدا — صانع البرق — هو وحده سيد الأشياء وهم يقدمون الماشية وغيرها كقرابين له ، ولكن بالنسبة للقضاء والقدر فانهم كما أنهم لا يعلمون شيئا عنه فانهم أيضا لا يسلمون بأن له دورا مسيطرا في حياة الانسان ولكن عندما يقترب الموت منهم — سواء بسبب المرض أو بدء الحرب يقطعون على أنفسهم عهدا أنهم اذا ما ذهب عنهم سوف يقومون بتضحية للاله مقابل احتفاظهم بحياتهم ويعتبرون أن سلامتهم انما تحققت بفضل هذه التضحية وكذا الحال بالنسبة لتفادي المرض أو الحرب ، ومع ذلك فانهم يقدسون الأنهار والحوريات (عرائس البحر) وبعض الأرواح الأخرى ويقدمون التضحيات لها أيضا ويؤدون طقوسهم الكهنونية طبقا لهذه التضحيات ، انهم داخل أكواخ يرثى لها يقيمونها الواحد بعيدا عن الاخر ولكن بوجه عام فان كل رجل منهم يقوم بتغيير محل اقامته بصفة دائمة ، وعندما يدخلون في معركة فان غالبيتهم تتوجه لملاقاة العدو سيرا على اقدام حاملة دروعا قليلة وقذائف بدائية في أيديها ولكنهم كانوا لا يرتدون أية دروع على الاطلاق ، وفي الواقع فان البعض منهم لم يكن يرتدي حتى قميصا أو عباءة ، ويشمرون سراويلهم الى أعلى الركبة طالما كانوا مشتبكين مع خصومهم في المعركة ، كما وان الشعبين الاثنين يتكلمان نفس اللغة بلهجة البرابرة تماما ولا يختلف أحد منهما عن الآخر في المظهر اطلاقا : وبصفة خاصة رجال طوال اشداء بينما أجسامهم وشعورهم تميل للون الداكن فلا يوجد منها ما هو أشقر اللون وان كانت كلها مصطبغة الى درجة خفيفة باللون الأحمر الذي يدل على صحة طيبة (موردة) • وهم يعيشون حياة قاسية لا يعيرون أجسامهم راحة مثلهم في ذلك مثل الماساجيتي كما أنهم يشابهونهم في أنهم وابدا تغطيهم

القذارة ، ومع ذلك فانهم ليسوا سفلة من أية ناحية كما انهم لا يفعلون الشر ، ولكنهم يحتفظون بخلق الهون في بساطته ، وفي الحقيقة لقد كان للسكلافيني والانتياي بالفعل اسم واحد في الماضي البعيد فقد كان الاثنان يسميان سبوري Spori في الأزمنة القديمة وذلك بسبب معيشتهم الرجل بعيدا عن الاخر — على ما اعتقد — اذ كانوا يقطنون في بلادهم بأسلوب تباعدي ، ونتيجة لتلك الحقيقة فقد كانت في قبضتهم مساحات واسعة من الأراضي كما كانوا وحدهم يسكنون أكبر جزء من الضفة الشمالية للاستر ولذا كثر الكلام بشأن هذه الشعوب •

ولذا ففي المناسبة القائمة اجتمع الانتاي معا — كما سبق ذكره — وحاولوا ارغام ذلك الرجل على أن يتفق معهم على التأكيد أنه كان تشيلبوديوس ، القائد الروماني نفسه ، وهددوه بأنه اذا أنكر ذلك فسوف يقومون بمعاقبته ، ولكن وبينما الأمور تسير هكذا على النحو المبين كان الامبراطور جستنيان قد أرسل بعض المبعوثين الى نفس هؤلاء البرابرة عبر على طريقهم عن رغبته في أن يستقروا جميعا في مدينة قديمة تدعى توريس Turris (٥٩) تقع على شمال نهر أستر ، وقد سبق أن بنيت هذه المدينة على يد الامبراطور الروماني تراجان في الأزمنة القديمة ولكنها بقيت لمدة طويلة خالية من السكان وذلك بعد أن نهبت بواسطة برابرة ذلك الاقليم ولقد كانت هي المدينة وتلك الأراضي التي وافق الامبراطور جستنيان على اعطائها لهم مؤكدا أنها تخص الرومان أصلا ، كما وافق بعد ذلك على أن يعطيهم كل المساعدات ، وذلك أثناء قيامهم بتوطيد أنفسهم وكذا على أن يدفع لهم مبالغ كبيرة من المال بصفة دائمة وذلك عندما يريد هؤلاء أن يجبروا الأملاك الرومانية ويغتصبوها •

وعندما سمع البرابرة بهذا ، عبروا عن استحسانهم ووعدوا بتنفيذ كافة الشروط وذلك بشرط أن يعاد تشيلبوديوس الى وظيفة قائد الرومان

(٥٩) مدينة توريس Turris تقع شمال نهر الدانوب .

مع تفويض بأن يساعدهم فى تأسيس مدينتهم ، ومصرين على أن الرجل الذى كان بينهم هو تشيلبوديوس ، وبناء عليه فان الرجل نفسه — وقد ارتفعت هذه الآمال بدرجة كبيرة — بدأ يدعى ويؤكد مثل الاخرين أنه كان تشيلبديوس القائد الرومانى وفى الواقع لقد كان مسافرا الى بيزنطة فى مهمته عندما أتى نارسيس — فى أثناء رحلته — واعترض طريقه ، و عندما قابل الرجل ووجده يلعب دور المحتال وذلك بالرغم من انه كان يتكلم اللهجة اللاتينية وتعلم الكثير من الخصائص الشخصية لتشيلبوديوس ، وكان ناجحا فى التظاهر بها ، أودعه السجن وأرغمه على أن يعترف بالحقيقة كلها ، وفيما بعد أبعده مع بطانة الخاصة الى بيزنطة ، ولكنى سأعود الى النقطة التى انحرفت عنها .

(١٥)

وبينما كان الامبراطور يتخذ مثل هذه الخطوات على النحو السابق ايضاحه ، فان بليزاريوس من جهته أرسل جيشا الى ميناء روما تحت قيادة فالينتينوس وأحد حرسه الخاص — واسمه فوكاس Phocas وهو محارب قدير وكان مزودا بتعليمات بأن ينضم الى الحامية فى بورتوس والتى كانت تحت قيادة انوسنيتوس Inucentius وذلك لمساعدتهم فى حراسة الحصن ، وحينما وجدوا أن ذلك ممكنا فعليهم أن يقوموا بمناوشات وغارات على معسكر العدو ، ونتيجة لذلك فان فالينتيوس وفوكاس أرسلا فى السر رسولا الى روما حاملا الى بيباس بأنهم فى تلك الآونة على وشك القيام بهجوم مفاجىء على حواجز خصومهم ، ولذلك فعليه من جهة أن يختار أحسن الجنود شجاعة فى روما ، وكلما لاحظ هجوم اندفع لمساعدتهم وذلك حتى تكون كل من القوتين قادرة على أن توقع بالبرابرة أكبر عدد من الاصابات ومع ذلك فان بيباس لم يكن مقتنعا بهذه الخطة وذلك بالرغم من أنه كان لديه ثلاثة آلاف جندى تحت امرته ، وهكذا فان فالينتينوس وفوكاس مع قوة تتألف من خمسمائة جندى انقضوا — على غير انتظار — على معسكر

العدو وقتلوا عددا قليلا من أفراده ، وكان أن وصلت الجلبة التى حدثت بموجب ذلك سريعا الى آذان المحاصرين[٦٠] ، ولكن عندما رأوا أن أحدا لم يخرج من المدينة ضد المعسكر ارتدوا سريعا الى الميناء دون أن يتكبدوا أية خسارة .

وهكذا أرسلوا الى بيباس للمرة الثانية متهمين اياه أنه أولا قد قام بهجوم جبان يؤسف له ، وأعلنوا أنهم سوف يقومون قريبا بهجوم آخر على العدو ويحثونه على ان يشن غارة على البرابرة بكل قواه وفى اللحظة المناسبة ومع ذلك فان بيباس استمر فى رفض القيام بشن هجوم على خصومه والمخاطرة بالدخول فى معركة ، واستمر فالينتينوس وفوكاس فى التمهيد لشن غارة على العدو بقوة أكبر وأعدوا بالفعل الترتيبات اللازمة لها ، ولكن أحد الجنود تحت قيادة انوسنتيوس ذهب الى توتيلا كهارب من الخدمة ونقل اليه الأنباء بأنه فى اليوم التالى سوف يقع هجوما عليهم من بورتوس ، لذا قرر أن يملأ الأماكن بكمائن الجنود التى اختيرت لهذا الغرض ، وذلك ففى اليوم التالى سقط فالينتينوس وفوكاس فى هذه الكمائن ولم يفقدوا أغلب رجالهم فحسب بل قتلوا هم أنفسهم ، ولم يتمكن من الهرب وبصعوبة الا عدد صغير يعد على الأصابع عمدوا الى تسليم أنفسهم فى Portus بورتس .

وفى هذه المرة قام فيجليوس — رئيس أساقفة روما[٦١] والذى كان وقتئذ يقيم مؤقتا فى صقلية — بملأ أكبر عدد من السفن بالقمح وأطلقها معتقدا أن — الذين كانوا متولوين توصيل الشحنات سوف يكون فى مقدورهم — بطريقة أو بأخرى — الوصول الى روما ، وهكذا كانت هذه السفن مبحرة تجاه ميناء روما ولكن العدو تجسس عليها ووصل الى الميناء قبل وصول السفن بوقت قصير ، وهناك أخفى أفراده انفسهم

---

(٦٠) اى فى روما .

(٦١) فيجيليوس كان هو البابا من ٥٣٧ — ٥٥٥ .

داخل الأسوار وكان هدفهم من ذلك هو أنه بمجرد أن تصل السفن الى البر هناك يقومون بالاستيلاء عليها دون صعوبة ، وعندما لا حظ الرجال الذين يتولون الحراسة فى بورتوس هذا صعد كل رجل منهم الى الحصن وقاموا بالتلويح بعباءاتهم محاولين اعطاء اشارة للرجال المتواجدين على سطح السفن بالا يتقدموا نحو الميناء وأن يديروا السفن جانبا والتوجه الى مكان آخر الى أى مكان تقودهم الصدفة اليه ، ولكن الرجال على السفن فشلوا فى ادراك ما يجرى واعتقدوا أن الرومان فى بورتوس انما كانوا يهللون ويدعونه للدخول الى الميناء وحيث ان الرياح كانت مواتية فقد دخلوا الميناء بسرعة ، وكان هناك كثير من الرومان على سطح السفينة من بينهم أسقف يدعى فالينتينوس ، وعندئذ طلع البرابرة من مخبئهم واستولوا على كافة القوارب بدون أن يصادفوا أية مقاومة وأما من جهة الأسقف فقد أخذوه اسيرا وتوجهوا به الى توتيلا وقتلوا الباقى ثم ربطوا القوارب بالشاطىء بحمولاتها ورحلوا ، وقام توتيلا بعمل تحريات عن هذا الأسقف حسبما أراد ، ثم اتهمه بعدم قول الحقيقة من أية ناحية ومن ثم قام بقطع يديه الاثنين . وهكذا كان مسار هذه الأحداث واقترب الشتاء من نهايته وانتهت السنة الحادية عشر من هذه الحرب ٥٤٦ بعد الميلاد ، التاريخ الذى كتبه بروكوبيوس .

(١٦)

وأما فيجيليوس — رئيس اساقفة روما — فقد أتى الى بيزنطة من صقلية امتثالا لاستدعاء الامبراطور فقد كان ينتظر لمدة معقوله فى صقلية هذا الاستدعاء .

وفى تلك الآونة اضطر الرومان المحاصرون فى بلاكنتيا — وقد رأوا ان تموينااتهم قد نفذت تماما — الى الالتجاء الى أطعمة من نوع غير طبيعى وذلك تحت ضغط المجاعة ، وفى الواقع فقد أخذوا يتذوقون من بعضهم البعض وبسبب هذا الوضع انتهى بهم الأمر الى قبول

شروط التسليم التى وضعها القوط سواء بالنسبة لتسليم أنفسهم لهم أم بالنسبة لتسليم بلاكنتيا ، وهكذا كان مسار الأحداث هنا .

وبالمثل فى روما ، وكما حدث من عناء تحت وطأة حصار توتيلا فان كل المواد الضرورية للحياة قد اختفت بالفعل ، وكان بين قساوسة روما قسيس يدعى بيلاجيوس يتولى مكتب شماسة الكنيسة ، سبق أن امضى وقتا معقولا فى بيزنطة ولذلك أصبح مقربا الى الامبراطور بصفة خاصة ، وقد تصادف أنه وقبل وصوله الى روما بوقت قصير امتلك ثروة كبيرة وأثناء ذلك الحصار قد وهب جزءا كبيرا من ثروته لأولئك المحرومين من ضروريات الحياة ، وهكذا وبالرغم من انه كان رجلا مرموقا حتى قبل ذلك الوقت بين جميع الايطاليين ، فانه اكتسب بهذا وبطبيعة الحال صيتا لمحبته لخير البشر ، ولما رأى الرومان أن الوضع يدعو لليأس بسبب المجاعة فقد اقنعوا بلاجيوس أن يتوجه الى توتيلا ويتفاوض معه نيابة عنهم بشأن هدنة لبضعة ايام فقط وذلك على أساس أنه فى خلال تلك الهدنة اذا لم تصلهم أية مساعدة من بيزنطة فسوف يسلمون أنفسهم والمدينة للقوط ، ولما جاء الى توتيلا حياه باحترام كبير وود وتكلم أولا على الوجه الآتى :

« بين جميع شعوب البرابرة فى العالم عادة شائعة هى احترام هيئة المبعوثين ، وانا من جهتى كنت دائما مشتاقا لأن يكون لى هذا الشرف وبصفة خاصة بالنسبة لكم لأنكم من الذين يستطيعون وضع الأمور فى نصابها ، ان من رأيى أن الفرق بين التكريم والاهانة لرجل يقوم بدور المبعوث ليس هو اظهار الابتسامة ، أو قيام مستقبليه بالكلام المعسول ، وانما اما ان يتكلمون الحقيقة ببساطة ، أو بتوجيه الحديث اليه بنفاق ، ولكن الشىء الوحيد الذى يعول عليه هو أن من يتباحث معه لا يجعله ينصرف حتى تكون الحقيقة قد كشفت له كاملة ، ومن جهة أخرى فان الاهانة الكبرى التى تلحق بالمبعوث هى أن يشرع فى الرحيل بعد أن يكون قد سمع مديحا مخادعا ومنافقا ، ولذلك فياسيد بيلاجيوس —

باستثناء ثلاثة أشياء سوف لا تفشل أبدا فى أن تنال منا ما قد تتمنى مهما كان ، هذه الاشياء من المستحسن لك أن تتجنبها وتتجاوزهـا دون أن تذكرها وذلك حتى لا يمكنك أن تلومنا على الفشل فى تحقيق أى هدف من الأهداف التى جئت من أجلها ولو أنك أنت نفسك أكثر من يستحق اللوم على مثل هذا الفشل ، فبالنسبة للنتيجة المحتومة لتقديم طلب لا يتلاءم مع الوضع القائم بالفعل هو عموما فشل لكسب الهدف ، لذا فانى أحذرك ألا تقدم أى عذر أو التماس فى صالح أى فرد من الصقليين واستحكامات روما أو العبيد الذين وضعوا انفسهم تحت حمايتنا ، فمن المستحيل للقوط أن يظهروا أية رحمة تجاه أى فرد من أهل صقلية أو لهذا الحائط ليبقى قائما او تجاه العبيد الذين كانوا فى خدمة جيشنا ليعودوا الى خدمة أسيادهم السابقين ولتجنب مظهر التقدم بهذه الطلبات بشكل غير معقول فسوف نخلى أنفسنا من ذلك بذكر الأسس الخاصة بنا فى الحال .

« ففى المقام الأول ، هذه الجزيرة[٦٢] لها درجة لا مثيل لها من الازدهار منذ القدم كما يستدل على ذلك من عائداتها ومن وفرة المحاصيل التى تنتج فيها وبحيث انها لا تمد سكانها بما يكفيهم فحسب ، بل كنتم أيها الرومان يتم تموينكم بوفرة عن طريق استيراد انتاج حقول صقلية كجزية سنوية ، ولهذا السبب تقدم الرومان برجاء الى ثيودريك وفى بداية حكمه بألا تقام حاميات من القوط هناك وذلك حتى لا يوضع أى قيد على حرية السكان أو رخائهم العام ، وفى مثل هذه الظروف فان جيش العدو المتواجد فى صقلية مع قوة لا تعتبر ندا لنا سواء من جهة عدد الرجال أم من أية ناحية أخرى مهما كانت ، ولكن أهل صقلية عند رؤيتهم للاسطول ، لم يقوموا بابلاغ ذلك للقوط ، ولم يحبسوا أنفسهم داخل تحصيناتهم ، ولم يوافقوا على أن يظهروا عداوة لخصومهم بأى شكل آخر بل فتحوا بوابات مدينتهم وبكل الحماس استقبلوا جيش

(٦٢) جزيرة صقلية .

العدو بأذرع مفتوحة[٦٣] كما لم يفعله أكثر العبيد الصادقى الولاء والذين كانوا ولمدة طويلة يتحينون الفرصة المواتية ليهربوا من أيدى ملاكهم ثم وجدوا بعض السادة الجدد الذين لا يعلمون عنهم شيئا ، لذلك فاستخدام تلك الجزيرة كقاعدة فان العدو — كما لو كان يقاتل من حصن متقدم — امتلك وبدون صعوبة كل ايطاليا ووضع يده على هذه المدينة — (روما) وأحضر معه من صقلية كمية كبيرة من القمح — بالرغم من حصار سنة كاملة — استمرت فى سد حاجة كل سكان المدينة ، هذا هو حال أهل صقلية الذين جعلوا من أفعالهم النكراء ما لا يمكن للقوط أن يغفروها لهم أبدا وهم يرون ثقل التهم تنزع كل دواعى الرحمة ازاء الجرم » .

« وفى المقام الثانى ، ففى داخل هذه الأسوار حبس العدو نفسه ومنها لم يكن عارفا تماما أن يهبط الى السهل وينظم صفوفه ضدنا ، ولكن بخدع خبيثة وحيل للمراوغة سخر على الدوام من القوط وهكذا أصبح سيد أملاكنا بدون اى وجه حق ، ونتيجة لذلك فمن حقنا أن نعد العدة بما لا يعرضنا لنفس هذه التجربة مرة ثانية ، فالرجال عندما يصادفون كارثة ذات مرة فانهم عن طريق الجهل يقعون فى نفس الورطة السيئة مرة أخرى بدون التحوط للكارثة التى تصبح معتادة لهم بتكرار التجربة ، ان الرجال يعتقدون أن ما حل بهم ليس بسوء حظ ولكن وعلى كل أوجه الاحتمالات دليل على حماقة ضحايا الكائنة ، وقد يضيف أحد الى ما تقدم أن تدمير أسوار روما سوف يعود بالنفع عليكم أكثر من كل الآخرين ، لأنكم سوف لا تحبسون داخلها فيما بعد مع الاخرين وتحرمون من كل ضروريات الحياة بينما تعانون الكثير من الحصار على أيدى المغيرين على المدينة ولكن على العكس سوف يأخذ الجيشان فرصتهما فى معركة مفتوحة الواحد ضد الآخر بينما تصبحون أنتم ببساطة — وبدون تعرضكم لمخاطر — غنيمة للمنتصرين » .

(٦٣) حرفيا (بأيدى قوية) .

« وفى المقام الثالث ، وفيما يتعلق بالعبيد الذين وضعوا أنفسهم تحت حمايتنا ، سوف نقول هذا فقط وهو أنه ـ وبعد أن يكونوا قد أخذوا أماكنهم فى جيشنا مقابل ما أصابنا من كوارث وحصلوا منا على وعد أننا سوف لا نتخلى عنهم أبدا لسادتهم السابقين ـ ينبغى علينا ونحن فى مفترق الطرق أن نقرر وضعهم بين أيدينا ، كما وأننا لا نملك الحق لجعلكم تثقون بنا أيضا ، فمن المستحيل القول من المستحيل ، فالرجل الذى يجعل ما تعهد به وأقسم عليه مصباحا يضىء مع حظ عاثر للرجال ليعطى دليلا على روح يمكن الاعتماد عليها فى المعاملة مع أى فرد آخر ، ولكنه بأية سجية تكشف عن طبيعته الحقيقة فى كافة معاملاته مع الآخرين » .

هكذا تحدث توتيلا ، ورد عليه بيلاجيوس على الوجه الآتى :

« سيدى ، ولو انكم بدأتم بالقول تحملون أكبر اعجاب ليس فقط من جهتى ولكن من جهة اللقب الخاص بالمبعوث ، ومع ذلك فقد خصصتم لنا فى الحقيقة أدنى درك من العار ، وفى الواقع فانى اعتقد من جهتى أن الشخص الذى يوجه الاهانة لصديق ومبعوث فى الوقت نفسه ليس هو الرجل الذى يمكن أن يضربه على الرأس أو يسىء معاملته ، ولكنه هو الذى يقرر السماح لزائره أن يرحل مع بعثته دون انجاز لمهمتها ، فليس من الهدف نيل الشرف على أيدى من يستقبلها وهو الأمر الذى اعتاد الرجال أن يفعلوه تجاه القائم على البعثة ، ولكن الهدف هو العودة مع انجاز طيب لمن قاموا بارسالها ، وبالتالى فسوف يكون من الأفضل لهم لو عومل باحتقار مع تحقيق بعض الأغراض التى جاءت البعثة من أجلها ، وبدلا من سماع الود والعودة بخيبة أملهم .

وبالنسبة للوضع الحالى فانى لا أعلم أية حجة ينبغى أن أقدمها فيما يتعلق بهذه الأشياء التى أشرتم اليها بنفسكم ، فلماذا يلح الانسان على الذى رفض اتفاقا قبل أن يسمع الحجة ؟ ومع ذلك فانى لا أستطيع

أن اترك هذا الأمر دون القول انه قد أصبح واضحا أى مقياس للكرم تقصدونه ليظهر للرومان من الذى رفع السلاح ضدكم ، وانكم ترون ـ من جهة أهل صقلية أنكم قد عقدتم العزم على أن تصبوا عداوتكم عليهم وبدون رحمة وذلك بالرغم من أنهم لم يقاوموكم بأى شكل ولكن بالنسبة لى فسوف أصرف النظر عن الطلب المقدم لكم وأفوض مهمتى لله الذى اعتاد أن ينزل عقابه على أولئك الذين يزدرون صلوات المتضرعين اليه » .

(١٧)

بهذه الكلمات رحل بيلاجيوس ولما رآه الرومان عائدا دون نجاح لمهمته ، انتابتهم حالة من اليأس ، فقد كانت وطأة المجاعة ما زالت أكثر حدة وتعمل على تخريب أجسامهم وبدرجة رهيبة من يوم لآخر ومع ذلك فان الجنود لم يكونوا قد استهلكوا كل تموينانهم بعد ، ولكنهم مع ذلك قادرون على المقاومة ، ولذلك تجمع الرومان فى حشد كبير وجاءوا أمام بيساس Bessas وكانون Canon ، قادة جيش الامبراطور باكين منتحبين بصوت عال وتحدثوا اليهم على الوجه الآتى :

« أيها القادة ، ان المصير الذى نراه قد حل بنا فى الوقت الحاضر يجعلنا اذا ما كان لنا القدرة على ارتكاب أى عمل فعل محرم ضدكم ، فان مثل هذا الجرم لن يجعلنا موضع ملامة ، فضغط الحاجة الشامل يعطى للنفس الدفاع الكافى ، والآن ونحن نرى أن قوتكم لا تستطيع أن تكفى للدفاع عنا ، فقد لجأنا الى الكلمات وجئنا أمامكم لايضاح موقفنا ولنندب حظنا العاثر وأنتم ترفضون الاستماع الينا ولا تحرككم جرأة كلماتنا بل تحكمون عليها بأنها ناشئة عن حدة معاناتنا فبالنسبة لمن ارغم على اليأس من السلامة لا يستطيع بعد ذلك أن يتحكم فى أفعاله لا ، ولا حتى فى كلماته ، وذلك لكى يستمر فى المحافظة على وقاره ، وأما من جهتنا ـ أيها القادة ـ لا تدخلونا فى عداد الرومان أو المواطنين من

مواطنيكم ، أو حتى قد فوضنا أمور حكمنا لكم ، ولا تفترضوا أننا في البداية قد استقبلنا جيش الامبراطور في المدينة عن طيب خاطر ، بل باعتبارنا أعداء من أول الأمر وكرجال رفعوا سلاحهم ضدكم ، وفيما بعد وعند الهزيمة في المعركة ، قد أصبحنا ببساطة عبيدا أسرى طبقا لقانون الحرب ، فهل أنتم تمدون أسراكم بعون — اذا لم يكن بكميات تكفي احتياجاتنا — فعلى الأقل بدرجة تجعل الحياة ممكنة انكم بعملكم هذا تجعلونا نستمر في الحياه ونقدم لكم الخدمة في المقابل حيث انه من الضروري أن يقوم العبيد بتقديم الخدمة لسادتهم ، ولكنكم اذا ما وجدتم ان هذا الأمر من الصعوبة بمكان أو هو ضد ارادتكم فلا أقل من أن توافقوا على اطلاق سراحنا من قبضة أيديكم فبهذا العمل سوف تكسبون ميزة تتمثل في أنكم سوف تتفادون متاعب دفن عبيدكم ، وحتى اذا كان هذا المعروف سوف لا نحصل عليه ، تفضلوا علينا بالموت ولا تحرمونا من نهاية محترمة وتبخلوا علينا بالموت الذي هو بالنسبة لنا قد أصبح أحلى من أي شيء آخر ، فبعمل واحد يحرر الرومان من عشرة آلاف مشكلة » .

وعندما سمع Bessas هو وضابطه هذا ، أكدوا أولا أن امدادهم بالتموينات غير ممكن ثانيا ان القضاء عليهم بالموت هو عمل يتسم بالعار ، ثالثا انه حتى اطلاق سراحهم من العبودية سوف لا يكون بلا أخطار ، ولكنهم أصروا على أن بليزاريوس مع الجيش القادم من بيزنطة سوف يصلون بسرعة ، وهكذا وبعد مواساتهم بهذا القول طلبوا منهم الانصراف .

ولكن المجاعة وقد اصبحت أشد قسوة بمرور الوقت ، أخذت تزيد من الرغبة في التخريب والنهب ، تدفع الرجال الى أن يبحثوا عن أية أطعمة حتى ولو كانت كريهة ولم تؤكل من قبل وتعافها النفس البشرية وحيث ان بيساس وكانون اللذين كانا يحكمان حامية روما لديهما كمية

ضخمة من تموين القمح مخزنة داخل أسوار روما وذلك لاستهلاكهما الخاص ، فقد كانا — مثلهم في ذلك مثل الجنود يستقطعان باستمرار جزءا معينا لاحتياجاتهم الخاصة ويبيعانه بثمن مرتفع لأغنياء روما فقد وصل ثمن البوشل (مكيال للحبوب يقدر بنحو ٣٦ لتر) الى سبعة قطع ذهبية ، ومع ذلك فان أولئك الذين كانت ظروفهم المنزلية تجعلهم غير قادرين على المشاركة في الطعام الذي كان عزيزا بدرجة عالية ، كانوا يستطيعون بدفع ربع هذا الثمن نقدا أن يحصلوا على بوشل ملء بالنخالة (الرده) فقد كان هذا طعامهم الذي جعلته الضروره حلوا ولذيذا بالنسبة لذائقهم ، أما فيما يتعلق بلحم البقر ، فكلما قام الحرس الخاص بالانقضاض على ثور للامساك به ، فقد كانوا يبيعونه لقاء خمسين قطعة ذهبية ، واذا كان أي رجل في حيازته حصان ميت أو أي حيوان آخر غير حي فقد كان مثل هذا الرجل يعد بين أولئك القوم محظوظا بدرجة فائقة ، فقد كان في مقدوره أن يعيش برفاهية على لحم هذا الحيوان الميت ، ولكن جميع الباقيين من السكان كانوا يأكلون الحشائش القارصة فقط التي كانت تنمو بوفرة حول الأسوار بين الخرائب في كل أجزاء المدينة ، ولمنع العشب القارس من لسع شفاههم وحلوقهم كانوا يقومون بغليه تماما قبل أكله .

وهكذا فطالما كان الرومان يملكون عملة ذهبية كانوا يشترون بها قمحهم ونخالتهم بالطريقة السابق شرحها ثم يذهبون لحال سبيلهم ، ولكن عندما نفذ هذا المعين في نهاية الأمر ، كانوا يحضرون كل ما يملكون من سلع منزلية الى السوق ويبادلونها بما يحتاجون اليه من القوت اليومي ، ولكن عندما أصبح جنود الأمبراطور لا يملكون أي قمح يستطيعون بيعه للرومان (فيما عدا بيساس الذي كان مازال في حوزته القليل المتبقى) ولا الرومان عندهم أي شيء ليشتروا به ، فقد تحولوا جميعا نحو الحشائش القارصة ، ولكن هذا الطعام لم يكن كافيا لهم فقد كان من المستحيل أن يرضيهم دائما ، ونتيجة لذلك ذبلت أجسامهم تماما بينما تحول لونها تدريجيا الى الصبغة الداكنة مما

أعظامهم مظهرا مخيفا كالأشــباح ، وكــان يحدث للكثير منهم — وهم يسيرون ويمضغون الحشائش القارصة بأسنانهم — أن يفاجئهم الموت بغته فيسقطون على الأرض بلا حراك ، ثم كان أن أكل بعضهم فضلات الاخر ، كما كان هناك الكثيرون الذين — تحت ضغط المجاعة — قتلوا أنفسهم بأيديهم لأنهم لم يعودوا يجدون لا الكلاب ولا الفيران ولا أى حيوان ميت من أى نوع ليصبح غذاء لهم .

كان فى المدينة أحد الرومان — أب لخمسة من الأطفال — تجمعوا حوله مسكين برداثه لا يكفون عن مطالبته بطعــام ، ولكنه — وبدون كلمة واحدة ينطق بها تعبيرا عن حزنه والمه وبدون أن يظهر الانزعاج بشكل حاد ومخفيا كل معاناته فى نفسه وبشكل ثابت — أمر اطفاله أن يتبعوه بدعوى الحصول على طعام ، ولكنه عندما وصل الى المعبر فوق التيبر ربطا عباءته فوق وجهه مخفيا بذلك عينيه ثم قفز من اعلى المعبر الى مياه التيبر ، وقد شاهد هذا العمل كل من اطفاله وجميع الرومان الذين كانوا متواجدين هناك .

من ذلك الوقت ، وبمجرد تسلم القادة الرومان أموالا اضافية كانوا يسمحون للرومان بمغادرة المدينة حسب الرغبة ولم يتبق فيها الا القليل فقد هرب الباقون منها بكل وسيلة ممكنة طبقا لظروف كل فرد منهم ، ولكن أغلب هؤلاء — بالنظر الى أن قواهم قــد نفدت تماما نتيجــة للمجاعة — قد هلكوا بمجرد أن بدأوا رحلتهم ســواء عن طريق البحر أم عن طريق البر ، كما أن الكثيرين منهم قد وقعوا فى أيدى العدو فى الطريق وتم القضاء عليهم ، وهكذا كان حظ أعيان وشعب روما .

(١٨)

عندما وصل جيش حنا واسحق الى أبيدامنوس وانضم الى بليزاريوس قام حنا من ناحيته بحثهم على أن تعبر القوات الخليج ثم تتقدم عن طريق البر مع الجيش كله بحيث تقف أمام أية مقاومة قد تعترض طريقها ، ولكن بليزاريوس من جهته — اعتبر هذه الخطة ملائمة ورأى ان الأفضل للحصول على مكاسب أكثر الابحار الى الأماكن المجاورة حيث ان الذهاب عن طريق البر ســوف يستغرق وقتا أطول ، كمــا قد يواجه ببعض العقبات ، وعلى أن يسير حنا أثناء ذلك من خلال كالابريا والشــعوب الأخرى المقيمة به ، ثم يقوم بطرد البرابرة القلائل الذين كانوا هناك ، وبعد اخضاع جنوب خليج أيونيا يسير الى الأماكن المجاورة لروما ثم ينضم الى أصدقائه ، ولا شك أن بليزاريوس كان يهدف الى أن يرسو مع باقى الجيش فقد كان يعتقد أنه نظرا لأن الرومــان كانوا يعانون الكثير من قسوة الحصار حتى ان أقل تأخير — وبكل المقاييس ســوف يلحق كارثة بتنظيمهم ، واذا ما ذهبوا عن طريق البحر وكانت الريــاح مواتية فمن المتحمل أن يهبطوا الى ميناء روما فى اليوم الخامس بينما يكون الجيش الذى يسير من درايوس Dryous لا يستطيع الوصول الى روما حتى فى خلال أربعين يوما .

وهكذا أعطى بليزاريوس هذه التوجيهات الى حنا وأبحر من هناك بكامل أسطوله ، ولكن ريحا عنيفة هبت عليهم فرسوا فى درايوس ، ولما رأى القوط الذين كانوا قد حطوا رحالهم لحصار الحصن الأسطول تخلوا عن فكرة الحصار وعمدوا الى التوجه فى الحال الى الأماكن المجاورة لبرنديزى — وهى مدينة تبعد مسيرة يومين من درايوس كانت تقع على ساحل الخليج كما كانت بدون أسوار — فقد أفترضوا أن بليزاريوس سوف يمر وعلى الفور من خلال البوغاز[٦٥] عنــد درايوس ، وأبلغوا توتيلا بوضعهم فقام هذا من جهته بوضع جيشه الخاص فى حالة تأهب لمواجهة بليزاريوس وأمر القوط فى كالابريا أن يضعوا الممرات تحت الحراسة على أحسن ما يمكنهم ذلك .

---

(٦٤) تقع على الخليج الأيونى وتسمى « هيدروس »   (المترجمة)

(٦٥) بوغاز اوترانتو ، وكان بليزاريوس سيسرع فى الاتجاه الجنوبى وبذلك سوف يتركهم دون أن يكدرهم .

ولكن عندما وجد بليزاريوس ريحا مواتية من درايوس لم يعد القوط في كالابريا يفكرون من جهته وبدأوا توجيه أنفسهم بدون اهتمام بينما كان توتيلا قانعا بالبقاء في سكون ومتحفزا أكثر من ذي قبل لاقتراب الرومان حتى يصبح من المستحيل احضار أى نوع من الامدادات للمدينة ، وقام بتدبير الخطة التالية على النهر ، فبعد أن لاحظ مكانا يجري فيه النهر في قناة ضيقة جدا على بعد تسعين ستيد من المدينة ، وصنع الواحا خشبية طويلة تصل كل ضفة بالأخرى وذلك حتى تشكل معبرا في تلك البقعة وقام بتشييد برجين خشبيين على كل ضفة من الضفتين ، ووضع في كل منهما حامية من المحاربين الشجعان ، وذلك حتى يصبح من المتاح للقوارب من أى نوع أن تواصل سيرها من بورتوس وبالتالى تدخل المدينة .

وفى أثناء ذلك رسى بليزاريوس من جهته في ميناء روما بينما كان حنا وجيشه باقيين حيث كان ، ثم كان أن قام حنا بالعبور مع قواته الى كالابريا دون أن يلاحظه القوط الذين كانوا قد استقروا أعلى منتظرين في الأماكن المجاورة لبرنديزى ، وقد تم له أسر اثنين من أفراد العدو وكانا في الخارج يستطلعان الأمر قام بقتل أحدهما على الفور ، ولكن الآخر ركع أمامه وتوسل اليه أن يجعله سجينا فقد قال « لأنى سوف أكون عديم الفائدة سواء لك أم للجيش الرومانى » . ولما سأله حنا عن الفائدة التي يمكن أن تعود على الرومان منه اذا لم يقض عليه ، وعد الرجل ان يمكنه من أن ينقض على القوط بينما لا يكون لديهم أقل توقع لمثل هذا الانقضاض ، عندئذ قال حنا ان توسلاته ينبغى أن تجد لها أذنا صاغية ، ولكن على الرجل أولا أن يدله على المراعى الخاصة بخيولهم ، ولهذا أيضا وافق البربرى على أن يقوم به وهكذا توجه معه للمراعى وعندما وجدا خيول العدو وهى ترعى قفز جميع المشاة من رجال حنا على ظهورهم بأعداد كبيرة كان من بينها رجال يشكلون أحسن الفرق ثم تقدموا بسرعة نحو معسكر خصومهم — اما من جهة البرابرة ، فلما كانوا غير مسلحين وغير مستعدين وقد روعهم الهجوم المفاجيء

وقد تم القضاء على أغلبهم حيث كانوا واقفين وحيث نسوا تماما جرأتهم ولم يتجح الا عدد قليل منهم اتخذ طريقه الى توتيلا .

عندئذ بدأ حنا فى مواساة جميع أهل كالابريا وأخذ فى تهدئتهم وسعى لكسب ولائهم للامبراطور ووعدهم أنهم سوف ينالون فوائد كثيرة سواء من الامبراطور أم من الجيش الرومانى ، بعد ذلك وعندما رحل عن بيزنطة بأسرع ما أمكنه ذلك استولى على مدينة تدعى كانوسيوم Canosium [66] كانت تقع تقريبا فى وسط أبوليا Apulia وعلى بعد رحلة خمسة أيام من بيزنطة عندما يتجه الشخص الى الغرب نحو روما وعلى بعد خمسة وعشرين ستيد من مدينة كانوسيوم تقع كانى Cannae حيث يقال ان الرومان فى الأزمنة القديمة كابدوا كارثتهم الكبرى على يد هانيبال القائد القرطاجى سنة ٢١٦ قبل الميلاد [67] .

وفى تلك المدينة حضر أمام حنا المدعو توليانوس — ان فيناتيوس أحد الرومان الذين كان لهم نفوذ كبير بين البروتى Brutti [68]

---

(٦٦) كانوسا الحالية .

(٦٧) هنيبال هو القائد الافريقى القرطاجى بن هاملكار بازكا عاش منذ اثنين وعشرين قرنا . وعمر اربعة وستين عاما وكان على وجه التقريب قبل قيصر بقرن من الزمان وبعد الاسكندر المقدونى بقرن آخر . هاجم روما بافياله فى فترة الحروب البونية حتى يتخلص من الاستعمار الرومانى ، فاخترق جبال الألب الا انه هزم فى النهاية ، ودمرت قرطاجة ودكت من اساسها ، وعرفت هذه الحروب الطويلة بالحروب البونية . (المترجم)

انظر هارولد لام « هانيبال » ص ٤٧ .

(٦٨) البروتى Brutti جنس من الأجناس الايطالية التى سكنت وسط ايطاليا ، وقاموا بالهجوم على تارنتوم فى الجنوب واخضعوها وبعدها عقدوا تحالفا مع روما واصبحوا بذلك يتحكمون واخضعوها وبعدها عقدوا تحالفا مع روما أو اصبحوا يتحكمون فى مدخل شبه الجزيرة الايطالية ، ولم تتدخل روما فى شئونهم الا يسيرا ، حتى انه كانت لهم عملة خاصة بهم .
« المترجمة »

واللوكانى Lucani [٦٩] ، ووجه اتهامات ضد جيش الامبراطور بسبب المعاملة التى عوملوا بها من قبل الايطاليين ، ولكنه وافق على أنه اذا ما عاملهم الجيش فيما بعد بشىء من الاعتبار فسوف يقوم بتسليم بروتيوم Bruttium ، ولوكانيا Lucania للرومان حتى يعودوا مرة أخرى خاضعين للامبراطور ويدفعون له الجزية بشكل لا يقل اخلاصا عما كانوا عليه من قبل ، لأنه لم يكن برغبتهم — حسبما قال — أن يستسلموا لرجل كانوا من البرابرة والآريوسين معا ، ولكنهم قد وضعوا تحت ضغط هائل من جهة خصومهم كما أنهم قد عوملوا معاملة ظالمة من جهة جنود الامبراطور • وبناء على اعلان حنا فأن الايطاليين سوف ينالون رضى الجيش فيما بعد ، ذهب توليانوس معه نتيجة لذلك فلم يعد الجنود يحملون أى شك أو ريبة من جهة الايطاليين بل أصبح أغلب الاقليم الجنوبى لخليج أيونيا على علاقة ود معهم وخاضعا للامبراطور فى الوقت نفســه •

ولكن عندما سمع توتيلا بذلك ، انتخب ثلاثمائة من القوط وأرسلهم الى كابوا وذلك بتعليمات منه تفيد أنهم كلما رأوا جيش حنا يسير من هناك فى اتجاه روما فعليهم أن يتبعوه ببساطة وبدون لفت الأنظــار اليهم لأنه هو نفسه ســوف يهتم بباقى الأمر ، وعلى ذلك أصبح حنا خائفا من أن يقع فى مكيدة ويحاصر بمعرفة العدو ولذلك كف عن تحركه للانضــمام الى بليزاريوس وبدلا من ذلك ســار نحو اقليم البروتى واللوكانى •

وكان بين القوط المدعو ريسيماندوس Rhecimundus وهــو رجل مرموق كان توتيــلا قد عينه ليتولى شئون الحراســة بالنسبة لبر—وتيوم ، وكان تحت امرته بعض القوط وبعض الجنود الرومــان والمغاربة والذين سبق أن فروا من الخدمة ، وكانت تعليماته هى أن يتولى

(٦٩) اللوكانيين . سكان لوكانيا التى تقع جنوب ايطاليا على حدود كالابريا . « المترجمة »

مع هذه الفرق حراسة بوغاز سكيلا [٧٠] والســاحل المتــاخم بحيــث لا يستطيع أحد أن يبحر بجراة من هناك الى صقلية ولا يهبط من الجزيرة • فوجىء هذا الجيش بحنا حيث لم يبلغ مسبقا بحضوره فانقض حنــا عليه فى موقع بين ريجيوم Rhegium وفيفون Vejon وأوقع بين أفراده الارتباك والفزع بهذا الهجوم المفاجىء ودون اكتراث لمــا كان يتحلى به هؤلاء الأفراد من شجاعة وجرأة فكان أن أجبرهم على الفرار فى الحال ، وأخذ هؤلاء فى البحث عن ملجأ بالهرب الى الجبل الذى كان يرتفع بالقرب من المكان والذى كان من الصعب على الانسان تسلقه حيث كان شديد الانحدار بشكل عام ولكن حنا تعقبهم ووصل الى المنحدرات الوعرة للحاق بأفراد العدو ، وهكذا — وقبل أن يؤمنوا موقعهم على جانب الجبل الشديد الانحدار — اشتبك معهم وقتل كثيرا من المغاربة وجنود الرومان وذلك بالرغم من أنهم أظهروا مقاومة باسلة ، كما أسر ريسيماندوس الذى سلم نفســه كما أسر معه جميع القوط الذين تبقوا معــه •

وبعد انجاز هذا العمل الباهر استمر حنا فى البقاء حيث كــان بينما استمر بليزاريوس دون نشاط ما فى انتظاره كما استمر فى لومه لأنه لم يخاطر بالدخول فى معركة مع قوة الحراسة فى كابوا والتى لم تتعد الثلاثمائة ويسعى لشق طريقه من خلالها وذلك بالرغم من أنــه كان لديه رجال من البرابرة تحت امرته انتخبوه لما عرف عنهم من شجاعة واقدام ؛ ولكن حنا تخلى عن هذه الخطــة وتقدم فى اتجاه مكان فى ابوليا يدعى ســيرفاريوم Cervarium [٧١] حيــث بقى دون نشــاط مــا •

(٧٠) ميسينا . الحالية فى صقلية .

(٧١) سيرفارو الحالية .

(١٩)

لذلك فإن بليزاريوس — خشية ان يلجأ المحاصرون الى فعل يائس بسبب العجز في الامدادات — بدأ يضع خططا لتوصيل تموينات الى روما بوسيلة أو بأخرى ، وبما أنه وببساطة لم يكن لديه قوة كافيـة ليقاتل بها العدو ويستطيع أن يدخل معه في معركة حاسمة على السهل ، فوضـع أولا الخطـة التاليـة اختـار زورقـين صغـيرين بشـكل غير عـادي وبعد أن ربطهمـا ببعضـهما باحكام وشـيد برجـا خشـبية عليهمـا جاعـلا اياه أعـلى من ذلك الذي صـنعه العدو عند معبره ، فقد سـبق له أن قـام بقيـاس أبعـاده بالضـبط بارسـاله بعضـا من رجـاله تظاهروا أنهم متجهون الى البرابرة هـاربين من الخدمة ، ثم قام بعد ذلك ببناء حوائط خشبية فوق مائتين من القوارب السريعة الخفيفة الحركة ثم أنزلها في مياه التيبر جاعلا فتحات في كافة أجزاء الحوائط الخشبية وذلك حتى يمكن لرجاله أن يصوبوا سهامهم في اتجاه العدو من خلالها، وأخيرا شحن على تلك القوارب القمح ونوعيات كثيرة أخرى من أصناف الامدادات ثم عززها برجال من خيرة جنوده الشجعان ، كما قام أيضا بوضع فرق أخرى — سـواء من المشاه ام من السـواري (الفرسان) — على كل جانب من جانبي النهر وفي مواقع قوية معينة بالقرب من مصب التيبر ثم أمرهم أن يبقوا في مواقعهم حتى اذا ما قام أي عدو بتهديد بورتوس فعليهم أن يمنعوه بكل قواهم ، ولكنه وضع إسحق داخل بورتوس وذلك على أساس أنه الكفيل بضـمان سـلامة المدينة وسلامة زوجته وكذا أي شيء آخر يتضاعف ويصبح في حيازته هناك ثم أعطى له توجيهات بالا يغادر المدينة تحت أي ظرف كان حتى ولو علم أن بليزاريوس قد هلك على أيدي العدو ، بل يحافظ على الحراسة بشكل دقيق ومستمر وذلك حتى اذا ما حل بالرومان أية كارثة فعليه البحث عن مكان يلجأ اليه هو ومن معه وينقذوا أنفسهم وذلك نظرا لأنهم ليس لديهم أي معقل آخر في ذلك الاقليم على الاطلاق فالقطر كله ومن كل اتجاه كان يحمل العداء لهم .

ثم قام هو نفسه بأن ركب أحد القوارب السريعة الخفيفة الحركة وشرع في قيادة الأسطول باعطاء الأوامر بجر القوارب الى شيد عليها البرج وقد وضع في أعلاه قاربا صغيرا بالقـار (الزفت) والكبريت والراتنج وكافة المواد الأخرى التي تغذي النار بشكل حـاد ، وعلى الضـفة الأخـرى مـن النهـر — وهي التي عـلى الجهـة اليمنى عند الاتجـاه من بورتوس الى رومـا — وضـع قوة من المشـاه في تنظيم خاص على طول المجرى وذلك لتقديم الدعم له ولكنه كان قـد أرسل الى بيسـاس في اليوم السابق أمرا بانه ينبغي عليه في اليوم التالي أن يقوم ومعه قوة شديدة البأس بهجوم على معسكر العدو لاحداث حالة من الارتباك به،وفي الواقع كان هذا الأمر هو نفس ما سبق أن أرسله اليه من قبل لعدة مرات ولكن لا في المناسبات السابقة ولا أثناء المعركة الحالية وجد بيساس أن الفرصة مواتية لتنفيذأوامره فقد كان هو الوحيد الذي كان لديه قمح ضمن كل القمح الذي سبق أن أرسله حكام صقلية الى روما ليكفي الجنود والسكان لم يترك الا قدرا صغيرا للغاية ليذهب الى العامة ، بينما ، أخذ لنفسه الجزء الأكبر منه وذلك بحجـة امداد الجنود به ثم قام باخفائه بعيدا ، وحيث انه كان يقوم ببيع هذا المخزون للاعيان بسعر غال فقد كان لا يرغب أن يفك الحصار بأي شكل .

وفي أثناء ذلك كان أسطول الرومـان يشق طريقه الى أعلا المجرى وذلك بالرغم من الصعوبة الناتجة عن التيار المعاكس ، ومع ذلك فـان القوط لم يبدوا أية مقاومة بل بقوا ساكنين في معسكراتهم المحصـنة ، ولكن بمجرد الوصول الى المعبر واجه الرومـان قوة حراسة معادية ، هذه القوى وضعت على كل من جانبي النهر لحمايـة سلسلة حديدية سبق أن وضعها توتيلا هناك قبل ذلك بمدة ليست ببعيدة ، كانت تلك السلسلة تصـل احدى ضفتي التيبر بالضـفة الأخرى وكان الغرض منها وضع العراقيل أمام العدو اذا ما أراد ، التقدم حتى الى المعبر ، وقد قام الرومان بقتل بعض الحراس بقذائفهم وأجبروا الباقين منهم على الفرار ، ثم قاموا برفع السلسلة وتوجهوا رأسا نحو المعبر ، ولكن

بمجرد الوصــول اليه بدأوا معركتهم ، بينما البرابرة — وهم يقذفون سهامهم من الأبراج — يناضلون بكل الجرأة والاقدام لرد الرومان على أعقابهم • وفى ذلك الوقت أيضا خرج البرابرة من معسكراتهم المحصنة واندفعوا نحو المعبر •

وفى تلك اللحظة أحضر بليزاريوس القوارب الصغيرة الى سبق أن بنى عليها البرج على أقرب مسافة من أحد أبراج العدو — وهو البرج الذى كان قائما على طريق بورتوس عند نفس حافة المياه — وأعطى أوامره باشعال النار فى الزورق الصغير وقذفه الى أعلا برج العدو ، وكان أن قام الرومان بتنفيذ هذا الأمر ، فلما سقط هذا الزورق الصغير على البرج أشعل فيه النار فى الحال ، ولم يقتصر الأمر على احتراق البرج نفســه بل احترق معه جميع القوط الذين كانوا بداخله وعددهم نحو مائتين ، وكان من بين الذين احترقوا قائدهم أوسداس Osdas الذى كان أفضل محاربى القــوط على الاطــلاق ، وعن ذلك استجمع الرومــان شجاعتهم وبدأوا فى تفريغ قذائفهم أسرع عن ذى قبل ضد البرابرة الذين كانوا قد جاءوا لدعم رفاقهم ، وأما من جهة القوط فقد أخذتهم المفاجأة وانتابهم الفزع من تطور الأحداث فاندفعوا مولين الأدبار كل يفر على قدر استطاعته ، وعندئذ شرع الرومان فى تدمير المعبر وأصبحوا — بعد أن جعلوه حطاما — على أتم استعداد للتقدم نحو روما بدون أية مقاومة أخرى ، ولكن حيث ان هذا لم يكن هو ارادة الحظ ؛ فقد تدخلت عين الحســد ودبرت فناء تنظيم الرومان على النحو الآتى :

فعندما اشتبك الجيشان فى العمليات سالفة الذكر ، وصل بروتوس فى أثناء ذلك تقرير مفعم بمــا لا يسر عن الرومان وذاعت أنباء بــأن بليزاريوس قد انتصر وأنه قد رفع السلسلة بعد اهلاك البرابرة فى تلك البقعة ، وكذا جميع من تبقى من الذين تكلمت عنهم أعلاه فلما ســمع اسحق بذلك لم يعد يتمالك نفسه اذ أصبح فى لهفة ليكون له يد فى هذا الانتصار المجيد ، ولذا فقد انطلق — دون مراعاة لتعليمات بليزاريوس —

بأسرع ما يمكن الى الجانب الآخر من النهر وأخذ معه مائة فارس من بين الفرق التى كان بليزاريوس قــد وضــعها هناك ، ثم تقدم نحو الحواجز المدببــة الخاصــة بالعــدو الذى كان تحت قيــادة روديرك Rudaeric وهو محارب قدير ، ثم قام بانقضــاض مفاجىء على البرابرة فى المعسكر وقام بضرب عدد منهم ، وأما من جهة القوط فقد قاموا على الفور بالتخلى عن المعسكر وانســحبوا اما لاعتقادهم أن اسحق كان لديه قوة معادية كبيرة فى المؤخرة أو كطريقة لخداع خصومهم حتى يتمكنوا من أسرهم مثلما حدث بالفعل •

وهكذا اخترق رجال اسحق المعسكر المعادى وأخــذوا فى نهب الفضة التى كانت موضوعة هناك وكذا كل ما هو ثمين بخلافها ، ولكن القوط عادوا على الفور وقاموا بذبح عدد كبــير من خصومهم ولكنهم أخذوا اسحق حيا من بين عدد قليل لم يهلك على أيديهم ، عندئذ أسرع الفرسان الى بليزاريوس وأخبروه أن اسحق قد أصبح بين ايدى العدو فصعق بليزاريوس من سماعه هذا النبأ ، ودون أن يتحرى عن الكيفية التى أمكن بها أسر اسحق ولاعتقاده أن كلا من بورتوس وزوجته فقدا وأن كارثة كاملة قد حلت بالرومان وأنه لم يبق أمامهم أى معقل آخر يستطيعون اللجوء اليه لينقذوا أنفسهم — أمام كل ذلك انتابته حالــة أصبح معها فاقدا للنطق ، فهى تجربة لم يسبق له ابدا أن واجهها ، ولهذا السبب بادر بسحب قواته نحو المؤخرة بنية مهاجمة العدو وبينما أفراده ما زالوا فى حالة لا نظامية لاستعادة البلدة بأى ثمن •

وهكذا انسحب جيش الرومان من المعبر ، دون تحقيق هدفه ، ولكن عندما وصل بليزاريوس الى بورتوس ، علم بجنون اسحق وأدرك أن ثورته كانت بدون سبب معقول ، وعندئذ غلبه الحزن لهذا الحــظ البالغ السوء لدرجة أنه ســقط مريضا وانتابته حمى تسبب استمرارها الطويل فى شعوره بالضيق الشديد وأوقعته فى خطر الموت ، وبعــد ذلك بيومين حــدث أن مات روديرك ، فحزن توتيلا على فقده حزنا شديدا جعله يحكم على اسحق بالموت •

(٢٠)

وفى أثناء ذلك استمر بيساس Besas فى تنمية ثروته أكثر من ذى قبل ببيع قمحه بالطريق القطاعى ، بحيث كان يحدد أثمانه طبقا لحاجة أولئك الذين يريدون ابتياعه ، وبما أن صالحه التجارى قد أصبح هو شغله الشاغل تماما فلم يعر التفاتا الى الدفاع عن الأسوار ولا يهتم بأى شىء آخر يتعلق بالأمان مهما كان وهكذا أخذ كل جندى يهمل فى أداء واجباته اذا ما رغب فى ذلك كما أصبحت الحامية التى على الأسوار حامية رمزية وحتى هذه لم تكن تلق الا عناية قليلة جدا ، فكان يسمح للذين يتولون واجب الحراسة من يوم لآخر بالنوم حيث لم يكن عليهم قائدا يراعى عدم القيام بمثل هذا التصرفات ، كما لم يقبل أحد من الضباط الخروج الى الأجزاء المتاخمة والمحيطة بالاستحكامات كما كانت عادتهم من قبل التفتيش على الحراس ليروا ماذا يفعلون ، بل علاوة على ذلك فلم يكن فى مقدور أى مواطن أن يساعدهم على الاستمرار فى الحراسة حيث لم يتبق بالمدينة — كما سبق أن ذكرت — الا عدد قليل للغاية وهؤلاء كانوا قد استنفذت قواهم الى نهايتها بسبب المجاعة ٠

وهكذا حدث لأربعة من الأيزوريين الذين كانوا يتولون حراسة بوابة الاسيناريان Aisinarian ما يلى :

فبينما كانوا ينتظرون فترة الليل الذى ينام فيه أكثر الجنود من أمامهم بينما تكون حراسة ذلك الجزء من الحائط منوطة بهم ، ربطوا حبلا تصل أعلا الحصن ثم أمسكوا بها بأيديهم وهبطوا خارج الحصن ثم ذهبوا الى توتيلا واتفقوا معه على استقباله هو والجيش القوطى فى المدينة حيث أعلنوا له أنهم قادرون على فعل ذلك بدون أية متاعب ، ووعدهم توتيلا أنه سيكون ممتنا للغاية لهم اذا ما قاموا بتنفيذ هذه التعهدات وأنه سيعطيهم عندئذ مبالغ كبير من المال ، ثم قام بعد ذلك بارسال اثنين من رجاله لمعاينة المكان الذى يمكن للقوط النفاذ منه

الى داخل المدينة وهكذا وصلت هذه المجموعة الى جانب السور وتسلقوا الحبال صعودا الى أعلا حصن حيث لم يبد رجل واحد حراكا أو لاحظ ما كان يحدث ، ولما وصلوا الى السطح أظهر الايزوريان للبرابرة كل شىء أى ان الذين يرغبون فى الصعود لن يقابلوا أية عقبة ، وأنهم وبعد وصولهم الى أعلى سوف تكون لهم كامل الحرية للتصرف ودون أن يصادفوا أية مقاومة ، وبعد أن قاموا باخفائهما عن الأعين أطلقوا سراحهما لابلاغ ذلك الى توتيلا ٠

وعندما سمع توتيلا بذلك كان مسرورا الى حد ما لهذا الذكاء ، ولكنه وبالرغم من ذلك أحس بالريبة من جهة الايزوريين ولم يكن ميالا لوضع ثقة كبيرة فيهم ، وبعد أيام قليلة عاد هؤلاء الرجال مرة أخرى يحثونه على مباشرة الخطة ، وبناء على ذلك أرسل معهم اثنين اخرين من رجاله بتعليمات أنه ينبغى عليهما أن يقوما بمعاينة كاملة للموقع والعودة اليه بتقرير ، وعندما عادا اليه قدما اليه تقريرا يماثل ذلك الذى سبق أن قدم اليه من كافة الوجوه ولكن خلال تلك الآونة قامت قوة من جنود الرومان كانت فى مهمة استكشافية بهجوم على عشرة من القوط كانوا يسيرون على طول الطريق فى مكان لا يبعد كثيرا عن المدينة ، وأخذوهم معهم كأسرى ثم أحضروهم على الفور أمام بيساس الذى استعلم من هؤلاء البرابرة عن الهدف الحقيقى لتوتيلا ، فقال القوط أنه كان يأمل فى أن يقوم بعض الأيزوريين بتسليم المدينة له فقد أصبحت القصة معروفة لكثير من البرابرة ولكن وحتى عندما سمع بيساس هذا الامر لم يبد ازاءه اهتماما كبيرا ولم يأخذا فى اعتبارهما هذا القول ، وللمرة الثالثة حضر الايزوريين امام توتيلا وحاولوا اقناع الرجل ان يقوم بالعملية ، ولذا فقد أرسل معهم عددا من الرجال كان من بينهم أحد أقاربه وعند عودتهم أخطروه بالوضع بأكمله وحثوه على أن يتقدم ٠

عندئذ — وبمجرد أن حل الليل — جمل توتيلا كل القوة التى تحت

أمرته على أتم استعداد بالسلاح وقادها فى سكون الى القرب من بوابة الاسيناريان ثم أمر أربعة من رجاله المشهورين بين القوط بشـــجاعتهم وقوتهم أن يتسلقوا الحبال مع الايزوريين الى أعلا الحصن أثناء منتصف الليل والى الجزء من الحائط الذى كانت حراســته مناطة بالايزوريين بطبيعة الحال بينما يكون باقى الحراس الذين سيخلفونهم يغطون فى نومهم • وعندما وصل هؤلاء الرجال الى داخل الاستحكامات هبطوا الى بوابة الاسيناريان دون أن يواجهوا أية مقاومة ، وهناك حطموا بفؤوسهم الدعامة الخشبية التى اعتاد الرومان أن يجعلوا البوابات مثبتةبها على الحائط عن طريق فتحات منها ، كما حطموا كافة المشغولات الحديدية التى كان الحراس يدخلون فيها مفاتحهم لفتح أو غلق البوابات طبقا لما تتطلبه الحاجة ، ثم قاموا بعد ذلك الى برج البوابات حتى فتحت حسبما أرادوا ، وبدون أية متاعب اســتقبلوا توتيلا وجيش القــوط داخــل المدينــة •

لكن توتيلا جمع الجيش القوطى داخل المدينة ولم يسمح لأفراده أن يتفرقوا على الاطلاق ، فقد خشى أن يقعوا فى كمين وضع لهم بمعرفة العدو ، وبطبيعة الحال عمت المدينة حالة من الارتباك والشغب وأخــذ أغلب الجنود الرومان فى الفرار مع قوادهم عن طريق بوابة أخرى ، كل يأخذ المسار الأسهل بالنسبة له ليتبعه بينما لجأ القليل والباقى من الرومان الى المعابد ، ومن بين الذين نجحوا فى الهرب مع بيساس : النبيــل دكيوس Decius ، باسيليوس Basilius مع مجموعة صغيرة من الآخرين (حيث تصادف أن كانت الخيول فى متناول أيديهم وقتئذ) ، وأما بالنســبة لماكســيوس Maximus ، واوليفريوس Olyurius ، وأوريستيس Orestes ، وبعض الآخرين فقــد توجهوا الى كنيسة الرسول بطرس [٧٢] ، ومع ذلك فمن بين عامة الشعب

---

(٧٢) البازيليكا التى بداها قسطنطين عند الموقع الخاص بالقديس بطــرس •

لم يبق داخل المدينة بأكملها سوى خمسمائة رجل وهؤلاء قد وجدوا — وبصعوبة — ملجأ لهم فى المعابد اذ رحل جميع السكان فبعضهم توجه الى بلدان أخرى والآخر هلك من المجاعة كما سبق أن ذكرت ، ولقــد استمر كثير من الأشخاص طوال تلك الليلة على اتصال بتوتيلا لاخباره أن بيســاس وأفراد العدو كانوا يفرون هاربين ، ولكنه رغم انه اعتبر هذا النبأ سارا الا أنه لم يسمح لأحــد بتعقبهم قائلا « ماذا يمكن أن يكون أحلى للانسان أكثر من أن يرى عدوه وهو يفر هاربا » •

وعندما بزغ النهار ولم يعد هناك شك فى وجود أى كمين ، ذهب توتيلا من جهته الى كنيسة الرسول ليصــلى ، ولكن القوط شرعوا فى ذبح أولئك الذين وجدوهم فى طريقهم ، وبهذه الطريقة هلك من بين الجنود ستة وعشرون ، ومن بين عامة الناس ستون وعندما جاء توتيلا الى المعبد حضر أمامه بيلاجيوس والكتب المقدسة المسيحية بين يديه متوسلا اليه بكافة الطرق قائلا « أيها السيد ، رحمتك » ولكن توتيلا سخر منه وهو يقول بشــكل متعجرف ودون مبالاة « وأخيـرا جئت يابيلاجيوس لتجعل من نفسك أحد الذين يتضرعون أمامى » فرد عليه بيلاجيوس قائلا « نعم ، عندما أراد الله أن يجعل منى عبدا لك ، لا بل وفر كل عبيدك أيها السيد من الآن فصاعد » وقد استقبل توتيلا هذا الالتماس بالقبول وأمر بمنع قتل أى رومانى فيما بعد على وجه الاطلاق ، ولكن سمح لهم — بينما كانوا يضعون بجانبه أغلى الممتلكات — أن يقوموا بنهب الباقى لأنفسهم وبلا حدود •

ولقد وجد أكثر الأشياء قيمة فى منازل النبلاء ، وكانت أثمن هذه الأشياء فى مســكن بيساس فقد كان ذلك التعس المنحوس لاهم له الا جمع الأموال الشائنة —كما سبق ذكره — ثمنا للقمح لكى تكون من نصيب توتيلا ، وهكذا وجد الرومان انفسهم — خاصة أعضاء مجلس الأعيان — وقد سقطوا فى عسر جعلهم يرتدون ملابس العبيد والفلاحين البســطاء وعاشوا يلتمسون الخبز والطعام من أعدائهم ، وكان هناك مثال ملحوظ

جدا لهذا التحول فى الحظ تمثل فى روستكينا Rusticina — ابنة سيماخوس(٧٣) — التى كانت زوجة بوسيوس امرأة مشرفة كانت دائما تبدد ثروتها على حاجياتها ، ففى الواقع كان مصير هؤلاء التعساء التجول بين المنازل وقرع الأبواب ملتمسين من أهلها اعطاءهم الطعام دون أن يشعروا بأى عار من فعلتهم هذه .

وأما من جهة القوط فقد كانوا متحمسين للقضاء على روستيكيانا بالموت متهمين اياها بأنها — بعد رشوة قادة الجيش الرومانى — قد قامت بتدمير تماثيل ثيودريك ، وكان الدافع لها لاتيان مثل هذا العمل هو الانتقام لا لقتل والدها سيماخوس فحسب بل أيضا لقتل زوجها بوسيوس ، ولكن توتيلا لم يعرضها للمعاناة أو للايذاء فتولى حمايتها هى وغيرها من النساء وجعلهن فى منأى من أية اهانة تلحق بهن وذلك بالرغم من أن القوط متلهفين ولدرجة كبيرة لمخالطتهن ، ونتيجة لذلك فلم يحل بأحداهن سوء الحظ الذى يسبب لهن المهانة الشخصية سواء من كن منهن متزوجات أم غير متزوجات أم أرامل ، واكتسب توتيلا بمسلكه هذا سمعة حميدة للغاية فى مجال العدل .

(٢١)

فى اليوم التالى لعملية الأسر ، جمع توتيلا جميع القوط وتحدث اليهم على الوجه التالى :

« أيها الجنود الرفاق ، ليس غرضى من احضارى لكم الى هذا المكان هو أن أعطيكم نصحا جديدا غير معروف لكم ولكن لكى أقول نفس الأشياء التى سبق لى كثيرا أن قلتها لكم والتى قمتم — من جهتكم — بمراعاتها حتى أثمرت أعظم النعم التى حلت عليكم بسخاء ولذلك فلا تأخذوا فى اعتباركم — من هذه الوجهة — التقليل من شأن هذا

(٧٣) لقد سبق أن اشرنا الى ثيودريك ملك القوط قتل سيماخوس وبوسيوس قبل وفاته .

النصح الحالى لأن الكلمات عندما تؤدى الى الحظ الحسن فلا ينبغى للرجال أن يشعروا بالملل جراء ذلك حتى ولو بدا أن المتحدث قد أضجر المستمعين له بكثرة الكلام لأنهم لا يستطيعون — وبطريقة معقولة — أن يتخلصوا من المنافع التى اكتسبوها من مثل تلك الكلمات والآن ان ما أريد أن اقوله هو هذا : بالأمس فقط جمعنا جيشا مكونا من مائتى الف من أحسن الجنود الشجعان وكان تحت أمرنا ثروة هائلة ، وكنا نستطيع أن نظهر وفرة غير محدودة من الخيول والأسلحة ، وكان لدينا شركاء من أعداد غفيرة من الرجال الناجحين ذوى التوجيه الأعظم ونتال ظروفا طيبة تبدو أحيانا لأولئك الذين يدخلون حربا ، ومع ذلك ومع كل هذا الذى كان فى صالحنا ، تغلب علينا خمسة آلاف من اليونانيين(٧٤) وبلا سبب معقول جردنا من قوتنا ومن كل شىء آخر كنا نملكه ، ولكنا الآن نملك حسن الحظ ، وبالرغم من عددنا القليل وحاجتنا الى الأسلحة ووقوعنا فى ورطة يرثى لها بدون أية خبرة على الاطلاق قد اكتسبنا السيادة على عدو قوته تفوق قوتنا عشرين الف مرة ان خبرتنا اذن — وفى كلمة واحدة — كانت كما سبق أن أوضحت ، ولكن الأسباب التى دعت الى هذه النتيجة — بالرغم من أنكم تعلمونها جيدا — الا أنى يجب على أن أذكرها لكم ، ان القوط فى الأيام الأولى كانوا لا يقيمون وزنا كبيرا للعدالة أكثر من أى شىء آخر وكانوا يعاملون بعضهم البعض وكذا الخاضعين لهم من الرومان بطريقة دنسة بينما كان الاله يعمل على ترجيح كفتهم ، وهكذا وبالرغم من أننا كنا الأكثر تفوقا على خصومنا سواء فى العدد أم فى الجرأة والاقدام أم فى العتاد الحربى فقد تمت هزيمتنا بقوة خفية وغير مفهومة تماما ، ولذلك عليكم أن تصونوا النعم التى حلت عليكم باظهار استمراركم فى مراعاة العدالة اذا ما قمتم بتغيير مسلككم فسوف يقوم الاله — وعلى الفور — بتغير فضله عليكم ويصبح معاديا لكم فلم يكن من دأبة أن يحارب مع جنس من

(٧٤) كتاب ٤ فصل ٢٥ فقرة ٢ ، ٣٨ — مذكرة . ويقصد البيزنطيين .

الرجال أو أمة معينة ولكن مع من يظهر أكبر قدر من العدالة فهم الذين ينالون رضاءه وبالنسبة له سبحانه وتعالى فلن يضيره شيئًا أن يحول نعمه من أناس الى آخرين ، فمع الامتناع عن ارتكاب الخطأ بارداة الانسان يضع الاله كل الأشياء تحت سلطانه ، ولذلك فانى اقول انه عليكم مراعاة العدالة وبكل الحزم سواء فى معاملتكم بعضكم لبعض ام فى معاملاتكم مع الخاضعين لكم ، فسوف يكون هذا هو ما سيحفظ لكم حسن حظكم الى الأبــد .

وبعد أن ألقى توتيلا كلمته هذه أمام القوط ، استدعى أيضا أعضاء مجلس الشيوخ الى روما ووجه لهم الاهانات باسهاب قائلا انهم قــد حصلوا على منافع كثيرة من كل من تيودريك واتالاريك ، وانهم بذلك عينوا فى المناصب الرئيسية فى طول البلاد وعرضها ومن ثم أداروا الحكومة ، وعلاوة على ذلك جمعوا ثروة هائلة ، ومع كل ذلك فقد ظلوا ناكرين للجميل فى تصرفاتهم مع القوط — أصــحاب الفضل عليهم — كما وانهم وبدون مراعاة للالتزامات المفروضة عليهم قد دبروا تمردا ضد مصالحهم وتســببوا فى احضار اليونانيــين[٧٥] ليهاجموا أرض آبائهم وأجدادهم ، وهكذا حولوا أنفسهم الى خونة لأوطانهم دون أى تدبر . وبعد التحرى عما كانوا قد عانوا من أى أذى على أيدى القوط أرغمهم على يقرروا ما اذ كانوا قد حصلوا من الامبراطور جستنيان على أى شىء له قيمته مع اســتعراض كل الذى ســبق أن حــدث للقوط وبالترتيب : أولا لقد جردوا — كما قال — من كل مناصبهم ، ثانيا لقد أسيئت معاملتهم على يــد اللوجثيت Logothete [٧٦] — كما كانوا يسمونهم — وفى ذلك أرغموا على أن يقوموا بتسوية حســاباتهم عن معاملتهم للقوط أثناء عملهم الرسمى ، ثالثا ولو أنهم كانوا فى عسر

---

(٧٥) الكتاب ٤ — فصل ٢٧ ، ٢٨ مذكرة . « أى البيزنطيين » .
(٧٦) فصل ١ — ٣٢ . واللوجثيت مراقب الحسابات البيزنطى .
المترجم انظر :

« Runciman » Byzantine civilization, p. 400.

رهيب بسبب الحرب ، فقد كانوا يدفعون للبيزنطيين ضرائب عامة لا تقل اطلاقا عما هى عليه فى أوقات السلم ، وضمن حديثه أشــياء أخرى كثيرة مما يمكن أن يقوله سيد غاضب لرجــال أصــبحوا عبيدا لــه ، ثم وضع أمامهم هيروديان Herodian والايزوريين الذين قاموا بتسليم المدينة له وقال :

أنتم يامن تربيتم مع القوط لم تروا حتى يومنا هذا أنه من اللائق أن تسلموا لنا مدينة واحدة خاوية ولكن هؤلاء الرجال داخل روما نفسها وسبوليتيوم ، وبهذا التصرف فقد هبطتم الى رتبة عبيد المنزل ، بينما هؤلاء الرجال — نظرا لأنهم اثبتوا حقيقة أنهم أصدقاء للقوط وأقرباء لهم — فسوف يتولون مناصبكم فيما بعد » .

ولــا سمع النبلاء ذلك جلسوا فى صمت ، ولكن بيلاجيوس بدأ فى التوسل الى توتيلا بالنيابة عنهم لأنهم رجال عانوا الكثير من المصائب وسوء الحظ ، كما قال أنه لن يدع توتيلا يذهب الا بعد أن يعطيهم وعدا بمعاملة كريمة ، وهكذا سمح لهم بالانصراف .

بعد ذلك أرســل الامبراطور جستنيان مع أحد الخطباء الرومان — واســمه تيودوراس Theodohus كمبعوثين الى الامبــراطور جستنيان بعد أن ألزمهم باغلظ الأيمان أن يظلوا على الولاء له وان يبذلوا أقصى جهد للعودة الى ايطاليا بأسرع ما يمكن ، وأعطاهم تعليمات بأن يظهروا أنفسهم الى اقصى حد لضــمان السلم بالنسبة له من جهــة الامبراطور ، وذلك حسب قوله — حتى لايجد نفسه مرغما على هدم روما وجعل عاليها سافلها والقضاء على أعضاء مجلس الشيوخ ، وأن يدفع بالحرب الى الليريا كما قام بتحرير خطاب الى الامبراطور الذى سمع بكل ما حدث فى ايطاليا ، ولكن عندما حضر المبعوثون أمامه فيما بعد أعطوه الرسالة التى كلفهم توتيــلا بتسليمها ليده .

ولقد كانت محتويات الخطاب كالآتى :

« طبقا لما شاع فى مدينة روما ، وحيث انى أرجح أنكم قد علمتم بكل شىء ، قررت أن أبقى صامتا ولكن بالنسبة للغرض الذى من أجله قمت بارسال هؤلاء المبعوثين فسوف يتم اخطاركم به فى الحال ، نحن نطلب أن تقوموا — من جهتكم — بانتهاز الفرصة المتاحة الآن للسلام وأن تقوموا أيضا بمنحه لنا ، ان هذه الفرصة المفيدة تعيد الينا القدرة التى تثير الاعجاب والتى تمثلت فى حياة أناستاسيوس وثيودريك الذين حكموا كملوك فى وقت غير بعيد ، ملوا بلادهم طوال فترة حكمهم بالسلم والرخاء ، فاذا كان هذا الوضع نفسه أن يرضيكم ، فانى بهذا يمكن أن أدعوكم بكل الصلاحيات « كوالدي » كما واننا سوف نكون أيضا حلفاء لكم فيما بعد ضد أى جهة قد ترغبون فى استخدامنا معكم لمقاومتها • » •

وعندما رأى الامبراطور جستنيان هذا الخطاب وقد أحضر أمامه ثم سمع كل كلمات المبعوثين قام بصرفهم على الفور بعد أن أعطاهم هذا الرد فقط وقد كتبه الى توتيلا بأنه جعل من بليزاريوس القائد الأعلى للحرب ، وانه طبقا لذلك فله السلطة الكاملة لعمل التسوية اللازمة مع توتيلا حسبما يرى •

(٢٢)

ولكن وبينما كان هؤلاء المبعوثين فى طريقهم الى بيزنطة وعائدين الى ايطاليا حدثت الوقائع الآتية فى لوكانيا Lucania [٧٧] ، فقد جمع توليانوس Tullianus القرويين فى ذلك الاقليم وجعل منهم حراسا على الممر (وكان ممرا ضيقا للغاية) وهو الممر الذى يؤدى الى مدخل المنطقة وذلك من أجل منع العدو من الدخول لاحداث تخريب فى أراضى لوكانيا ، وكان يساعدهم أيضا ثلاثمائة من الانتاى فى القيام

(٧٧) تقع لوكانيا فى جنوب ايطاليا على الحدود مع كالابريا • « المترجمة »

بعملية الحراسة ، وهم الرجال الذين تركهم هنا هناك من قبل وطبقا لطلب توليانوس ، ومن جهة هؤلاء البرابرة فقد فاقوا كل الآخرين فى قدرتهم على القتال فى الأراضى الوعرة ، فعندما علم توتيلا بذلك ، وبالرغم من أنه اعتبر أنه من غير الملائم تكليف القوط بالمهمة ، فقد جمع حشدا من القرويين وأرسلهم مع عدد قليل من القوط مزودين بأوامر منه أن يحاولوا وبكل قوتهم أن يسيطروا على الممر ، ولما اشتبكت هاتان القوتان فى المعركة ، اندلعت مقاومة شرسة فكل طرف كان يناضل لابعاد الطرف الآخر عن الموقع ولكن الأنتاى — بما عرف عنهم من بسالة وبسبب وعورة الأرض بدرجة كبيرة وهو ما كان يعتبر ميزة لهم — استطاعوا هم والقرويين أن يجعلوا خصومهم يولون الأدبار كما قاموا بذبح عدد كبير منهم •

ولكن عندما علم توتيلا بذلك قرر أولا أن يقوم بهدم روما رأسا على عقب بينما يترك غالبية الجيش بجوارهم ليسير مع البقية ضد حنا ولوكانياس ، وبالتالى فقد قام بدك التحصينات فى أماكن متفرقة كثيرة حتى تم تدمير ثلث الدفاعات كما كان على وشك أن يقوم باحراق أجمل وأغلى المبانى وجعل روما مرعى للأغنام ، لولا أن بليزاريوس علم بتصميمه هذا فأرسل اليه مبعوثين بخطاب موجه اليه ، وعندما حضر هؤلاء المبعوثين أمام توتيلا ذكروا له السبب فى قدومهم وسلموه الخطاب الذى كان يحمل الآتى :

« بينما يخلق الجمال فى مدينة ، لم تكن لها هذه الصفة من قبل ، هذا الجمال لا ينبثق الا على يد رجال حكماء يفهمون معنى الحضارة ، ان تدمير الجمال الذى يوجد بالفعل سوف يكون متوقعا فقط من قبل رجال تنقصهم القدرة على الفهم ولا يخجلون من ترك خلف يتحدث عن سوء خلقهم ، فمن بين كافة المدن تحت الشمس أتفق على أن روما هى الأعظم حيث لم يتم انشاؤها بقدرة رجل واحد ، كما أنها لم تحتفظ بعظمتها وجمالها بقوة استمرارية قصيرة ، ولكن بفضل كثرة من الحكام ،

شركاء من أفضل الرجال ، وبمرور مدة زمنية طويلة ، ثروة متوفرة بدرجة غير طبيعية عادت على المدينة بالنفع بأن جلبت اليها كل الأشياء التى توجد فى هذا العالم بجانب العمال المهرة ، وهكذا وشيئا فشيئا تم لهم بناء المدينة على النحو الذى نشاهده الان تاركين لأجيال المستقبل ذكريات وآثار قدراتهم جميعا ، ولذلك فان اهانة هذه الذكريات والآثار سوف يعتبر بلا شك جريمة كبرى ضد الانسان فى كل عصر وزمان وبمثل هذا العمل تتم سرقة الأجيال السابقة من الذكريات والآثار التى تدل على قدراتهم ، كما يتم حرمان الأجيال اللاحقة من مشاهدة أعمالهم ، ولذلك ، ولما تؤكده حقائق الوضع لهذه المقولة ، فان أحد شيئين يجب أن يتم بشكل لازم : فاما أن تتم هزيمتكم على يد الامبراطور فى هذا النضال ، أو يقدر لكم أن تنتصروا عليه ، وفى المقام الأول لنفرض أنكم قد أصبحتم الظافرين وجردتم روما من ممتلكاتها ، انكم بذلك لا تكونوا قد قضيتم على وجود بعض الرجال فحسب بل كونوا قد قضيتم على مدينتكم الخاصة ياسيدى ، ومن جهة أخرى اذا ما احتفظتم بها فسوف تعملون على اثراء أنفسكم بطبيعة الحال وذلك بامتلاك أجمل المدن على الاطلاق ، ولكن وفى المقام الثانى اذا ما حدث وبطريق الصدفة أن تدخل سوء الحظ مع خبرتكم الطويلة فى انقاذ روما فعندئذ فسوف تكونوا على ثقة من الامتنان الوفير من جهة الفائز ، ولكن بتدمير المدينة فسوف يكون من المؤكد أنه لن يوجد من يطلب الرحمة لكم بعد ذلك بسبب هذا العمل ، وبالاضافة الى ذلك فانكم سوف لا تحصلون على منفعة من جراء العمل المذكور ، وعلاوة على ذلك فان السمعة التى ستتناسب مع سلوككم سوف تكون بين قدركم بين جميع الرجال وستبقى فى انتظار ما تقررونه بشأن أى من الطريقين ، اذ ان نوعية تصرفات الحاكم تحدد بالضرورة نوعية السمعة التى يكسبونها من تلك التصرفات» • كان ذلك هو خطاب بليزاريوس •

وبعد أن قرأ توتيلا هذا الخطاب عدة مرات أصبح يدرك تماما مغزى النصيحة وامتنع عن الحاق اى اذى لروما مستقبلا ، أرسل تقريرا

على الفور ، ثم أمر الجزء الرئيسى من الجيش أن يعسكر فى مكان لا يبعد كثيرا عن روما عند بلدة الجيدون Algedon [٧٨] وهى على بعد نحو مائة وعشرين ستيد من المدينة من ناحية الغرب ، وأن يبقى ساكنا هناك وذلك بحيث لا تملك فرق بليزاريوس حرية الذهاب الى أى مكان خارج بورتس ولكنه سار هو نفسه مع بقية الجيش ضد حنا ولوكانيانس ، وأما بالنسبة للرومان فقد احتفظ معه بأعضاء مجلس الشيوخ بينما أرسل كل الباقين بزوجاتهم وأطفالهم الى كامبانيا رافضا أن يسمح لأى شخص أن يبقى فى روما التى اصر على أن تهجر تماما •

عندما علم حنا أن توتيلا كان يسير لملاقاته رفض أن يستمر فى البقاء فى أبوليا فتوجه وعلى وجه السرعة الى درايوس Dryus ، كما أرسل أولئك النبلاء الذين توجهوا الى كامبانيا مع بعض خدمهم الى لوكانيا وذلك بتوجيه من توتيلا وأمروا مستأجريهم أن يتخلوا عن مكائدهم الحالية وأن يحرثوا الحقول كما اعتادوا حتى تصبح ملكا لهم بدلا من سادتهم وذلك طبقا للرسالة المعلنة منهم • وهكذا فصلوا أنفسهم عن الجيش الرومانى وبقوا فى هدوء على الأرض ، وبناء على ذلك فر توليانس Tullianus هاربا وقرر الثلاثمائة من الأنتاى أن يتبعوا حنا فى ارتداده وبهذه الطريقة فان كل الاقليم جنوب الخليج الأيونى باستثناء درايوس أصبح مرة أخرى خاضعا للقوط ولتوتيلا ، ومنذ ذلك الوقت بدأ البرابرة — وقد ملأتهم الثقة بأنفسهم وتفرقوا فى صغيرة — يسيطرون على كل القطر الذى يحيط بالمنطقة ، ولما علم بذلك أرسل قوة كبيرة العدد من رجاله ضدهم ، وعندما باغت العدو هذه القوة على غير انتظار منه قام بقتل عدد كبير من أفراده ، وأما من جهة توتيلا — فنتيجة لهذه التجربة — أصبح حذرا فجمع فرقه معا

(٧٨) ربما جبل الجيدوسى Algidus « حاليا سيراسو Ciraso » وذلك بالرغم من أنها تقع فى الشرق لا فى الغرب من روما وهى بعيدة جدا من بورتوس Portus •

على حدود جبل كارجانون Gargánon [٧٩] الذى يرتفع بالقرب من وسط أبوليا ثم عسكر فى داخل الأسوار المحصنة هانيبال القرطاجى ، ويقى هناك فى سكون .

(٢٣)

فى ذلك الوقت أسر أحد الرجال ويدعى مارتينياس Martinianus وهو من مواليد بيزنطة ومن الذين غزوا من روما مع كونون بينما كانت المدينة يجرى تسليمها — حضر أمام بليزاريوس وطلب الاذن له أن ينضم الى العدو متظاهرا بانه هارب من الخدمة ووعد بأن يقدم للرومان خدمة عظيمة ، ربما ان هذا العرض قد نال استحسان بليزاريوس فقد رحل ، ولما رآه توتيلا كان سروره بالغا فقد كان يعلم ان الشاب له شهرة فى المنازلات الفردية ، كما وأنه سبق أن رآه عدة مرات ، ونظرا لأن الرجل كان عنده طفلان وزوجته بين الأسرى فقد قام توتيلا على الفور باعادة زوجته وأحد طفليه اليه ، ولكن الآخر استمر تحت الحراسة كرهينة (أسير تحت الفدية) وأرسل مارتينوس الى سبوليتيوم مع قلة من الآخرين .

وعندما استولى القوط على سبوليتوم واستسلم هيروديان ، قاموا بتحطيم السور الدائرى للمدينة بحيث ساووه بالارض ، ولكنهم اقاموا سورا لمداخل المبنى أمام المدينة والذى كان يستخدم لحفظ الحيوانات البرية والمفترسة والذى يعرف بالمدرج ، كما شيدوا بها حامية من كل من القوط ومن الرومان الهاربين من الخدمة ، وذلك لحراسة البلاد من كافة الجهات وهكذا فعندما أتى مارتينيانوس الى سبوليتيوم نجح فى اكتساب صداقة خمسة عشر جنديا أقنعهم بالعودة الى الجيش الرومانى وذلك بعد انجاز بعض المنافع ضد البرابرة ، كما أرسل بعض الرجال الى قائد الحامية فى بيروسيا Perusia يرجوه ارسال

(٧٩) جارجانو Gargano الحالية .

جيش اليه فى سبوليتيوم بأسرع ما يمكن وموضحا له الموقف باكمله ، وكانت الحامية فى بيروسيا فى ذلك الوقت تحت قيادة اودالجان odolgan — من الهون — وهو قبرصى منبوذ من الجميع لاتهامه بالخيانة ، وذلك كما سبق ذكره[٨٠] أعلاه عن طريق أحد حراسه الخصوصيين ، وقد جاء بنفسه مع جيش الى سبوليتيوم وعندما تأكد مارتينيانوس من أن هذا الجيش قد أصبح فى متناول يده ، قام هو والخمسة عشر جنديا الذين معه بذبح قائد الحامية على حين غرة ، ثم قاموا — بفتح البوابات — وساقوا الرومان الى داخل الحصن ، وبعد ذلك قاموا بذبح أغلب افراد العدو ولكنهم احتفظوا ببعضهم كسجناء وأحضروهم أمام بليزاريوس .

بعد ذلك بمدة قصيرة ، وضع نصب عينيه خطة تهدف الى التوجه الى روما ومعرفة الحالة التى تسببت فى جعلها تسقط ، ولذا قام بانتخاب ألف من الجنود ذهب معهم فى اتجاه المدينة ، ولكن احدا من الرومان أسرع بالذهاب الى العدو الذى كان معسكرا فى الجيدون ، وأبلغه بحضور جيش بليزاريوس ، وهكذا قام البرابرة باحتلال المنطقة التى تقع أمام روما مع اعداد كمائن عديدة ، وعندما رأوا قوة بليزاريوس قد جاءت وأصبحت قريبة منهم خرجوا من كمائنهم وقاموا بمهاجمتها ، فنجم عن ذلك معركة شرسة استطاع فيها الرومان ببسالتهم فى القتال أن يردوه على أعقابه ، وبعد القضاء على أغلب افراده ، انسحب على الفور الى بورتوس . وهكذا كان مسار الأحداث عند روما .

توجد مدينة على ساحل كالابريا تسمى تارنتوم Tarentum [٨١] على بعد رحلة يومين من داريوس على الطريق من هناك الى تورى Thuri وريجيوم Rhrgium ، جاء حنا الى هناك مع

(٨٠) فصل ٧ — ٢٠ .

(٨١) مدينة تارنتوم Tarentum تقع على خليج تارنتوم فى الجنوب الشرقى الايطالى . « المترجم »

رجال قليلين — بناء على دعوة تارينتيناس — بعد أن ترك بقية قواته كحامية فى درايوس ، وعندما رأى أن المدينة كانت كبيرة بدرجة زائدة وخالية من الدفاع تماما فقد اعتقد بأنه سوف يكون عاجزا تماما عن الدفاع عنها بأكملها ، ولكنه لاحظ أن البحر عند شمـــال المدينة يكون خليجا على كل جانب من شق ضيق جدا من الأرض حيث يقع مينـــاء تارنتوم ، وهكذا فان المسافة فيما بين الخليجين تكون — وبطريقـــة طبيعية — برزخا لمسافة لا تقل عن عشرين ستيد وهكذا وضع الخطة التالية • اقتطع من باقى المدينة ذلك الجزء الذى يمتد على البرزخ ، ثم قام بتسويره بحائط يمتد من أحد الخليجين الى الخليج الآخر ثم قام بحفر خندق عميق على طـــول الحائط ، وهناك قام بجمع أهل تارنتوم وكل ســـكان المناطق المجاورة وترك لهم حاميـــة ذات حجم معقول وبهذه الطريقة فان أهل كالابريا أصبحوا عندئذ فى وضع آمن وبناء على ذلك عقدوا العزم على التمرد على القوط ، وهكذا كان مسار الأحـــداث فى ذلك القطـــاع •

وأما توتيـــلا ، فقد قام من جهته باحتـــلال حصن قوى جدا فى لوكانيا Luecania ، كان يقع ملاصقا لحدود كالابريا ، وكان يسميه الرومان اتشيرونتيس Acherontis ، وبعد أن قام هناك حـــامية لا تقل عن أربعمائة رجل ، سار هو بنفســـه ومع الباقى من جيشـــه ضد رافينـــا ، تاركا فى كامبانيا بعض البرابرة الذين عهد اليهم بحراسة المسجونـــين الرومـــان ، أعضـــاء مجـــلس الشيوخ الذين كانـــوا فى ذلك المـــكان •

(٢٤)

فى ذلك الوقت تصور بليزاريوس خطة جريئة وحويطة بدت فى بادىء الأمر غير معقولة لمن رأوا أعماله وسمعوا عنهـــا ولكن نتائجها أثبتت أنها كانت انجازا رائعا ذا اهمية مدهشة فقد أبحر — خارجا تاركا

ورائه عددا قليلا من الجنود ليتولوا حراسة بورتوس ، ثم توجه هو بنفسه مع باقى جيشه الى روما وذلك بنية محاولة الاستيلاء عليها بكل ما لديه من قوة وحيث انه كان غير قادر — وفى وقت قصير — على اعادة بناء كل أجزاء السور التى سبق لتوتيلا أن قام بتسويته بالأرض فقد قـــام بالآتى : جمع الأحجار التى كانت ملقاة بجواره ثم أخذ فى قذف الواحد فوق سطح الآخر دون مراعاة لأى نظام وبدون وضع أى شىء على الأطلاق فيما بـــين الأحجار حيث لم يكن لديه جير ولا اى شىء غيره من نفس النوعية ، ولكنه كان يهتم فقط بان يكون واجهة المبنى ليس بها خلل ، ثم قـــام بوضع كمية كبيرة من الأوتاد فى الخارج ، ولمـــا كان قد ســـبق له أن قام بحفر خنادق عميقة حول الحائط الدائرى بأكمله كما سبق ذكره فى الحديث السابق(٨٣) ، وحيث أن الجيش بأكمله قد سبق أن نفذ هذا العمل بحماسة غير محدوده ، ففى خمسة وعشرين يوما كانت تلك الأجزاء من التحصينات التى سبق أن سويت بالأرض قد انتهى العمل منها بهذا الأسلوب ، وتجمع كل الرومان الذين كانوا يعيشون الى جوارهم داخل المدينة بسبب رغبتهم فى بناء بيوتهم فى روما وكذا لأن التموينات التى كانوا يمدون بها ولفترة من الوقت كانت ضئيلة ثم وجدوا وفرة منها هناك فقد كان بليزاريوس قادرا على أن يحضر منها الكثير وذلك بقيامه بشحن عدد كبير من القوارب وملئها بكل أنواع التموينات واحضارها الى روما عن طريق النهر •

وعندما علم توتيلا بذلك قام فى الحـــال بتحريك جيش وســـار لمواجهة بليزاريوس فى روما وذلك قبل أن يتمكن بليزاريوس من تجهيز بوابات الحائط ، فقد سبق لتوتيلا أن قام بالقضاء عليها كلها ، ولم ينجح بليزاريوس حتى ذلك الوقت فى بناء بوابات وذلك بســـبب النقص فى الحرفيين ، ولما اقترب جيش البرابرة من المدينة ، أقام معسكرا واسترخوا على ضفة التيبر ، ولكن عند بزوغ شمس اليوم التالى تقدموا وقد ملأهم

---

(٨٢) الكتاب ٥ ، فصل ١٤ — ١٥ .

الغضب وشرعوا فى الصباح بينما كانوا يقتربون من الاسوار ، ولكن بليزاريوس كان قد اختار أحسن المحاربين من الجنود واشجعهم ووضعهم فى مداخل البوابات وامر الباقين أن يقفوا فى أعلى ويردوا المهاجمين من الحائط بأقصى قوتهم وبذلك نشبت معركة شرسة فمن جهة البرابرة كان يملاهم الأمل فى بادىء الأمر بأنهم سوف يستولون على المدينة من أول صيحة ، ولكن بما ان المحاولة اثبتت أنها على درجة كبيرة من الصعوبة ، وبما أن الرومان اظهروا مقاومة فى غاية البسالة ، فقد استشاطوا غضبا وبدأوا يضغطون بشدة على الخصم مدفوعين بجرأة بقوة الغضب أكثر مما كانوا مدفوعين بقوتهم الذاتية ، وفى أثناء ذلك قاوم الرومان بتصميم لم يكن متوقعا فالخطر كان يثير فيهم الشجاعة بطبيعة الحال ، ونتيجة لذلك تم ذبح عدد كبير من البرابرة حيث كان التصويب عليهم من موقع مرتفع ، وأصبح الجيشان فى حالة شديدة من الارهاق والغم ، والمعركة التى بدأت فى الصباح انتهت فى الليل والتجأ البابرة الى معسكراتهم حيث أمضوا الليل بها ، مهتمين بالجرحى منهم ، وأما بالنسبة للرومان فقد كان البعض منهم يقوم بحراسة الحائط من أعلى بينما الآخرون والذين كانوا أكثر شهرة من الجميع بما عرف عنهم من شجاعة يقومون بحراسة مداخل البوابات بالتناوب واضعين أمامهم أعدادا كبيرة من التريبولى حتى لا يمكن العدو من القيام بهجوم مفاجىء عليهم .

كانت هذه التريبولى[٨٣] من النوع الآتى : أربعة أسياخ من طول متساو تثبت معا عند الرأس وبطريقة بحيث تشكل أسنانها هيئة مثلث من كل جانب ، تلقى هذه عشوائيا على الأرض ونتيجة لتكوينها الشكلى فان ثلاثة من الأسياخ تزرع نفسها بالأرض بطريقة محكمة بينما ينتصب الوحيد الباقى منها مكونا عائقا بالنسبة للرجال أو للخيول فاذا مر

(٨٣) أسياخ مدببة من أعلى .

أحد فوق أحد هذه التريبولى فان السيخ الذى انتصب فى حالة وقوفه فى الهواء يصبح مزروعا فى الأرض ولكن سيخا آخر يحل محله الى أعلى كعائق أمام من يرغب فى التقدم بغرض الهجوم ، هذه هى التريبولى ، وهكذا عسكر كل من طرفى المعركة بعد انتهائها .

وفى اليوم التالى قرر نوتيلا أن يهاجم الحائط مرة أخرى بكل العنف وبكامل جيشه كما قرر الرومان التقدم لرده على أعقابه على النحو المبين ، وبما أنهم كانت لهم اليد الطولى فى الاشتباك فقد استجمعوا شجاعتهم لعمل انقضاض على عدوهم ، وبينما تراجع البرابرة فان بعض الرومان تتبعوهم وتوجهوا الى مسافة قريبة من التحصينات ولكن البرابرة كانوا على وشك الاحداق بهم حتى يصبحوا عاجزين عن العودة للمدينة ، ولكن بليزاريوس — وكان يلاحظ ما كان يحدث — أرسل عددا كبيرا من رجاله الى تلك البقعة وهكذا نجح فى انقاذ تلك القوة . وبعد أن تم ردهم بهذه الطريقة أنسحب البرابرة بعد أن فقدوا كثيرا من رجالهم المقاتلين حاملين معهم عددا كبيرا من الجرحى الى معسكرهم ، وهناك بقوا فى سكون مهتمين بأمر جروحهم وأسلحتهم التى لم يتلف منها الكثير ، ووضع كل شىء آخر فى وضع الاستعداد .

وبعد عدة أيام تقدموا مرة ثانية نحو الحائط بقصد القضاء عليه بالقوة ولكن الرومان خرجوا اليهم ليواجهوهم واشتبكوا معهم فى معركة ، وبطريقة الصدفة فان الرجل الذى كان يحمل نوتيلا أصابه جرح قاتل ولم يسقط من فوق حصانه فحسب ولكنه ألقى بالعلم الى الأرض أيضا ، وبناء عليه فان الرومان الذين كانوا يقاتلون فى المقدمة اندفعوا بقصد الامساك بالعلم والجثة ، ولكن أشجع رجال البرابرة وصل للمكان أولا وامسك بالعلم وبتر اليد اليسرى للجثة واخذها معهم ، فقد كان الرجل الصريع يضع حول تلك اليد سوارا من الذهب لم يكونوا

راغبين فى أن يبتهج خصومهم بالحصـول عليه ، وهكذا كانوا يحاولون تجنب العار الذى سيلحقه فقد السوار ، وعندئذ شرع جيش البرابرة فى الانسحاب فى فوضى شاملة بينما نهب الرومـان ما كان قد تخلف بالجثة وبتعقبهم العدو الى مسافة كبيرة قاموا بقتل عدد كبير من أفرادهم ثم عادوا الى المدينة دون أدنى خسارة ٠

وعندئذ جـاء كل أعيان القوط الى توتيـلا وأخذوا فى تجريحه وتعنيفه بدون رحمة وذلك بسبب افتقاره الى الحكمة ، فبعد الاستيلاء على روما — كما قالوا — لم يقم بتسوية المدينة بأكملها بالأرض وذلك حتى لا يستطيع العدو بعد ذلك أن يضع يده عليها ، كمـا أنـه لم يقم بالاستيلاء عليها ، ولكن كل الذى حققوه بحملة كبيرة العدد ووقت طويل قام هو نفسه بافسـاده بأسلوب غير معقول بالمرة وهكذا فان الطبيعة قـد فطرت الرجال على أن يطوعوا حكمهم على كل حالة طبقا لنتيجة الأحداث ويسمحوا لعقولهم أن يسيطر عليها تيار الحظ ويجعلوا من التغيـيرات فى رأيهم على الفور نتيجة لهذا وفى الواقع لقد كان هذا هو السبب اذ أنه بينما كان توتيلا ناجحا فى مهامه كان القوط يبجلونه كتبجيلهم للاله سـواء بسواء ، ويسمونه الذى لا يقهر والقائد الذى لا يهزم وذلك عندما سمح بأن يدمروا جزءا من دفاعات المدن المـأسورة ، ولـكن عندما واجه الشـدة المذكورة بعالية لم يشعروا انه من غير اللائق أن يتطاولوا عليه متنبهين لما سـبق لهم أن قالوه مؤخرا وسائرين على عكس هذا القول وبدون أى تردد ، ولكن هذه الأخطاء فى الحكم وغيرها مثلها لا مفر للرجـال من ارتكابها على الدوام حيث انهـا ناتجـة عن الطبيعة البشريـة ٠

ولهذا فان توتيلا وبرابرته فكوا الحصـار وتوجهوا الى مدينـة تيبور ، محطمين بصفة خاصة كل المعابر فوق التيبر حتى يصعب على الرومان القيام بهجوم عليهم ، ومع ذلك فـان المعبر المسمى ملفيوس Mulvius كان الوحيد الذى لم يتمكنوا من تحطيمه حيث انه كان

ملاصقا للمدينة ، وقرروا اعادة بناء الحصن فى تيبو بكل قواهم لأنهم قد جردوه من قبل من كافة وسائل دفاعته فوضعوا فيه كل ما كانوا يملكون وبقوا فى هدوء وأما من جهة بليزاريوس — فبما أن الأسباب التى تدعوه الى الخوف قد أصبحت أقل — فقد قام بتركيب البوابات للحائط الدائرى لروما من كل جانب مستخدما ما فى ذلك الحديد ثم قام مرة أخرى بارسال المفاتيح الى الامبراطور ، واقترب الشتاء من نهايته وانتهت السـنة الثانية عشر من هذه الحرب ، التـاريخ الذى كتبـه بروكوبيوس ، ٥٤٧ بعد الميـلاد ٠

(٢٥)

قبل ذلك بوقت طويل كان توتيلا قد أرسل جيشا ضد بيروسيا Perusia ، عسكر بالقرب من الحائط الدائرى للمدينة وقـاموا بحصار كبير للرومان داخلها ، ونظرا لادراكهم بأن المدينة كانت تفتقر الى التموينات بدرجة كبيرة فقد أرسلوا الى توتيلا يرجونه أن يأتى مع كامل جيشـه معتقدين بذلك أنهم سوف يستولون على المدينة والرومان بداخلها بأقل صعوبة وبأقل جهد ، ولما رأى توتيلا أن البرابرة كانوا غـير متحمسين جدا لتنفيذ أوامره ، ورغبة فى حثهم على ذلك قـام باستدعائهم جميعا وتحدث اليهم على الوجه الآتى :

« أيها الجنـود الرفـاق ، لقد لاحظت أنكم تكنون لى غضبا ليس له ما يبرره ، وفى نفس مستاءون وبدرجة مريرة للكارثة التى حلت بنا لسوء حظنا ، لهذا السبب فقد قررت أن أحضركم جميعـا فى هذه المناسبة حتى يمكننى أن أبعد عن عقولكم انطباعا هو بالقطع شـعور خاطىء ، وأن أعيد لكم حكما أكثر عدلا ، وأيضا لأنه قدر لا يبدو انكم تظهرون لى نكران للجميل الذى لايليق بكم ، كمـا قد لا يبدو أنـكم مسيرون بدوافع أساسية تجعلكم وكأنكم تظهرون الجحود تجاه الاله ، لأنه من طبيعة البشر أن يصابوا بالفشل فى وقت من الأوقات ، وعندما

يفسى الرجل أنه بشر ويظهر التمرد على ما يصيبه فانه فى تلك الحالة سوف يحصل بطبيعة الحال على سمعة تصفه بالغباء ، ومع ذلك فليس من الحكمة الهرب مما كتبه القدر عليه ، والآن أود أن أذكركم بالأحداث السابقة لا لكى أعفى نفسى من اللوم عما حدث ، بل لأثبت أن هذا اللوم يمكن أن يقع عليكم أنتم وبشكل أكثر عدلا ، فعندما كان فيتيجز [٨٤] يدخل هذه الحرب فى بدايتها قام بالفعل بهدم أسوار المدن الساحلية : فانوم Fanum ، وبيساريوم Pisarum [٨٥] ولكن روما وباقى مدن ايطاليا وبدون استثناء قد نجت من التدمير ، بل حتى من الحاق ضرر على الأقل بها ، ونتيجة لذلك فبينما لم يلحق القوط أية متاعب من جهة فانوم وبيسارموم ، فانه بسبب الحوائط الدائرية لروما وأماكن أخرى محصنة قد جاءت المتاعب الى القوط ، وفيتيجز بعد الأسلوب الذى تعرفونه جيدا » .

« وبالتالى فعندما قبلت الحكم الملكى الذى ابديتموه لى وضعت الهدف المعقول للتباهى بتلك الأعمال التى اعتبرت الأفضل لنا من الحاق الضرر بتنظيمنا باتيان تلك الأعمال التى الحقت الأذى بنا ، فبينما الرجال يبدون وكأن الواحد منهم لا يختلف كثيرا عن الآخر الى الحد الذى اتفقت عليه الطبيعة ، فما زال البعض يمتلك ميزة التجربة التى هى كالمدرس يجعل من الذى يعى درسه متفوقا فى كل ناحية على أولئك الذين لم يتلقوا مثل تلك المعلومات ، ونتيجة لذلك فعندما استولينا على نيفنتوم ، وقد هدمنا أسوارها تماما وعلى الفور استولينا على البلدان الأخرى التى قررنا هدم حوائطها الدائرية بنفس الطريقة وذلك حتى لا يكون فى استطاعة العدو — بامتلاكه قاعدة قوية — أن

(٨٤) القائد القوطى الذى تولى بعد مقتل ثيوداتس .

(٨٥) تقع فانوم وبساريوم بين مدينتى اوسيمو وريميني فى الشمال الشرقى بالقرب من رافنا وكانت تسمى Fanus والآن Fano.

« المترجمة »

يستمر فى الحرب باستراتيجية ، بل يضطر وعلى الفور أن يهبط الى السهل ويشتبك معنا هناك وهكذا فبينما العدو من جهته يولى الأدبار كنت أعطى أوامر بهدم مثل تلك المدن ، بمجرد الاستيلاء عليها وأنتم — قد أبديتم اعجابكم بحكمى السديد هذا — عضدتم هذا الرأى وأيضا جعلتم أعمالى هى اعمالكم كما يبدو ، فالرجل الذى يمدح رجلا آخر عن فعل قام بتأديته يصبح هو نفسه الوكيل عن العمل وممثله ولا يقل عن الآخر ، ولكنكم الآن — أيها القوط الأعزاء — قد قبلتم أوضاعكم لأنه وببساطة قدر لبليزاريوس اتخاذ مسلكا يتسم بجرأة غير معقولة أن ينال الهدف الذى ناضل من أجله وبالتالى أصابكم الذهول من الرجل على أنه معجزة من معجزات الشجاعة ، فالرجال الذين يملكون الجرأة يوصفون بالشجاعة ، أكثر من الرجال الذين يملكون تدبر العواقب يسمون جبناء ، ويكمن السبب فى أنه بينما الذى يظهر الجرأة مع خلفية من القيود الخلقية يتشرف بأن يحوز لقب الهمام وتصبح سمعته طيبة والذى يمتنع عن الخطر — بحرص ويواجه نجاحا غير مشرف يجلب لنفسه المسئولية عما يحدث ، وحتى اذا ما حقق النجاح الذى كان يخطط له ، سيبدو دائما بالنسبة للرجال الحمقى على أى حال وكأنه لم يحقق شيئا بنفسه .

« وبصرف النظر عن هذا ، انكم لا تأخذون فى اعتباركم أنكم غاضبون منى بسبب الأشياء التى سببت لكم فى الحقيقة السخط الآن ، والا فهل تعتقدون حقا أن بليزاريوس قد اكتسب نجاحا مجيدا ضدكم — أنتم الذين حملتم السلاح معى بصفتى قائدكم وأثبتم أنكم قادرون لأكثر من مرة على أن تتغلبوا عليه فى المعركة وذلك بالرغم من أنكم قد نزلتم الى مرتبة أسرى الحرب وطردتم كعبيد ، ومع ذلك فاذا كان من تقديرى انكم قد حققتم مثل هذه الأشياء فينبغى أن تبقوا صامتين اكراما لهذا الاستحقاق متذكرين فى ساعات الشدة عند الرجال أنه لا يوجد شىء يبقى ثابتا ، ومن جهة أخرى فاذا كان شىء من الحظ هو الذى جلب عليكم ذلك الفوز ، فسوف يكون أكثر نفعا لكم لو أظهرتم

احتراما له أكثر مما لو أظهرتم غيظا تجاهه وذلك حتى لا تصبحوا مرغمين على عدم تعلم المعنى الحقيقى لفضله ، ففى الواقع كيف لم يبــد الأمر متناقضا مع الروح الطيبة عندما نرى الرجـــال الذين حققوا لأنفسهم كثيرا من النجاح العظيم منذ وقت ليس ببعيد ويصادفون الآن شدة بسيطة ثم يسمحون لكبريائهم أن تــكون هكذا بهذا الهوان ، ان هذا الوضع يعنى فقط وببساطة أنكم ترفضون وبعناد أن تعترفوا أنــكم بشر ، فالله وحده هو الذى تسند اليه العصمة من الأخطاء ، ولذلك فانى أقول انكم ملزمون بأن تتخلوا عن هذا الوضع ثم وبكل الحماس تمسكوا بتلابيب العدو فى بيروسيا ، لأنكم لو برهنتم على أنكم قادرون على أسره فان الحظ سوف يبتسم لكم مرة أخرى ، فبينما ذلك الذى حدث لا يمكن حسابه بالزمن فمع ذلك وعندما يحدث جديد على الكثرة التى ابتليت بالشدة ، فيحدث عندئذ أن ذكريات الأيـــام السيئــة تصــبح أخف وطأة .

« وانكم سوف تحققون السيادة على بيروسيا بدون أية متاعب . وأما فيما يتعلق بسبيريان (القبرصى) والذى كان قائدا للرومان هناك . فقد تمت ازاحته بفضل الحظ ، وبفضـــل تخطيطنا بنفس القـــدر ، فالتعويضات الضئلية التى لا تقيم الأود ، والجنود القليلون لا يمكن أن يبدوا مقاومة باسلة كما أن أحدا لن يقوم بالاضرار بنا من المؤخـــرة لأنى رأيت أنه من المناسب تدمير المعابر على النهر لهذا الغرض وبحيث لا نعانى من أية خسارة نتيجة لهجمات غير متوقعة فحسب ، بل وأيضا لأن بليزاريوس وحنا يراقب كل منهما الآخر بريبة وهى حقيقة يمكن رؤيتها من الأحداث السابقة فبالنسبة للتنافس بين أحكام الرجلـــين ، الواحد على لآخر ، فهو يلاحظ وبكل وضوح عن طريق أفعالها . وهذا فى الواقع هو سبب عجزهما حتى الآن عن ضم قواتهما الواحدة مـــع الأخرى فالشك المتبادل يشوش على أفكار كل منهما ، وأن أولئك الذين

يستسلمون لمثل هذا الشعور يصبحون أسرى للحسد والبغضاء ، وعندما يتمكن هذا الشعور منهم فـــلا يجدى معهم أى شىء نفعا » .

وبعد هذا الحديث قاد توتيـــلا جيشـــه رأســـا الى بيروسيا وعند وصولهم الى تلك المدينة أقاموا معسكرهم بجوار الحائط الدائرى وبدأوا يضربون حصارا .

(٢٦)

وبينما كانت هذه الأحداث تأخذ مجراها على النحو المبين ، كان حنا أثناء ذلك يحاصر قلعة اتشـــيرونتس Acherontis ، وبما أنه لم يكن يحرز تقدما ما فقد تصور فكرة جريئة لا تعمل على انقاذ شيوخ الرومـــان فحسب بل أيضا تجعله يكتسب صيتا حميدا وبدرجة غـــير عادية بين الرجال ، فعندما سمع أن توتيلا والجيش القوطى كانا مشتبكين فى مهاجمه تحصيات رومـــا ، قام باختيار أكثر فرسانه امتيازا وبدون أن يعلن عن خطته لأى شخص على الاطلاق وتوجه معهم نحو كامبانيـــا (لأن توتيلا كان قد ترك أعضاء مجلس الشيوخ هناك) مواصلين النهار بالليل دون أية راحة حتى يستطيع — بهجوم غـــير متوقع — أن ينقذ هؤلاء الأعضاء وذلك على أساس أن البلدان هناك — كما كان يراها — كانت خالية من أية وسائل دفاعية .

وفى نفس الوقت بدأ توتيلا يشعر بالخطر خشية أن يقوم بعض أفراد العدو كما سبق أن حدث بالفعل — بالمجىء بنية القيام بضربة مفاجئة لانقاذ الأسرى وقد أرسل بناء على ذلك جيشا من السوارى (الفرســان) الى كامبانيا ، ولما وصلت هذه القوة الى مدينة مينتيرنـــا Minttrnae [٨٦] تقرر أن أحسن مسار لها هو أن تبقى فى هدوء وتهتم

(٨٦) قرب تريتو Terett الحالية .

بخيولها (حيث قد أصبحت على درجة كبيرة من الارهاق بسبب رحلتها) بينما أرسل عددا قليلا من الكشافة ليفحص الموقع عند كابوا Capua وكذا البلدان المجاورة لها ولقد كانت المسافة فيما بين المكانين لا تتجاوز ثلاثمائة ستيد ونتيجة لذلك فقد أرسلوا الى الأمام أربعمائة رجل لم تكن خيولهم قد أنهكت ولا قد مست بسوء ليقوموا بالاستكشاف وقد حدث وبطريق الصدفة أنه فى ذلك اليوم نفسه وفى نفس الوقت الذى وصل فيه كل من حنا وجيشه الى كابوا وصل هؤلاء البرابرة الأربعمائة أنفسهم اليها دون أن يعلم أى منهما مسبقا أى شىء عن خصمه ، وبناء عليه قامت معركة شرسة على الفور فما أن رأى كل منهما الآخر حتى شرع فى قتاله ، ولكن الرومان حققوا نصرا نهائيا وقتلوا أغلب أفراد العدو فى الحال ولم يستطع الهرب من البرابرة الا عدد قليل وهؤلاء وصلوا الى ميتنيرنا فى فرار سريع ، ولكن عندما رأى الآخرون هؤلاء الرجال : بعضهم يقطر دما ، والبعض ما زالت السهام داخل جسده ، والبعض يرفض النطق بكلمة واحدة أو اعطاء أى تفسير لما حدث بل كانوا مثابرين على ارتدادهم وواضح عليهم مظاهر الرعب الذى كان بداخلهم ، لما رأى الآخرون كل ذلك قفزوا فوق خيولهم وانضموا الى المصابين فى فرارهم ، ولما حضروا أمام توتيلا أخبروه أنه هناك جيشا من العدو لا يعد ولا يحصى محاولين بذلك ان يبعدوا العار عن أنفسهم بسبب فرارهم .

كان لا يقل عن سبعين من الجنود الرومان الذين سبق أن هربوا من الخدمة والتجأوا الى القوط ، كانوا فى طريقهم الى منطقة كامبانيا ، وقرر هؤلاء الرجال أن يتوجهوا الى حنا ، ووجد حنا هناك عددا قليلا من أعضاء مجلس الشيوخ ولكنه وجد بصفة خاصة جميع زوجاتهم ، ففى أثناء الاستيلاء على روما تبع كثير من الرجال الجنود فى فرارهم ووصلوا الى بورتوس ، ولكن النساء جميعا تم أسرهن ، ومع ذلك فان كيلمنتينوس Clementinus — وهو أحد النبلاء التجأ الى أحد المعابد هناك ورفض بصفة قاطعة أن يتبع الجيش الرومانى لأنه سبق له أن سلم

لتوتيلا والقوط حصنا ملاصقا لنابلى وخشى من سخط الامبراطور لهذا السبب ، ومن جهة أخرى فان أورستيس — الذى كان قنصلا للرومان وتصادف أن كان قريبا منه — اضطر الى البقاء معه ضد رغبته وذلك نظرا لندرة الخيول ، وعندئذ أرسل حنا الى صقلية أعضاء مجلس الشيوخ فى الحال هم والسبعين جنديا الذين جاءوا اليه .

وعندما سمع توتيلا بذلك أصابه غم كبير وأخذ يتحين فرصة لينتقم من حنا لهذا العمل ، ومن أجل ذلك سار لملاقاته بالجزء الرئيسى من جيشه ، تاركا جزءا صغيرا من الفرق التابعة للقيام بأعمال الحراسة . وكان حنا ورجاله — وكان عددهم زهاء الألف قد أقاموا معسكرا فى لوكانيا Lucania وأرسلوا بعض الكشافة لمراقبة كافة الطرق المجاورة والقيام بأعمال الحراسة للتحقق من عدم اقتراب جيش معاد قد يلحق الأذى بهم ، ولكن توتيلا كان يأخذ فى اعتباره مثل هذا الوضع معتقدا أنه من المستحيل أن تستقر قوة حنا فى معسكرها دون أن تبعث ببعض الكشافة الى ناحيتهم ، ولذلك فقد تخلى عن ارتياد الطرق المعتادة وسار عن طريق الجبال وكثير منها فى ذلك الاقليم وعر شديد الانحدار ويرتفع الى علو كبير — عمل باهر لم يكن أحد ليتوقعه على اعتبار أن تلك الجبال كانت تعد غير قابلة للعبور ، وفى أثناء ذلك فان الرجال الذين أرسلهم حنا للاستكشاف قد لا حظوا بالفعل أن جيشا معاديا قد دخل ذلك الاقليم ولكنهم لم يحصلوا على معلومات محدده عنه ، ومع ذلك فقد خشوا مما قد حدث فساروا هم أيضا فى اتجاه معسكر الرومان ، وتصادف أن وصلوا اليه ليلا مع البرابرة ، ولكن توتيلا — وقد سيطر عليه شعور عنيف ولم يعد يقدر النتائج بحكم دقيق — دفع ثمن غضبه الأحمق ، فبالرغم من أنه كان تحت امرته جيش أكبر عددا من جيش خصومه بعشرة أضعاف ، وبالرغم من أنه كان من الواضح أنه من الأفضل لجيش أقوى أن يشتبك فى معركة حاسمة فى وضح النهار ، وأنه كان ينبغى الاشتباك مع العدو من الفجر وذلك حتى لا يستطيع أفراده الهروب فى الظلام ، مع كل ذلك فلم يأخذ توتيلا فى اعتباره هذه

الملاحظات اذ كان يستطيع فى الحقيقة أن يضرب حصارا حول خصومه ويأسر فى الحال كل رجل من رجالهم كما كانوا داخل مصيدة ، ولكنه بدلا من ذلك استسلم لغضبه وانقض على الجيش المعادى فى ساعة متقدمة من الليل ، ومع أن أحدا منهم لم يفكر فى ابداء أقل مقاومة حيث كان أغلبهم مازال يغط فى نومه فلم يمتكن القوط من ذبح الكثير منهم فقد استيقظوا على الفور واستطاعت غالبيتهم بفضل الظلام الفرار الى الجبال التى كان الكثير منها تقع الى جانبهم وهكذا تم انقاذهم ، وكان من بين هؤلاء حنا نفسه واروفاس Arfus قائد الأيرولى وقد هلك من الرومان نحو مائة رجل •

كان مع حنا جيلاكيوس Gilacius — الأرمنى الأصل — قائدا لقوة صغيرة من الأرمن هذا المدعو جيلاكيوس لم يكن يعرف كيف يتكلم اللغة اليونانيه ولا لغة القوط ولا لغة أخرى سوى الأرمينية وحدها ، وعندما انقض بعض القوط على ذلك الرجل سألوه عمن يكون لأنهم كانوا فى حالة النفور من الآخرين والكراهية لهم جعلتهم فى شوق لقتل كل انسان يصادفونه فى طريقهم وذلك خشية أن يضطروا الى قتل بعضهم البعض بسبب القتال فى الليل كما سبق أن حدث وبسهولة ، ولكن الرجل كان عاجزا عن الرد سوى النطق بكلمة القائد جيلاكيوس ، فقد كان لقبه هذا الذى سبق أن حصل عليه من الامبراطور قد سمعه مرات كثيرة لذا كان فى استطاعته حفظه عن ظهر قلب ، وبالتالى فان البرابرة — متصورين أن هذا الرجل هو من الاعداء — أخذوه أسيرا فى تلك اللحظة ولكنهم لم يمهلوه كثيرا فقاموا بعد ذلك بالقضاء عليه • وهكذا فر حنا واروفاس Aurfas مع من تبعهما بأسرع ما أمكنهم ذلك وتوجهوا الى داريوس التى وصلوا اليها فى النهاية ، وأما عن القوط فقد قاموا بنهب معسكر الرومان ثم انسحبوا •

(٢٧)

وهكذا اشتبكت الجيوش فى ايطاليا ، وقرر الامبراطور جستنيان أن يرسل جيشا آخر ضد القوط وتوتيلا — تحت قيادة بعض مبعوثى بليزاريوس الذى كان مازال يحثه على أن يقوم بهذا العمل ، موضحا ولمرات كثيرة الموقف الذى وجد الرومان فيه أنفسهم ومن ثم قام اولا بارسال باكيوريوس Pacurius — ابن بيرانيوس — Peranius — — ابن أخ سولومون Solomon وسيرجيوس Sergius مع عدد قليل من الرجال ، وصلوا الى ايطاليا وفى الحال انضموا الى بقية الجيش وفيما بعد قام بارسال فيروس Verus وثلاثمائة أيرولى ، وفارازيس Varzes — أرمنى المولد — وثمانمائة من الأرمن ، كما قام باستدعاء فاليريان Valerian قائد أرمينيا — من موقعه وأمره بالتوجه الى ايطاليا مع حاشيته : رماه السهم والحراس ، والذين كان يقدر عددهم بأكثر من ألف رجل ، وكان فيروس هو الأول الذى نزل فى داريوس وترك سفنه هناك حيث كان غير راغب بالمرة فى البقاء فى ذلك المكان حيث كان يوجد جيش حنا ، ثم توجه الى الأمام ممتطيا جواده هو ومن تحت امرته ، ومن جهة هذا الرجل فلم يكن وقور الطباع اذ كان مصابا بادمان الخمور ولذلك كانت تسيطر عليه دائما روح من الجرأة الطائشة فلما وصلوا بالقرب من برانديزيوم Brndisium أقاموا معسكرا وبقوا هناك •

ولما علم توتيلا بذلك قال « ان فيروس أمامه أحد أمرين : اما جيش قوى أو رأس أحمق ، دعونا الآن نتقدم لمواجهته فى الحال فاما أن نجرى اختبار على جيش الرجل واما أن يتحقق الرجل من الحماقة التى يتحلى بها » • وهكذا سار توتيلا بهذه الكلمات مع جيش كبير العدد من الأيرولى ، الذى تولى التجسس على العدو واتخذ من الأدغال المجاورة وكرا ، ولكن العدو أحاط بهم وقتل منهم أكثر من مائتين وكان

على وشك أن يضع يده على فيروس وبقية القوة التى كانت مختبئة بين الشجيرات الشوكية ، ولكن الحظ حالفهم وأنقذهم على غير انتظار ، وأما عن السفن التى كانت تبحر بقوات فارازيس وتحت امرته الأرمن فقد رست فجأة على الشاطىء هناك ، وعندما قال توتيلا ذلك مفترضا أن الجيش المعادى كان عدده أكبر مماكان عليه فقد انطلق على الفور وسار بعيدا عن ذلك المكان ، بينما كان فيروس ورجاله مسرورين لوصول سفنهم فى النهاية ، وقرر فارازنس عدم الابحار لأكثر من ذلك ، ولكنه قرر التقدم نحو تارنتوم(٨٧) حيث جاء أيضا بعد ذلك بقليل حنا — ابن أخ فيتاليان — مع كامل جيشه ، وهكذا كان مسار تلك الأحداث •

ثم كان أن قام الامبراطور بالكتابة الى بليزاريوس أنه قد أرسل اليه جيشا كبيرا ينبغى ان ينضم اليه فى كالابريا ومن ثم يشتبك مع العدو ، وفى الحقيقة فان فاليريان كـــان قد حضر بالفعل بالقرب من الخليج الأيونى ولكنه اعتقد أنه غير المناسب فى تلك الآونة أن يقوم بالعبور لأنه رأى أنه فى ذلك الفصل من السنة لا تصبح الامدادات كافية للرجال وللخيول حيث كان الشتاء على الأبواب ، ولكنه أرســل ثلاثمائة من رجاله الى حنـــا بوعد أنـــه بعد قضـــاء الشتاء هناك سوف يأتى بنفسه عند بداية الربيع •

ومن ثم قام بليزاريوس بمجرد قراءة خطاب الامبراطور باختيار تسعمائة رجل تميزوا ببسالتهم ، منهم سبعمائة من السوارى (الفرســان) والمائتين من الجنود المشاه ، تاركا كل الباقين فيهم لحراســـة المنطقة ، وقام بتعيين كونون قائدا لهم ، ثم كان أن أبحر على الفور الى صقلية ، ومن هناك خرج مرة أخرى الى البحر قاصـــدا الابحار الى مينـــاء تارنتوم متخذا مسارا على يسار المكان المسمى صقليوم Scylaeum

(٨٧) تارنتوم تقع على خليج تارنتوم فى الجنوب الشرقى الايطالى .
« المترجمة »

والذى قال عنه الشعراء ان سكيلا Scylia عاشت هناك فى وقت من الأوقات — لا لأنه كانت تعيش هناك امرأة على شكل حيوان كما يقولون — بل لأنه وجد هناك نوعان من السمك يسمى Scyio فى الماضى ويسمى الآن (سيناسكيوس) Syniscus وجد بكميات وفيرة للغاية فى ذلك الجزء من البوغاز وذلك منذ القدم حتى أيامى هذه فالأسماء كانت فى البداية تتلاءم دائما مع الأشياء التى تصفها ، ولكن تناقل هذه الأسماء الى أناس آخرين أوجدت آراء زائفة بشأنها نتيجة الجهل بالحقائق ، ومع مسار الزمن بهذا الاسلوب أصبح المكان بناء قويا — كما تحدثنا القصة — فقد أولع الشعراء بها واصبحت مصـــدر الهام لفنهم على ما يظن ، ولأنه الشاهد على أشياء كثيرة لم تحدث من قبل ابدا ، وهكذا وعلى سبيل المثال فالأهالى فى جزيرة ســيرســيرا Cercyra — ومنذ العصور القديمة — أطلقوا على ذلك اللسان من الأرض الممتد من الجزيرة الى داخل البحر (رأس الكلب) ، وهو من جهة الشرق ولكن الآخرين وبسبب هذا الاسم سوف يفسرونه حسب رأيهم على أن الناس هناك كانوا من نوع يشبه قطيع الكــلاب ، وفى الواقع انهم كانوا يسمون بعض أهل بسيديا Pisidians جماجم الذئب) لا لأنهم يحملون رؤوس ذئاب ، ولكن لأن الجبل الذى يرتفع هناك قد أطلق عليه كلمة (خوذة الذئب) ، ومن جهة مثل هذه الأمور فلندع كل فريق يعتقد ويتكلم حسبما يشاء ، ولكن سأعود الى النقطة التى انحرفت عنها •

(٢٨)

وهكذا كان بليزاريوس يسرع فى الذهـــاب الى تارنتوم ، وكان الشاطىء هناك على شكل هلال تقريبا حيث يتراجع ويتقدم البحر فى الخليج الى مسافة كبيرة داخل الأرض ، ولكن عندما يبحر أحد بطول

(٨٨) جزيرة سيرسيرا تقع فى الجنوب الشرقى من ايطاليا على خليج تارنتوم .

الساحل بأكمله فان المسافة تمتد الى ألف ستيد ، وقــد أقيمت مدينة على كل جــانب من فتحة الخليج فتلك التى تقــع ناحية الغرب تسمى كرتون Croton (٨٩) والأخــرى التى فى نــاحية الشرق تسمى تارنتوم(٩٠) ، وفى منتصف هذا الشاطىء تقع مدينة تورى Thuriy ، ولكن عاصفة أعاقت بليزاريوس وأرغمته على ايقاف مساره نتيجة لرياح عاتية وموج عال كانا لا يسمحان لسفنه بأى تقدم على الاطلاق ، ولذلك فقد رسى فى ميناء كروتون .

وبما أنه لم يجد أى حصــن هناك ولا أى مكان يمكن احضــار امدادات للجنود منه فقد بقى بليزاريوس هو وزوجته هناك مع المشاه وذلك حتى يتمكنوا من استدعاء جيش حنا من هناك وتنظيمه ولكنه أمر جميع (الفرسان أن يتقدموا ويقيموا معسكرا فى الممرات المؤدية الى المدينة ثم عين فازاس الأيبرى قائدا عليهم وكذلك باربيش Barbation كحارس عليهم فبهذه الطريقة اعتقد أنهم يمكنهم تأمين كافة التموينات الضرورية لخيولهم ولأنفسهم بسهولة كبيرة ، كمــا أنهم قد يتمكنون — فى ممر ضيق — من رد العدو على أعقابه ، حيث تمتد جبال لوكانيا حتى بروتيوم Bruttium وينتصب كل منها ملاصقا للآخر مكونين هناك ممرين اثنين فقط من أضيق ما يمكن ، أحدهما أطلق عليه أســم (صخرة الدم)(٩٢) باللغة اللاتينية بينما اعتاد الأهالى أن يطلقوا على الآخر اسم (لا فيولا) Lavula ، وعلى مسافة ليست ببعيدة من هذه الممرات وعلى الساحل يقع روسكيان Rusciane الميناء البحرى

---

(٨٩) كوترون Cotrone حاليا .

(٩٠) الوصــف مضلل ، فــان تارنتوم تقع فى معزل الجزء الشرقى من (الهلال) وليس عند الطرف .

(٩١) هى منطقة جورجيا Greorgia الحالية التابعة للاتحــاد السوفيتى .

(٩٢) بيترا سانجوينس Petra — Sangunis

لثورى ، بينما يقع — على مسافة تقدر بنحو ستين ستيد — حصن قوى(٩٣) بناه الرومان الأقدمون وكان هذا الحصن قد سبق أن احتله حنــا فى وقت مبكر وأبقى حامية لا بأس بها .

وعند وصول جنود بليزاريوس لتلك المنطقة تقابلوا بالصدفة مع جيش معاد ســبق لتوتيلا أن أرسله بغرض القيام بمحاولة للاستيلاء على الحصن هناك ، فاشتبكوا معه على الفور وألحقوا به الهزيمة دون أية صعوبة وذلك بالرغم من أنه كان أكثر عددا منهم كما قاموا بذبح أكثر من مائتين منه ، وأما أولئك الذين استطاعوا الفرار منه ، فعندما حضروا أمام توتيــلا أخبروه بكل شىء قد حل بهم ، وأما بالنســبة للرومان فقد عسكروا وبقوا هنــاك ولكنهم بسبب عدم وجود قــواد مناسبين ، وبعد انتصارهم فى المعركة ، فقد بدأوا يتصرفون بأسلوب خلقى بعيد عن الانضباط فلم يبقوا هادئين مجتمعين فى مكان واحد ، كمــا أنهم لم يتخذوا موقفا بالقرب من الممر ليقوموا منه بمــلاحظة القادمين عليهم وبسبب هذا التسيب كانوا ينامون الليل فى معسكراتهم كل بعيد عن الآخر ، وفى أثناء النهار يذهبون للبحث عن امدادات دون ان يقوموا بارسال أية كشافة ودون أن يقيموا أى وزن للأمان .

ونتيجة لذلك ، وعندما علم توتيلا بكل شىء ، قام باختيار ثلاثة آلاف فــارس من جيشه بأكمله وذهب لملاقاة العدو ، وبعمل انقضاضه على أفراده على غير انتظار لم يدخل معهم فى معركة بالشكل المألوف بل اتخذ الأسلوب السابق ايضاحه فأصابهم بالفزع وأشاع فيهم الفوضى الكاملة ، وفى تلك الآونة ، تقابل فازاس Phasas — الذى تصادف أن كان معسكرا بالقرب من المكان — مع العدو وأظهر بسالة وكان فى الواقع السبب فى هروب عدد قليل من الرجال ولكنه هو نفسه قد لاقى حتفه مع جميع رجاله ، وكان وقع هذه الكارثة شديدا على الرومان فقد

---

(٩٣) ريما روسانو Rossanu الحالية .

كانوا معلقين كل آمالهم على هذه الكتيبة وذلك بصفتها قوة قتالية ذات كفاءة غير عادية ، وأما كل من نجح فى الفرار فقد أنقذ نفسه بالطريقة التى رآها ممكنة لذلك ، وأما من جهة بارتانتشن — الحارس الخاص لبليزاريوس فقد فر مع اثنين آخرين بأقصى ما أمكنه ذلك فكان أول من وصل الى كروتون ، وهناك أعطى بيانا بالوضع فى تلك الآونة وأضاف أنه لا يعتقد أن البرابرة سوف يمكن التغلب عليهم بسرعة وأما بليزاريوس ، فعندما سمع بذلك ، انتابه حزن شديد ودفع بالسفن الى الابحار ، وهكذا توجهوا بحرا من هناك ، وحيث ان الرياح كانت مواتيه عندئذ فقد نجحوا فى اليوم التالى فى الوصول الى مسينا Messana [٩٤] فى صقلية والتى تبعد بمقدار سبعمائة ستيد عن كروتون وبذلك استقروا فى مواجهة ريجيوم Rhegium .

(٢٩)

نحو ذلك الوقت عبر جيش السكلافينى[٩٥] نهر استر[٩٦] وأشاع الخراب والدمار فى كل أنحاء الليريا وحتى ابيدامنوس[٩٧] أخذ يقتل أو يأسر كل من يقابله فى طريقه سواء أكان صغيرا أم كبيرا كما أخذ فى نهب الممتلكات ، ونجح بالفعل فى الاستيلاء على عدد من الحصون القوية والتى كانت وقتئذ خالية من وسائل الدفاع تماما ولكنها مع ذلك كانت لها سمعة من قبل على أنها أماكن قوية ؛ ثم استمر الجيش فى الطواف فى كل الانحاء بحثا عن اى شىء يدخل السرور الى قلوب افراده واستمر قادة الليريا فى تتبعه بجيش من خمسة عشر ألف رجل ، ومع ذلك فلم يكن لدى هذا الجيش الشجاعة ليشتبك مع عدوه .

---

(٩٤) مضيق يفصل بين صقلية وجنوب ايطاليا .

(٩٥) عناصر صقلبية عاشوا فى مقدونيا « المترجمة »

(٩٦) نهر استر نهر الدانوب حاليا . « المترجمة »

(٩٧) ابيدامنوس هى دورازو حاليا فى ايطاليا .

وفى ذلك الوقت كانت الزلازل تقع كثيرا أثناء فصل الشتاء وبدرجة من الشـــدة غير عادية سواء فى بيزنطة أم فى أماكن أخرى ، وكانت تقع دائما أثناء الليل ، وأما عن سكان تلك المدن فقد كانوا يفترضون وقوعهم تحت الأنقاض كان يعتريهم شعور قوى من الخوف ومع ذلك فلم يصبهم أذى من جراء تلك الزلازل .

وعندئذ كان نهر النيل أيضـــا قـــد ارتفـــع عاليا بما يزيـــد على ثمانية عشر مكعبا وفاض[٩٨] على كل مصر بالمـــاء ومع ذلك فان اقليم طيبة — الذى هو أعلى من مستوى المـــاء — قد استقرت المياه عنده وتراجعت فى الوقت المحدد وأعطت فرصة لسكان تلك المنطقة أن يبذروا الأرض ويهتموا بأمورهم التى اعتادوا أن يؤدوها ، فيما يتعلق بالأراضى الواطئة فبعد أن غطى الماء السطح لم يتراجع بل بقى طوال مدة البذر ، وهو شىء لم يسبق أن حدث من قبل ، كما كانت هناك أماكن كثيرة غمرها الماء مرة أخرى بعد فترة قصيرة من تراجعه عنها ، وهكذا حدث أن كافة الحبوب التى وضعت فى الأرض فيما بين الفترتين قد تعفنت ، وبهذا الحدث العجيب تعرض الناس لعسر مريع بينما نفقت أغلب الحيوانات بسبب النقص فى القوت .

كما حدث فى ذلك الوقت أيضا أن الحوت — والذى كان البيزنطيون يسمونه بورفيريوس Porphyrius [٩٩] — أى الحجرى — قـــد تم الامساك به ، وقد كان هذا الحوت يسبب مضايقات لبيزنطة والبلدان على مدى خمسين عاما ، ولو أن ذلك لم يكن يحدث بصفة مستمرة فقد كان يختفى لفترات طويلة نوعا ما ، وكم أغرق من قوارب وأشاع الرعب

---

(٩٨) خروج بروكوبيوس عن حديثه عن مسار الحرب القوطية ودخل فى موضوعات فرعية خاصة بمصر وهى بعيدة كل البعد عن موضوعه . « المترجمة »

(٩٩) خرج ايضا الى موضوع فرعى ، ابعدنا من موضوعنا . « المترجمة »

بين المسافرين وذلك بابعاد سفنهم عن مسارها وقذفها الى مسافات كبيرة لذا فقد أصبح من الأهمية بمكان بالنسبة للأمبراطور جستنيان الامساك بهذا المخلوق ولكنه كان عاجزا عن تدبير أى اجراء يمكن بـه تحقيق غرضه ، ولكنى سوف أوضح الكيفية التى تم بها الامساك بالحوت فى الوقت الحالى ، فقد حدث أن البحر ساده هدوء عميق ، ثم تجمع عدد كبير من الدرافيل بجانب مصب بحر الاوكزين Auxine [١٠٠] وفجأة رأت الحوت ففر كل منها حينما استطاع أن يجد مكانا للهروب منه ، ولكنه غالبيتها جاءت الى مصب السانجاريوس ، وفى تلك الآونة نجح الحوت فى الامساك ببعضها فابتلعها على الفور ، ثم — وبتأثير الجوع أو القصور الذاتى — استمر فى تعقبها بشكل لا يقل عما سبق حتى أصبح قريبا من اليابسة دون أن يلاحظ ذلك ، وهناك سار فوق وحل عميق ، وبالرغم من أنه كافح كثيرا واجهد نفسه الى أقصى حد للخروج من ذلك الوحل بأسرع ما يمكن الا أنه ظل عاجزا تماما عن الهروب من تلك المياه الضحلة بل أخذ فى الهبوط الى أسفل الوحل أكثر فأكثر . ولما علم الناس الذين كانوا يقطنون فى الجوار بذلك اندفعوا على الفور نحو الحوت لتقطيعه اربا بالفؤوس من كل جانب ، وبالرغم من أنهم استمروا فى ذلك وبكل الاصرار الا أنهم لم يقتلوه بل جروه بحبال غليظة ووضعوه فوق عربات نقل حيث كان طوله نحو ثلاثين ذراعا وعرضه نحو عشرة أذرع[١٠١] ، وبعد تشكيل عدة مجموعات منه وتقسيمها ، أخذ البعض يأكل من لحمه بينما قرر البعض الآخر حفظ اللحم مملحا .

وبينما كان البيزنطيون يراقبون الزلازل وعلموا بالظروف التى ارتفع فيها نهر النيل وكذا بتلك التى تم فيها الامساك بالحوت ، بدأوا فى التنبوء على الفور بأن مثل هذه الاشياء سوف تاخذ مجراها طبقا

---

(١٠٠) بحر Auxine ربما يكون بحرايجه

(١٠١) نحو ٤٥ ، ١٥ قدما .

للاخرى ، فقد اعتاد الناس — عندما تسبب لهم الاحداث القلق والحيرة — أن يتكلموا عن المستقبل بخوف وذهول ويستنتجون — بلا سبب معقول — ما الذى سيحمله المستقبل لهم ، ولكن بالنسبة لى فانى سوف أترك للاخرين التنبوء بالمعجزات وكذا تفسيرها ، ومع ذلك فانى أعلم تماما أن التباطؤ فى انحدار النيل على الحقول قد أثبت أنه كارثة كبرى فى ذلك الوقت وعلى أى حال ، بينما كان اختفاء الحوت — من جهة أخرى — قد أثبت بلا ريب أنه خلاص من متاعب كثيرة ، ومع ذلك فالبعض يقول انه لم يكن نفس الحوت الذى سبق ذكره وأن الحوت الذى تم أسره كان حوتا آخر ، ولكن سأعود الى النقطة التى انحرفت عنها فى سرد حديثى .

بعد أن قام توتيلا باتمام حديثه وعلم أن الرومان فى الحصن قرب روسكيانا Rusciana بدأوا يشعرون بالحاجة الى الامدادات ، فكر فى أسرهم بسرعة حيث لم يكونوا قادرين على احضار أية تموينات ، وعلى ذلك عسكر بالقرب من البلدة وعزم على ضرب حصار ، واقترب الشتاء من نهايته ، وانتهت السنة الثالثة عشرة من هذه الحرب ٥٤٨ بعد الميلاد ، التاريخ الذى كتبه بروكوبيوس .

(٣٠)

أرسل الامبراطور جستنيان ، ما لا يقل عن ألفين من المشاة الى صقلية عن طريق البحر وأمر فاليريان أن ينضم الى بليزاريوس دون أى تأخير وعلى ذلك عبر البحر ورسى فى درايوس حيث وجد بليزاريوس مع زوجتـه ، وفى ذلك الوقت توجهت انطونينا زوجـة بليزاريوس الى بيزنطة وذلك بقصد رجـاء الامبراطورة لزيـادة الامدادات اللازمـة لاستمرار الحرب ، ولكن الامبراطورة ثيودورا[١٠٣] أصيبت بالمرض

---

(١٠٢) كانت انطونينا Antonina صديقة حميمة للامبراطورة ثيودورا . « المترجمة »

ورحلت عن هذا العالم بعد ان عاشت كملكة احدي وعشرين سنة وثلاثة أشهر[١٠٣] (٢٨ يونيو ٥٤٨ بعد الميلاد) •

وفى أثناء ذلك فان الرومان الذين كانوا تحت الحصار فى الحصن القريب من روسكيان ويعانون بشدة من النقص فى التموينات الضرورية ، دخلوا فى مفاوضات مع العدو واتفقوا على أنه فى منتصف فصل الصيف بالضبط سوف يسلمون الحصن وذلك مالم تصلهم أية نجدة خلال الهدنة وعلى شرط أن يبقوا جميعا دون أن يلحقهم أى أذى ، ولقد كان يوجد فى ذلك الحصن كثير من أعيان الايطاليين — كان من بينهم ديوفيرون Deopheron شقيق توليانوس Tollianus — بينما كان يمثل الرومان ثلاثمائة فارس من الليريا والذين سبق لحنا أن وضعهم فى ذلك المكان وعين قوادا عليهم : تشالازار Cholzar — الحارس الخاص من قبيلة المساجيتى ، محارب قدير — وكذا جوديلاس Gudilas ، وكان هناك أيضا مائة من المشاة أرسلهم بليزاريوس لحراسة الحصن •

وفى ذلك الوقت أيضا فان الجنود الذين سبق لبليزاريوس أن خصصهم للحامية فى روما قاموا بقتل قائدهم كانون ، متهمين اياه بالاتجار فى الحبوب وباقى الامدادات بما أضر بصالحهم ، كما قاموا بارسال بعض القساوسة كمبعوثين معلنين بحزم أنه اذا لم يقم الامبراطور بتبرئتهم من الادانة من ذلك الفعل ويعيد اليهم وفى خلال مدة معينة المدفوعات المتأخرة التى تدين بها الدولة لهم ، فانهم سوف يقومون — وبدون أدنى تردد — بالاتجاه الى توتيلا والقوط ، فكان أن حقق الامبراطور لهم طلبهم •

عندئذ قام بليزاريوس باستدعاء حنا الى دراپوس وبانضمامه اليه هو وفاليريان وقواد آخرين كونوا أسطولا كبيرا وأبحروا رأسا الى

---

(١٠٣) منذ أول ابريل سنة ٥٢٧ م •

روسكيان بأقصى سرعة وذلك بهدف تقديم الخبرة للمحاصرين ، لما رأى المتواجدين بالحصن الأسطول من مكانهم المرتفع ، انتعشت آمالهم وقرروا عندئذ عدم الاستسلام للعدو وذلك بالرغم من أن اليوم الذى سبق ان اتفقوا عليه كان بالفعل قائما ، عندئذ هبت عاصفة عاتية ولهذا السبب ولأن الساحل هناك كان خاليا من المرافىء تشتتت السفن وابتعدت الواحدة منها عن الأخرى ، وهكذا ضاع الوقت المناسب ، وعندما تجمعوا فى ميناء كروتون خرجوا مرة أخرى فى اتجاه روسكيان ، ولكن البرابرة عندما رأوهم قفزوا فوق خيولهم وتوجهوا الى الشاطىء وذلك بغرض منع رسو السفن الخاصة بالعدو ، وقد وضعهم توتيلا على مسافة طويلة من الشاطىء وجها لوجه مع مقدمة السفن ، بعضهم يحمل الرمح والبعض الآخر يحمل القوس فى وضع الاستعداد للقتال ، وقد ألقى هذا التنظيم الرعب فى قلوب الرومان وعندما رأوه لم تكن لديهم الشجاعة للاقتراب فأوقفوا سفنهم أولا على مسافة بعيدة وبقوا فى سكون لبعض الوقت ثم يئسوا فعادوا أدراجهم جميعا وأبحروا مرة أخرى الى ميناء كروتون •

وهناك — وبعد التشاور فيما بينهم — قرروا أنه من الأفضل أن يتقدم بليزاريوس الى روما حيث يضع الأمور فى نصابها بقدر الامكان ويحضر ما يلزم من امدادات بينما يجعل حنا وفاليريان الرجال والخيول ترسو على الشاطىء ثم يسيروا على اليابسة نحو بايسنوم ، وذلك حتى يثيروا الارتباك بين البرابرة الذين كانوا يحاصرون التحصينات فى ذلك الاقليم ، فقد كان يراودهم أن توتيلا سوف يضطر بمثل هذه التحركات أن يتخلى عن عملية الحصار ويتبعهم ، وبالتالى قام حنا من جهته وبمصاحبة — الفرق التابعة له وكانت تقدر بنحو ألف رجل بتنفيذ هذه الخطة ، ولكن فاليريان — خوفا من الأخطار — استدار بالسفن عن طريق خليج أيونيا رابحر رأسا الى أنكونا ، فقد اعتقد أنه بهذه الطريقة يستطيع أن يصل الى بايسينوم بأمان وينضم الى حنا ، وحتى مع ذلك

فان توتيلا غير راغب فى فك الحصـــار ، ولكنه وبينما كان هو نفسه مستقرا هناك فقد اختار ألفــين من الفرسان من الجيش وأرسلهم الى بايسنام وذلك للانضمام الى البرابرة هنـــاك ثم ابعـــاد حنـــا وفاليريان بالقـــوة .

وأما الرومان الذين كانوا محاصرين داخل الحصن فى روسكيان ، وقد رأوا أن امداداتهم قد نفدت تماما وأنه لم يعد لهم من أمل فى مساعدة من الرومان ، قاموا بارسال جوديلاس الحارس الخـــاص ودوفيون الايطالى الى توتيلا ودخلوا معه فى مفاوضـــات بشأن سلامتهم راجين منه العفو عنهم لما قاموا به من أفعال وقد وعد توتيلا أنه لن يوقع عقابا على أى واحد منهم باستثناء تشالازار وذلك نظرا لأنه لم يكترث بالاتفاق السابق ولكنه سوف يسمح بنفى التهمة عن كل الآخرين ، وبموجب هذه الشروط تولى بنفسه الاستيلاء على الحصن وقام ببتر يدى تشازلار الاثنين وكذا الأجزاء الحساسة منه بعد ذلك وقتله على الفور ، وأمـــا عن الجنود فقد سمح لمن يرغب منهم مغادرة الحصـــن بالبقاء مـــع احتفاظهم بممتلكاتهم الخاصة ولكن بشرط أن ينضموا بعد ذلك الى قوات القوط ويصبحوا مثلهم سواء بسواء ، ولقد كان هذا فى الواقع هو نفس الاجراء الذى كان يتبعه بانتظام عندما كان يتم الاستيلاء على الحاميات الأخرى ، ومن جهة أخرى وفيما يتعلق بأولئك الذين كانوا غير راضيين بالمرة عن البقاء فقد أمرهم بالرحيل من هناك والذهاب الى أى مكان يريدونه ولكن بدون أية معدات وذلك حتى لا يسير تحت علمه أى رجل فى العالم على غير رغبة منه ، وهكذا وبينما تخلى ثمـــانون من جيش الرومان عن ممتلكاتهم وذهبوا الى كروتون فان من بقى منهم ظل حيث كان بممتلكاته ، ومع أن توتيلا قد جرد الايطاليين من كل ما كانوا يملكون الا أنه لم يمس أشخاصهم بأى أذى .

عندما وصلت أنطونينا — زوجة بليزاريوس — الى بيزنطة بعد مرض الامبراطورة التمست من الامبراطور استدعاء زوجها الى هناك ،

وقد حققت ذلك بسرعة لأن الحرب الفارسية كانت تضغط على الامبراطور جستنيان بأقصى ما يمكن وأجبرته على اتخاذ هذا القرار .

(٣١)

وفى ذلك الوقت قام بعض الرجال بتدبير مؤامرة للانقضاض على الامبراطور جستنيان وسوف أوضح كيف قـــام هؤلاء الرجـــال بهذه المؤامرة والكيفية التى تم بها احباطها وعجزهم عن تحقيق هدفهم منها ، انتابت أرتابانيس Artabanes — بعد ذبـــح الطاغية جونتاريس Gonthris — كما سبق لى ذكره فى الحديث السابق[١٠٤] — رغبة عارمة فى الزواج من ابنة أخ الامبراطور بريكتا Prelecta التى كانت واقعة فى حب ذلك الرجل ، ولكن لأنها كانت تدين له بامتنان كبير حيث لم يكتف فقط بالانتقام لقتل زوجها اروبينداس ولكنه انقذها أيضا وانتشلها من المخاطر عندما كانت أسيرة وقدر لها بعد وقت قصير أن تصبح الزوجة الرافضة للطاغية بونتاريس ، ومنذ ذلك الحين أراد كلاهما ذلك ، قام ارتابانيس بارسال بريكتا الى الامبراطور بينما قام هو بنفسه وبالرغم من تعيينه فى مركز القائد على ليبيا بأكملها — فقد قدم أعذار كاذبة ومتنوعة ليقنع الامبراطور باستدعائه الى بيزنطة ، فقد كان مقادا الى فعل ذلك بأمل زواجه الذى كان سيعود عليه بنعم كثيرة ستنهال عليه من المصاهرة وعلى الأخص وبوجوده بالقرب من العرش لأن الرجـــال عندما يمسكون بخيوط النجاح — على غير انتظار — لا تستطيع عقولهم أن تبقى فى استقرار ، فبموجب آمالهم يستمرون فى التقدم حتى يتم تجريدهم حتى من الشعور بالسعادة التى نالوها بدون استحقاق .

ومع ذلك فقد حقق الامبراطور طلبه ، واستدعى ارتابانيس الى

---

(١٠٤) الكتاب ٤ ، فصل ٢٨ — ٢٩ .

بيزنطة بينما عين مكانه قائدا آخر على ليبيا كما سبق ذكره أعلاه(١٠٥) ، وعندما وصل ارتابانيس الى بيزنطة فان عامة الشعب أعجبت به لانجازاته كما أحبوه لصفاته ، فقد كان طويلا ورشيقا له خلق نبيل قليل الكلام ، ولقد شرفه الامبراطور بطريقة غير عادية فقد عينه قائدا على فرق المعاهدين Foederati (١٠٦) في بيزنطة كما أنعم عليه بامتياز التبجيل الخاص بالقنصل ، أما بشأن بريكتا فان ارتابانيس كان عاجزا تماما عن الاقتران بها فقد كانت له زوجة بالفعل تمت اليه بصلة القربى وتم زواجه بها منذ الطفولة ، وهذه الزوجة قد سبق أن طلقها منذ وقت طويل بسبب أحد المشاكل التي تنمو بين الرجل وزوجته وتعمل على نفور كل منهما من الآخر ، ولقد كانت تلازم البيت دون أن تسبب لارتابانيس أية متاعب طالما كانت أحواله غير ميسرة ، وكان هو يتحملها كثيرا وفي صمت ولكن عندما أصبح شهيرا بأعماله وعظيما بحسن حظه لم تعد المرأة تحتمل وضعها المعيب وجاءت الى بيزنطة ، وهناك توسلت الى الامبراطورة طالبة اعادة زوجها اليها ، وعليه قررت الامبراطورة وكان من عادتها مساعدة النساء المنحوسات — أن ترغم ارتابانيس على قبولها كزوجة وذلك بالرغم من تمرده على ذلك بعنف بينما ، قررت عقد زواج بريكتا على حنا ابن بومبيوس Pompius وابن اخ هيباتوس Hypatius ، ولم يتحمل ارتابانيس هذه البلية فأصبح ثائرا وقال ان الرجل الذى خدم الرومان بمثل هذه الكفاية لا يسمح له الان أن يقترن بالمرأة التى يخطبها لنفسها والتى تشاركه نفس الرغبة فى اتمام الزواج ، وعلى العكس من ذلك يرغم على أن يشارك والى الابد فراش المرأة التى يكرها أكثر من كرهه لأية امرأة فى العالم — الوضع الذى يجعل من المحتم على روح الرجل أن تعانى من الضيق والضجر ونتيجة لذلك وبعد مضى بعض الوقت وبمجرد أن رحلت الامبراطورة عن العالم قام على الفور وبكل هدوء وسرور بابعاد هذه الزوجة عن حياته .

(١٠٥) الكتاب ٤ ، فصل ٢٨ — ٤٥ .

(١٠٦) فرق خاصة تحت القيادة الخاصة بالجنود المرتزقة . انظر الكتاب ٣ فصل ٦ — ٢ . وكانوا يعرفون « بالمعاهدين » .

حدث عندئذ أن جيرمانوس Germanus — ابن أخ الامبراطور — كان له اخ يسمى بوروديس Borodis توفى مؤخرا بعد أن ترك أغلب ممتلكاته لأخيه وأبناء أخيه ، ومع أنه كانت له زوجة وابنة واحدة الا أنه أشار بالا تملك الابنة الا ما يسمح به القانون ، ولهذا السبب اختار الامبراطور أن يدافع عن حقوق لابنة قضائيا ، ولقد أثار هذا العمل جيرمانوس بصورة كبيرة ، وجعله كارها للامبراطور .

(٣٢)

وهكذا كانت علاقة الامبراطور بارتابانيس وجيرمانوس ، كان هناك فى بيزنطة شخص يدعى أرساكيس Arsaces — أرمنى الأصل ينتسب الى ارتابانيس بصلة القربى وسبق أن اكتشف منذ مدة ليست ببعيدة فى محاولة للاضرار بالدولة وأدين بتهمة الخيانة العظمى حيث كان يتفاوض مع خسرو ، الملك الفارسى(١٠٧) ، لاثارة المتاعب ضد الرومان ، ولكن الامبراطور لم يشأ أن يلحق به اذى بأكثر من ضربة على ظهره عدة ضربات وجعله يمتطى ظهر جمل ثم يسير به فى أنحاء المدينة ليستعرض أهلها ، ومع ذلك فلم يتسبب فى ايذائه سواء فى شخصه أم فى ممتلكاته ، ولا حتى بتوقيع عقوبة النفى عليه ، ولكن أرساكيس كان مع ذلك فى حالة غيظ لما حدث وبدأ فى دبير خطط معادية ضد جستنيان وضد الدولة ، وعندما رأى أن ارتابانيس — كأحد أقربائه — كان يشاركه حقده بدأ يستثيره أكثر من ذى قبل ويثير اهتمامه بأحاديث ماكرة ، ولم يتوقف ليلا ولا نهارا عن تعييره وزجره لكونه شجاعا ومع ذلك فهو خائر العزم فى غير وقته ، فمن جهة قد أثبت روح النبل فى موقفه تجاه مصائب الآخرين ، ومن هذا المنطلق قد وضع نهاية للطغيان ومع

(١٠٧) خسرو انوشيروان كسرى فارسى — كان حاكما ذكيا وقويا وقد تمتع أبوه أيضا بسمعة كبيرة — وبعد أن سئم الحروب مع البيزنطية عقد معهم صلحا عام ٥٦١ — ٥٦٢ لمدة خمسين عاما . « المترجمة »

أن جونتاريس Gontharis (١٠٨) كان صديقه ومضيفه فقد أمسك به وذبحه بيده دون اكراه من أى نوع ولكن فى المنعطف الحالى — كمـا قال — كان مليئا بالخوف تماما ، واستمر قابعا فى المكان دون أية علامة مضيئة من علامات الرجولة ومع خضــوع أرض آبائه وأجداده تحت الحراسة الصارمة واستنفاذها بضرائب غير عادية ، لقد ذبح أبوه بحجة المعاهدة والميثاق وأسرت أسرته بالكامل كعبيد وتشتت فى كل ارجــاء الامبراطورية الرومانية ، وبالرغم من كل هذه الحقائق اعتقد ارتابانيش أنه يكفيه أن يكون قائدا على الرومان ويحمل مجرد اسم القنصل — وقال « وأنت ، هل تشاركنى أحزانى على الأقل وذلك بالرغم من أنى أحد أقاربك وبالرغم من أنى قد عانيت الكثير من المعاملة الشائنة ، بينما أنا من جهتى أشفق عليك أيها الرفيق العزيز وذلك من جراء الحظ الذى عانيت منه فى حالة كل من الامرأتــين ، ليس فقط المرأة التى خدعت ظلما وعدوانا من جهتها بل أيضا الأخرى التى أرغمت على العيش معها ، ومع ذلك فلا يمكن لأى شخص عنده شىء من الروح المعنوية أن يرفض تولى قتل جستنيان ، كما أنه لن يتردد أو يضمر أى خوف — رجل يجلس دائما بلا حراســة فى أحدى الردهات والى ساعة متأخرة مــن الليل ، يتصفح بحماس الكتب المقدسة مع القساوسة الذين تقدموا فى العمر بدرجة كبيرة ، علاوة على ذلك فان أحدا من أقرباء جستنيان سوف يقاومك ، وفى الواقع فان جيرمانوس — وهو أقواهم جميعا — سوف يساعدك ، على ما اعتقد ، ومن كل قلبه وبالمثل بالنسبة لأبنائه رغم أنهم صغارا الا أنهم يمتلئون غضبا ضده ، وأنه ليراودنى الأمل فى أن هؤلاء الرجال سوف يؤدون دورهم على الوجه المطلوب فقد عانوا بالفعل الكثير من الظلم على يده أكثر ممــا عانينا أو مما عــانى أى شخص آخر بــين الأرض » .

(١٠٨) جونتاريس عرفناه على انه كــان طاغية ومتزوجا من بريكتا التى كان يرغب ارتابانيس فى الزواج منها ولكنه فشل . وكان ارتابانيس هو الذى قتل جونتاريس .

بمثل هذا الحديث حاول ارساكيس أن يؤثر على ارتابانيس تأثير السحر ، وبمجرد أن رآه وقد بدأ يذعن انتقل بالموضوع الى شخص آخر أرمنى يدعى تشانا رانجس Chanranges وكان رجلا صغير السن لطيفا ومع ذلك فلم يكن له الخلق الجاد بل كان أقرب الى سمة الطفولة بدرجة غير عادية .

وهكذا فعندما أدخله ارساكيس مع ارتابانيس فى اتفاق متبادل : الاثنين بتفكيرهما واسلوب حديثهما ، رحل بعد أن قطع وعدا أن يجعل جيرمانوس وأبناءه يشاركونهم نفس الرأى وذلك فيما يتعلق بما تعهدوا بتنفيذه ، وكان جستينوس Justinus أكبر أبناء جيرمانوس شابا ذا لحيــة ، نشطا يتقن العمل بدرجة غير عادية ، ونتيجة لتلك الصفات فقد ارتقى منذ فترة قصــيرة منصب القنصــلية ، وعلى ذلك تقرب ارساكيس منه وقال انه يرغب فى التحدث معه سرا فى بعض المعابد ، وعندما دخل الاثنان الكنيســة طلب ارساكيس من جستينوس أن يقسم على أنه سوف لا يخبر أحدا فى العالم كله بما سوف يدور بينهما من محادثة وذلك فيما عدا والده وحده ، وبعد أن أدى الرجل القسم دخل معه فى الحديث عن المهمــة — فقد ذكر له أنه بينما هو أحد أقــارب الامبراطور الا أن الذين يحتلون مناصب الدولة هم أناس من العوام ليست لهم الأهلية لمثل هذا الامتياز ، بينما هو نفســه ، من جهة أخرى ، وبالرغم من أنه قد وصل الى مرحلة من العمر تخوله تدبير شئون الخاصة ، الا أنه لم يلق بالا للحقيقة القائلة انه ليس وحده فى ذلك الوضع بل أيضا والده وأنه بالرغم من انجازاته العظيمة هو واخيــه جستينيان ، فقد كان عليهما أن يبقيا والى الأبد كمواطنين من درجة خاصة ، بل انه لم يسمح له أن يكون له نصيب فى ممتلكات عمه التى كان هو وحده — وليس أى واحد آخر — الوارث لها طالمــا كانت تخص بوريــداس Boraids ولكن الأهم من هذا كله أنها اغتصبت منه بطريقة ظالمة ، ومع ذلك فمن المحتمل ان يتعرضوا لمذلة أكثر مما سبق بمجرد وصول

بليزاريوس ن ايطاليا قيل انه كان فى كان ما ن وسط الليريا — وبعد هذه الفترة حاول ارساكيس ان يستفز الشباب ليشارك فى المؤامرة ضد الامبراطور بأن كشف له الاتفاق الذى توصل اليه بنفسه مع ارتابانيس وتشاناترانجس فيما يتعلق بهذه العملية ، وعند سماع ذلك ثار جستينوس بدرجة كبيرة ودارت رأسه وادلى ارساكيس بصريح العبارة أنه لا هو نفسه ولا والده جيرمانوس يستطيعان ارتكاب مثل هذه الأفعال أبداً .

وبينما كان ارساكيس يخطر ارتابانيس بما حدث ، فقد حكى جستينوس الموضوع كله لوالده ، وبناء على ذلك قام — مع مارسيلوس Marcelus قائد حرس القصر — بالاهتمام بالأمر واعطائه العناية اللازمة وهما اذا كان من المفيد اخطار الامبراطورية من عدمه وكان مارسيلوس رجلا ذا رتبة رفيعة يؤثر الصمت فى معظم الأمور ، يعتز بكرامته فلا يفعل أى شىء من أجل المال ، لا يتسامح بشأن أية كلمة أو أى فعل ليس لهما احتكام ، لا يجد أية متعة فى أى شكل من أشكال الدعة ، بل يحيا دائما حياة من نوع صارم لا يعرف اللهو اليها سبيلا ، ولكنه فى نفس الوقت دقيق للغاية فيما يختص بالعدالة ، ومحب ومتحمس جدا للصدق ، لذلك رأى أنه لا يصح فى هذه المناسبة ابلاغ الأمر الامبراطور اذ قال « من جهتكم فليس من اللائق أن تحملوا للامبراطور معلومات من هذا القبيل ، فلو اردتم أن تقولوا أى شىء للامبراطور سرا فان ارتابانيس وأصدقاءه سوف يرتابون وعلى الفور فى أن الأمر قد فضح ، واذا استطاع ارساكيس بطريق الصدفة أن يهرب دون أن يلاحظه أحد فان التهمة ستبقى بلا دليل ، وأما من جهتى أنا فانى لم أتعود اطلاقا على أن أصدق نفسى ولا أن أبلغ الامبراطور أى شىء لم اتحقق منه تماما ، وبناء على ذلك فان ما أريده الآن هو ان أسمع الكلمات باذنى ، أو يسمع أحد المقربين لى — بتدبير منكم — الرجل وهو يقول شيئا واضحا لا لبس فيه بشأن هذه الأمور » .

وعندما سمع جيرمانوس ذلك أمر ابنه جستينوس أن يعد من الترتيبات ما يحقق تنفيذ ما طلبه مارسيلوس ، ومع ذلك فهو لم يعد يستطيع أن يقول شيئا لأرساكيس بشأن هذا الموضوع حيث سبق أن أعطاه — على النحو السابق ذكره — رفضا قاطعا ، ومع ذلك فقد أجرى تحريات من تشانا رانخيس عما اذا كان أرساكيس قد تحادث معه أخيراً بشأن ما أقترحه أتابانيس فقد قال « من جهتى أنا ، ما كانت لى الشجاعة أبدا لكى أئتمنه على أى سر من أسرارى بالنظر الى نوعية شخصية هذا الرجل ، ولكنك اذا كنت راغبا فى أن تخبرنى عن شىء فى الصميم فاننا قد نستطيع بالتركيز على الموضوعية أن تحقق شيئا يستحق ما يبذل من أجله حقيقة » .

عندئذ تداول تشانا رانخيس مع أرتابانيس فى هذا الأمر وقام بابلاغ جستينوس بكل شىء سبق لأرساكيس أن أخبره به .

وحيث أن جستينوس وافق على أن يقوم بتنفيذ كل شىء بنفسه وكذا ادخال والده فى الاتفاق معهم ، فقد تقرر تشانا رانجيس بمقابلة جيرمانوس فى مجلس للمداولة وتحدد يوم نهائى للمقابلة . وقام جيرمانوس بابلاغ ذلك الى مارسيا وطلب منه أن يمدهم بأحد المقربين اليه ليسمع بأذنيه لكلمات تشانا رانخيس ، وقام وأوفد ليونتيوس Leunitus — زوج ابنة أثناسيوس Athanasius — وهو رجل يراعى العدالة بكل دقة وقادر على أن يقول الحق كاملا ودائما ، قام جيرمانوس بتقديم هذا الرجل الى أهل بيته وخصص له حجرة علقت بها ستارة كثيفة لاخفاء المقعد الذى اعتاد تناول الطعام عليه . وبذلك أبعد ليونتوس عن الأنتظار بواسطة هذه الستارة بينما بقى هو نفسه مع ابنه جستينوس فى الخارج . ولما حضر تشانا رانجيس هناك سمعه وبكل الوضوح ليونتيوس وهو يقول كل شىء خطط له أرتاباتيس وأرساكيس ، وبين هذه الأشياء ذكر أيضا أنه اذا ما قاموا بقتل

الامبراطور بينما يكون بليزاريوس ما زال فى طريقه الى بيزنطة ، فان خطتهم لن يتحقق لها النجاح ، وذلك لأنهم بالرغم من رغبتهم فى اعتلاء جيرمانوس العرش ، فمن المحتمل أن بليزاريوس قد يجمع عرمرما من بلدان تراقيا ، وبذلك قد يصبحون عاجزين بأى تدبير عن رد الرجل عندما يأتى للاقاتهم بهذه الطريقة وعلى ذلك فقد يبدو من الضرورى تأجيل تنفيذ الخطة حتى يكون بليزاريوس متواجدا ولكن بمجرد أن يصــل الرجل الى بيزنطة ويكون الامبراطور منفردا فى القصر ، عندئذ وفى المساء المتأخر يتوجهون الى هناك على غــير انتظار وفى حالة تسليح بالخناجر ثم يقتلون مارسيلوس وبليزاريوس مثل قتلهم للامبراطور ، وبمثل هذا العمل سيتمكنون فيما بعد من عمل الترتيبات التى تتفق مع رغباتهم وبدون خوف •

وحتى عندا سمع مارسيلوس هذا الكلام من ليونتيوس لم يقرر ابلاغ الأمر للامبراطور ، حيث كان مازال مشمئزا من الوضع محجما عن التصرف خشية منه أن الكراهية الزائدة قد تجعله يحكم على أرتابانيس بدليل غير كاف ، ومع ذلك فان جيرمانوس أفشى كل شىء الى بوزيس Bouzes ، قسطنطيانوس Constantianus وذلك خشية أن تلحق به بعض الشكوك كنتيجة للتأخير وهو ما حدث بالفعل •

وبعد عدة أيام عندما جاء نبأ يفيد أن بليزاريوس قد أصبح على الأبواب ، قام مارسيلوس بابلاغ الأمر كله الى الامبراطور الذى أمر على الفور أن يودع أرتابانيس وشركاه فى الســجن وعهد الى بعض ضباطه بمهمة تعذيبهم(١٠٩) وعندما سلطت الأضواء على المؤامرة بأكملها ودونت فى السجلات ، دعا الامبراطور الى عقد جلسة مع جميع أعضاء مجلش الشيوخ وذلك فى قصره حيث اعتادوا أتخاذ قراراتهم هناك بشأن المواضيع التى تتعلق بالمنازعات ، ولما قرأوا كل شىء حسبما قرره

---

(١٠٩) وذلك حتى يحصلوا على شهادتهم •

الرجال تحت الاختبار ، طلبوا توسيــع دائرة الاتهام بحيث تشــمل جيرمانوس وابنه جستينوس وذلك حتى ينجح جيرمانوس فى تبرئة نفسه من الشبهة وذلك بتقديم شهادة ماسيلوس وليونتيوش فهؤلاء الرجال — وبالمثل بالنسبة لقنسطنطيانوس ربوزيس — أعلنوا بعد آداء القسم بأن جيرمانوس لم يخف عنهم أى شىء مهما كان فيما يتعلق بهذه الأمور المجلس برأوه على الفور وبالاجماع هو وابنه حيث لم يرتكبوا ما يسىء ولكن كل شىء قد حدث حسبما قصصت على التو ، وبالتالى فان أعضاء الى الدولــة •

عندما ذهب الجميع الى جناح الامبراطور ، بدأ الامبراطور — وقد أصبح غاضبا بدرجة عنيفة للغاية — يشكو وبدأ يتكلم بمرارة كبيرة ضد جيرمانوس ويلومه لتأخره فى افشاء الأمر ، وقد وافق اثنان من الموظفين — ارضاء لخاطره — على رأيه هذا وبدا أنهما يشاركانه الكدر ، وبهذه الطريقة ضاعفا من غضب الامبراطور بدرجــة كبيرة ، فقد كانا دائمى التحمس فى الوقوف بجانبه والتخفيف عنه فى الأمور التى ترتبط بالشدائد التى تحل بالرجال ، وأما بالنسبة للاخرين — فقد ملاهم الخوف — فقد بقوا صامتين راضخين لمشيئته بعدم معارضته ، ومع ذلك فان مارسيلوس وحده — بالتحدث بصراحة وموضــوعية — نجح فى انقــاذ الرجل ، بالقائه اللوم على نفسه والتكلم بكل ما يملك من قوة وتركيز قال ان جيرمانوس — من جهته — قد أخبــره بكل ما كان يحدث وفى حينه ، ولكنه هو نفسه — وقد قام بعمل تحريات مفصلة ودقيقة للغاية — قد أبلغ عن الأمــر بطريقة أكثر ترو ، وبهذه الطريقــة خفف من غضــب الامبراطور رجعله يهدأ ، وهكذا اكتسب مارسيلوس لنفسه صيتا مدويا وسمعة طيبة بين جميع الرجال من هذه الواقعة وذلك باعتباره الرجل الذى أظهر فى أشد الأخطار معدنه الأصيل وقام الامبراطور جستينيان بعزل أرتابانيس من مركزه الذى كان يشغله ولكنه لم يلحق بــه أى أذى ولا بأى واحد من الآخرين فى الحقيقــة وذلك عدا مــا كان من

بعضهم جميعا في القصر تحت الحراسة وبدون التشهير بهم فلم يرسلهم إلى السجن العمومي •

(٣٣)

عند تلك النقطة من الحرب ، أصبح البرابرة السادة على كل الغرب بلا أدنى شك ، وهكذا — ومع أن الرومان كانوا بالقطع فى بادىء الأمر هم الفائزون فى الحرب القوطية — كما سبق أن ذكرت — فان النتيجة النهائية لهم ليست فى أنهم قد استنفذوا المال والحياة بأسلوب يـدل على الاسراف وبلا ميزة انتفعوا بها ، بل فى أنهم قد فقدوا ايطاليا أيضا وأصبح لزاما عليهم أن يفكروا فى استعادتها بينما كان جميع اللالليريين ، التراقيين بصفة خاصة قد تم نهبهم وهلاكهم على يد البرابرة وبطريقة تدعو للرثاء ، وذلك نظرا لكونهم قد أصبحوا جيرانا لهم ، ولقد سارت الأحداث على الوجه الآتى :

كان القوط فى بادىء هذه الحرب قد أعطوا الجرمان[110] كل اقليم الغال الذى كان خاضعا لهم وذلك اعتقادا منهم أنهم لن يكونوا أبـدا قادرين على تنظيم صفوفهم ضـد دولتين اثنتين ، كما سبق لى ذكره فى الحديث السابق[111] ، ولقد كان هذا الحـدث ليس فقط بمقدور الرومان منعه ، بل أن الامبراطور جستنيان قد قام بتشجيعه وذلك حتى لا يكون هناك عقبة قد تواجهه عن طريق اثارة الفئة الخاصة من البرابرة للحرب (لأن الفرنجة[112] لم يأخذوا فى اعتبارهم أبدا أن امتلاكهم للغال سوف يكون مأمونا الا عندما يضع الامبراطور ختـم

(١١٠) ما زال بروكوبيوس يذكر شعب الفرنجـة باسم الجرمـان German عليه . « المترجمة »

(١١١) الكتاب ٥ ، فصل ١٣ — ١٥ .

(١١٢) المقصود قبيله من الجرمان .

الاعتماد على لقبهم ، ونتيجة لذلك فان حكام الجرمان احتلوا ماسيليا Massilia[113] — مستعمرة فوكية — وكذا كافة بلدان الساحل واكتسبوا سلطة الرقابة على ذلك الجزء من البحر والتحكم فيه ، وبصفتهم سادة أثرياء يحبون اللهو فى وقت الفراغ فقد شاهدوا سباق الخيل فى آرلاتم[114] ، كما قاموا بصنع عملة ذهبية من انتاج المناجم فى الغال لا تشبه عملة الامبراطور الرومانى من جهة العيار المعتاد بل كان لها طابعها الخاص ، ومع ذلك فبينما كان ملك الفرس قد اعتاد على اصدار عملات فضية حسبما كان يرى فما زال من المعتقد أنه ن الخطأ سواء بالنسبة له أم بالنسبة لأى حاكم آخر فى عالم البرابرة كله أن يصـدر عملة ذهبية ذات طابع عيارى خاص به حتى ولو كان الذهب متوفرا فى مملكته لأن الناس كانوا غير قادرين على تسعير مثل تلك العملة عنـد تعاملهم تجاريا مع الآخرين حتى ولو كان هؤلاء المتعاملون من البرابرة ، وهكذا سارت الأمرر بالنسبة للفرنج •

عندما كان للقوط ولتوتيلا اليد العليا فى الحرب ، ادعى الفرنج السيطرة على الجزء الأكبر من البندقية وذلك بدون حق على الاطلاق ، لذلك فان الرومان — من جهتهم كاننوا عاجزين عن ردهم على أعقابهم ، والقوط كانوا هم أيضا عاجزين عن مواصلة الحرب ضد شعبين اثنين - وفى أثناء ذلك فان الجبيداى استولوا على مدينة سيرميوم[115] وبصفة خاصة كافة مدن داكيا ، ووضعوا ايديهم عليها فى نفس اللحظة التى كان الامبراطور جستينيان قد أبعد القوط عنها ، ولم يكتف الجبيداى بأن حولوا الرومان فى ذلك الاقليم الى عبيد بل أستمترارهم وأتباعهم فى التحرك الى الأمـام ينهبون ويشيعون أعمال العنـف فى الاقليم

(١١٣) رسيليا الحالية Marseille فى فرنسا .

(١١٤) مدينة آرل Arles بفر .

(١١٥) متروفيتزا الحالية Mitriuitz وهى لا تبعد كثير عن بلغراد الحاليـة .

الرومانى ، ونتيجة لذلك فلم يعد الامبراطور يعطيهم الهبات التى أعتاد الرومان أن يعطوها لهم منذ الوقت طويل ، وعندئذ أنعم الامبراطور جستينيان على اللومباديون بمنحهم مدينة نوريلوم Noricum —(١١٦) وكذا معقل بانونيا وبالمثل بلدان كثيرة بمبلغ كبير من المال ، وبسبب هذا رحل اللومباديون عن مواطنهم الأولى واستقروا فى الجزء الجنـــوبى من نهر استتر ليس بعيدا عن الجبيداى ، ثم قـــاموا من جهتهم بنهب سكان دلماشيا والليريا وذلك حتى حدود ابيدامنوس ، وأخذوا أسرى منهم ، وحيث أن بعض الاسرى قد تمكنوا من الهرب ونجحوا فى العودة الى مواطنهم فان هؤلاء البرابرة على أساس أنهم كانوا فى حالة سلام مع الرومان — انطلقوا داخل الأراضى الرومانية وكلما أدركوا أيا من الأسرى الهاربين يمسكون به اذا كان من بين عبيدهم الذين فروا هاربين ثم يجرونه من أهله ويحملونه معهم الى بيوتهم بلا مقاومة من أحد منهم — هذا وقد تم الاستيلاء على مدن أخرى من داكيا أيضا بالقرب من مدينة سينجديونام singidunum (١١٧) بواسطة الأيرولى وذلك كعطية من الامبراور ، وهنا استقروا فى ذلك الوقت يطغون وينهبون مدن الليريا وداكيا عدة مرات ، وقد أصبح بعضهم جنودا رومانيـــين يخدمون بين المعاهدين Foedelati (١١٨) وذلك كما كانوا يسمون . وهكذا فكلما تم ارسال مبعوثين من الأيرولى الى بيزنطة يمثلون الرجال الذين ينهبون الممتلكات الرومانية يجمعون الهبات من الامبراطور دون أية صعوبة ويحملونها الى مواطنهم .

---

(١١٦) ربما مدينة نوريا Noreia فى مقاطعة نوريكوم Noricum وهى حاليا مدينة نومارك NeumarKt .

(١١٧) بلغراد الحالية .

(١١٨) فصل ٢٦ — ١٠ مذكرة ، الكتاب ٦ — ٢ مذكرة وهم المعاهدون .

(٣٤)

وهكذا قسم البرابرة الامبراطورية الرومانية فيما بينهم ، ولكن بالنسبة للجبيداى واللومبادر فبعد أن أصبحا متجاورين أصبح كل طرف معاديا للطرف الآخر بدرجة متطرفة ، وتملك كل منهما رغبة عارمة فى مقاتلة الآخر فأصبح فى لهفة للدخول فى معركة مع عدوه وكان أن تحدد وقت لوقوع المصادمة ، ولكن اللومبارد — أعتقـــادا منهم أنهم بقوتهم الذاتية لن يكونوا أبدا ندا للجبيداى عند الدخول فى معركة (لأنهم كانوا فى الحقيقه أقل عددا من عددهم بكثير) — قرروا الدخول فى تحالف مع الرومان وعلى ذلك أرسلوا مبعوثين الى الامبراطور جستنيان يرجونه أرســـال جيش اليهم ، وعندما علم الجبيداى بذلك أرسلوا بدورهم مبعوثين الى بيزنطة لتقديم نفس الطلب ، وكان توريزين Thorisin فى ذلك الوقت هو الحاكم على الجبيداى ، وأما الآخرين فكان الحاكم عليهم هو أودين ، وكان أن قرر الامبراطور جستنيان الاستماع الى البلاغ المقدم من كل منهما ولكنه لم يكن يريد أن يأتوا فى نفس الوقت ، بل يحضروا أمامه كل على حدة ، فجاء اللومبارد الى الامبراطور وتكلموا على الوجه الآتى :

أيها الامبراطور ، نحن من جهتنا ، قد دهشنا من السلوك الشائن للجبيداى ، فبالرغم من أنهم ارتكبوا جرائم كثيرة وكبيرة فى الوقت نفسه ضد مملكتكم كما نعلم جميعا ، فأنهم قد أتوا الآن أمامكم ليعرضوا عليكم فى الحقيقة أعظم أهانة ممكنة ، فيمكن أن يقال عنهم — وعنهم فقط — أنهم الذين يهينون وبأقصى حد جيرانهم ، هم الذين يتصورون أنهم يمكنهم خداعهم بسهولة بالمجىء اليهم بغرض الأنتفاع عن طريق بساطة أولئك الرجال الذين أساءوا اليهم ، والآن أننا نطلب منكم ان تولوا اهتمامكم نحو أمر واحد فقط ، فالمسألة تعنى الوضع الذى يتظاهر به الجبيداى تجاه أصدقائهم ، ولذلك فيمكنكم وبكل التأكيد أن تضمنوا

رخاء الامبراطورية الرومانية حيث ان الرجـال قادرين دائما على أن يستنتجوا — وبأمان — من الأحداث السابقة ما سوف يجلبه المستقبل ، فاذا كان الأمر حقيقة من أن دولة الجيبداى قد أظهرت نكران الجميل لبعض الشعوب الأخرى فقط ، فقد أصبح لزاما علينا أن نستغرق وقتا كثيرا مع حديث طويل ونحضر الشهادة من الخارج لمحاولة اثبات القاعدة الخلفية للرجال ، ولكن والأمر كذلك ، فيمكننا اختيار مثلا تحت أيدينا من خبرتكم السـابقة .

هذا هو ما نريده منكم أن تأخذوه فى اعتباركم : ان القوط سبق لهم أن وضعوا أيديهم على أراضى داكيا وذلك كاقليم تابع لكم ، بينما أقام الجيبداى أصلا على الجانب الآخر من الاستر[١١٩] ، وفى رعب قاتل من قوة القوط ، فمن جهة لم ينجحوا أبدا فى عبور النهر أو حتى محاولة هذا العبور بينما كانوا — من جهـة أخرى مرتبطين بشروط التحالف والصداقة مع الرومـان ، وكانوا يتسـلمون فى كل عام من الأباطرة السابقين عطايا كثيرة باسم الصداقة ، وفى الواقع لقد يتسلموها منكم بما لا يقل عن مستوى الكرم المأثور عنكم ، ولذا فسوف نكون مسرررين لو سألنا هؤلاء السـادة ما هو الشىء الطيب الذى قدموه للرومان فى المقابل عن كل هذه المنافع ، ولكنهم سوف يكونون عاجزين عن ذكر شىء واحد : كبيرا كان أم صغيرا ، وبما انهم قادرون على الاساءة اليكم ، فقد ظلوا تابعين هناك فى سكون ليس عن اقتناع كاف من ناحيتهم ولكن لأنه لم تتح لهم الفرصة لذلك فمن جهتهم لم يفكروا فى تقديم أية مطالب بالأراضى خلف الاستر ، بينما الخوف من القوط كان يثير فيهم دائما الفزع من جهة الأراضى التى توجد على هذا الجانب ولكن من هو فى الواقع الذى يسمى الضـعف اعترافا بالجميل أى تأكيـد للصداقة يمكن أن يبنى على العجز عن أرتكاب الاساءة ؟ لا شىء ، أيها

---

(١١٩) الدانـــوب .

الامبراطور ، لا شىء ، فان هذه الأشياء لا يمكن أن توجد ؛ فالفرصة هى وحدها التى تكشف عن طبيعة الانسان فتفضح خلقـه للعامة وذلك بسبب حريته فى التصرف ، وكشاهد على ذلك فى نفس اللحظة ، فان الجيبداى وقد رأوا أن القوط قد تم ابعادهم عن كل داكيا ، بينما كنتم أنتم من جهتكم منشغلين فى قتال أعدائكم ، تجرأوا على الاعتداء على أرضكم وعلى كل جزء منها .

« كيف يمكن لأحد وبطريقة سديدة أن يشرح فى كلمات الطبيعة المشينة لتصرفهم ؟ ألم ينظروا الى الامبراطورية الرومانية بكل الاحتقار ؟ ألم ينكثوا عهودهم سواء بالنسبة للمعاهدة أم بالنسبة للتحالف ؟ ألم يهينوا أولئك الذين لم يعاملوهم أبدا بمثل ذلك ؟ ألم يشيعوا العنف فى امبراطورية يتمنوا أن يكونوا فى مستوى عبيدها فهل تجدون متعة فى التعامل معهم ؟ أيهـا الامبـراطور ، أن الجيبداى الآن يحتلـون ويستعبدون الرومان ، ويفتخرون بامتلاك داكيا بأكملها ، ومع ذلك فان حرب قد حققوا فيها نصرا من أجلكم أو معكم أو ضدكم ؟ أو أى كفاح يعتبرونه قد منحهم هذه الأرض كجائزة ؟ وبالرغم من كل ذلك ، فقد كـانوا على الأغلب ممن ينالهم أعطياتكم ولقد كـانوا يتسلمون هـذه الأعطيات كما سبق أن ذكرنا — لمدة طويلة لا نعلمها ، ومع ذلك فلم يكونوا أبدا وفى كل الأوقات غير شىء يستحق الازدراء أكثر ممـا يستحقه ممثلوهم الحاليون ، فبمجرد أن رأوا أننا متحمسون لشن حرب عليهم دفعتهم الجرأة ليحضروا الى بيزنطة والظهور أمام الامبراطور الذى أهين بمعرفتهم بدرجة تدعو للاكتئاب ، وفى الحقيقة فانهم ربما وبقلة حيائهم المفرطة يدعونكم لتشكيل تحالف حربى ضدنا نحن الذين غمرنا فضلكم ، اذا كانوا جاءوا حقيقة بغرض رد ما سبق لهم أن اغتصبوه بدون وجه حق ، فان اللومبارد يجب أن يعتبرهم الرومان المسئولين أكثر من غيرهم عن ذلك النفع ، اذا ما كانوا حقيقة قد اضطروا تحت تأثير الخوف منهم أن يغيروا — وعلى غير ارادة منهم — إتجاههم ويظهروا

اعترافهم بالجميل ولذلك فان من يتسبب فى هذا الاكراه سينال الشكر ممن حصل على المنفعة ولكن اذا كانوا فى الواقع قد قرروا — حتى الآن عدم الانسحاب من أية بقعة اغتصبوها ، فما الذى يمكن أن يكون دنيئا أكثر من هذا .

« هذه هى حجتنا ثم شرحها ببساطة البرابرة وبكلمات قليلة ، ولا تكفى بأى شكل بالنسبة للوضع ، ولكننا نرجوكم أيها الامبراطور — بعد التقييم الدقيق لما قلناه وهو أقل مما يتناسب مع الحقائق — أن تبادروا باتخاذ التصرف الذى سوف ينتج عنه النفع سواء للرومان أو للومبارد أو لشعبكم مع سرعة النظر الى أنه بالاضافة الى كل الاعتبارات الأخرى أنه بينما سيقف الرومان بعدل الى جانبنا ، بالنظر الى أننا على اتفاق منذ بادىء الأمر من الوجهة الدينية[١٢٠] ، فانهم سوف يقفون فى الوضع المقابل لخصومنا بسبب بسيط ألا وهو أنهم أريوسيين .

هكذا تكلم اللومبارد ، وفى اليوم التالى حضر مبعوثو الجيبداى بدورهم أمام الامبراطور وتكلموا على الوجه الآتى :

« أيها الامبراطور ، قد يكون من المتوقع — وعن حق — بأن أولئك الذين يجاورون الدولة ويتقدمون بطلب لتشكيل تحالف حربى يجب عليهم أولا أن يثبتوا أنهم قد جاءوا بطلب عادل وبعروض ذات مزايا لأولئك الذين سيشكلون التحالف ثم يتكلمون بعد ذلك عن الأمور التى جاءوا للتعامل بشأنها ، ففى المقام الأول ، لقد أسيىء الينا على أيدى اللومبارد وهذا واضح تماما من الحقائق نفسها ، فنحن فى لهفة لحسم خلافتنا بالتحكيم ، وان أولئك الذين يميلون للتحكم لا شأن لهم

(١٢٠) كان اللومبارديون قد تنصروا فى بادىء الأمر على مذهب آريوس ، ثم تركوه الى مذهب اثناسيوس .

باستخدام العنف ، وفى المقام الثانى ، لماذا ينبغى على أحد أن يبرهن على أن الجيبداى متفوقون كثيرا على اللومبارد فى كل من العدد والروح القتالية لابد ان توجه خطبة طويلة لأولئك الذين يعملون ذلك ؟ أن سياسة الدخول فى صراع مع الجانب الأضعف ينتج عنها التورط فى تصادم شرير منظور بالرغم من وجود فرصة معروضة للفوز بالنصر وبدون أخطار عن طريق الحجة القوية ، هذه السياسة — على ما نعتقد — نيست هى التى يختارها الرجال الذين وهبوا قليلا من البصيرة ، ونتيجة لذلك — عندما تسيرون قدما ضد العدو آخر — أن الجيبداى سوف يضمون صفوفهم الى صفوفكم وهكذا يسددون دينا واعترافا بالجميل لما سبق أن فعلتموه لهم ، وبقوتهم الشاملة تتم مساعدتكم فى كل المجالات لتحقيق سيادتكم على اعدائكم ، وعلاوة على ذلك فيهمكم أن تأخذوا فى اعتباركم هذه الحقيقة أيضا وهى أنه بينما أصبح اللومبارد أصدقاء للرومان على الفور ، فان الجيبداى كانوا فى تحالف معكم كما كانوا معروفين لكم منذ أوقات بعيدة ، أن الصداقة المدعومة باستمرارية طويلة ليس من السهل فضها ، وعلى ذلك فسوف تحصلون لا على مجرد حلفاء أقوياء بل على حلفاء راسخين أيضا . هذه هى الأسس العادلة التى بها ندعوكم لتشكيل هذا التحالف .

« والآن لاحظوا أى خلق يتصف به رجال اللومبارد ، ففى بادىء الأمر رفضوا تماما تسوية خلافاتنا عن طريق التحكيم وذلك بالرغم من أننا قد دعوناهم مرارا وتكرارا لهذا الغرض ، وذلك تحت تأثير جرأتهم الغير مدروسة ، والآن وقد بدأت الحرب على الأغلب فى الاندلاع الحقيقى ، قاموا بانسحاب متأخر من مواقعه بعد أن تحققوا من ضعفهم وحماقتهم ، قد جاءوا اليكم يطلبون من الرومان أن يحولوا الكفاح غير العادل لصالحهم ، أن هؤلاء اللصوص — بلا شك — يعملون على تنمية قضية سيرميوم وعدد من مدن داكيا ويضعون ذلك أمامكم كحجة قد تدخلون بها الحرب ، ومع ذلك فان الامبراطورية تشمل فيما تشمل وفرة

هائلة فى كل من المدن والأراضى بحيث أنكم تبحثون فى الواقع عن رجال يمكنكم الانعام عليهم بجزء منها ليسكنوا فيها وليقيموا بها،لقد منحتم أيها الامبراطور الفرنج ودولة الأيرولى وأولئك اللومبارد عطايا سخية سواء من المدن أم من الأراضى بحيث لم يستطع أحد أن يقوم بحصرها كلها ، ولكننا نحن — بتشجيع من صداقتكم — قد أنجزنا مـا أردتم ، وفى الحقيقة فعندما يحدد الرجل هدفا بالمشاركة مع آخر فيما يملكه ، فهو فى أنتظار تسلم عطيته يكون أقل تفكيرا من الذى يتحوط لهدفه ويأخذ العطية بقراره الخاص ،وبشرط ألا يبدو هذا وقد طالب بالحق فى أن يسلك طريقه بروح من الوقاحة تجاه المالك ، بل بروح من الثقة من الصداقة القوية التى يشعر بها تجاهه وهذا هو بالضبط موقف الجيبداى تجاه الرومان ، اننا لذلك نسألكم أن تتذكروا هذه الأشياء وأن تلاحظوا — وبطريقة مفصلة — شروط تحالفنا وذلك بوضع كل قواكم فى جانبنا فى نزاعنا مع اللومبارد ، والا فلا أقل من أن تقفوا بعيدا عن الاثنين ، وللوصول الى مثل هذا القرار فانكم تتصرفون بوحى من العدالة وبما يحقق الميزة للامبراطورية الرومانية بدرجة كبيرة • »

كان هذا هو حديث الجيبداى الذين قرر الامبراطور جستينيان — بعد مداولة طويلة — أن يعيدهم مع مبعوثيهم دون تحقيق هدفهم ، بعد أن عقد حلفا حربيا قويا مع اللومبارد ، فأرسل لهم عندئذ أكثر من عشرة آلاف فارس تحت قيادة كونسطنطيانوس بوزيس ، أو أراتيوس وقد أشترك معهم أيضا حنا — ابن أخ فيتاليان — الذى كان قد تسلم تعليمات سابقة من الامبراطور بأنه بمجرد أن يقابل دولة الجيبداى فى معركة مصيرية فعليه أن يسرع بالعودة من هناك الى ايطاليا هو وفرقته ، وتصادف أن عاد الى ايطاليا وقتئذ ، وقد أخذوا معهم ألفا وخمسمائة من الأيرولى كحلفاء تحت قيادة فيلموث Philmuth وآخرين ، فيما عدا ذلك فان كافة دولة الأيرولى — وعددها كان نحو ثلاثة آلاف — قد

ضمت صفوفها الى الجيبداى حيث كانوا قد ثاروا على الرومان قبل ذلك بمدة ليست ببعيدة وذلك بسبب سبق لى أن بينته أعلاه[١٢١] •

عندئذ كانت فرقة الرومان تسير للانضمام الى اللمبارد كحلفاء ثم تصادف أن تقابلت مع مجموعة من الايرولى ومع أوردوس — شقيق حاكمهم — فاندلعت عن ذلك معركة شرسة أنتصر فيها الرومان وذبحوا فيها أوردوس وكذلك عددا كبيرا من الأيرولى ، ولـمـا علم الجيبـداى بأن الجيش الرومانى قريب منهم وفى متناول أيديهم ، قاموا على الفور بحسم خلافهم مع اللمبارد ، وعقد هؤلاء البرابرة معاهدة سلام كل مع الآخر وعلى عكس رغبة الرومان ، فلما علم الجيش الرومانى بذلك وجد أفراده أنفسهم متورطين فى مربك للغاية فلم يصبحوا قـادرين على الاستمرار فى التقـدم ولا على العودة من حيث أتوا فقد خشى القادة من أن يقوم كل من الجيبداى والايرولى بالانقضاض ونهب أراضى الليريا ، وعلى أى حال فقد بقوا هناك وأبلغوا الامبراطور بالوضع • وهكذا سارت هذه الأحداث ، ولكنى سأعود الى النقطة من حديثى التى انحرفت عنها[١٢٢] •

(٣٥)

كانت رحلة بليزاريوس الى بيزنطة رحلة غير مشرفة[١٢٣] ، فعلى مدى خمس سنوات لم يحط بسفينة فى أى مكان فى ايطاليا طوال تلك الفترة كلها ، أمضاها يبحر دون أى أعتراض يصادفه من بلد ساحلى محصن الى بعض حاميات ممتدة على طوال الشاطىء ونتيجة لذلك فان العدو — وقد أصبح لا يخشاه كثيرا — قد استعبد أهل روما وكل شىء

(١٢١) الكتاب ٤ فصـل ٩ — ٣٧ .

(١٢٢) الانحراف بدأ من الفصل ٣١ .

(١٢٣) تغير اسلوب بروكوبيوس هنا فى كلامه عن بليزاريوس عن اسلوبه فى الحملات الأولى .

آخر ، واصبح هذا واقعا عمليا ، وفى تلك المناسبة أيضا حدث أنه تخلى عن بيروسيا المدينة التى تؤدى الى توسكانى ، وذلك بالرغم من انها كانت محاصرة بأحكام ، وفى الواقع لقد تم الاستيلاء عليها وهو مازال فى طريقه ، وبعد الوصول الى بيزنطة أتخذ فيها اقامة دائمة بعد أن جمع ثروة ضخمة وأصبح موضع الاعجاب بدرجة كبيرة أيضا لنجاح حملاته الأولى وذلك كما سبق أن تنبأ الاله له عن طريق علامة لا تخطىء قبل أن يقوم بشن حملته على ليبيا • « شمال أفريقيا » •

لقد كانت العلامة كالآتى : كان لبليزاريوس عقار موروث فى ضاحية من ضواحى بيزنطة كانت تسمى بانتشين Pantechion [١٢٥] ويقع فى مواجهة الجزء الرئيسى من المدينة وقبل أن يوشك بليزاريوس على قيادة الجيش الرومانى ضد جليمر وليبيا[١٢٦] بمدة قصيرة حدث أن مزارع العنب الخاصة به حملت كميات وفيرة من الثمار ، من النبيذ المنتج من هذا العنب وقام خدمه بملء عدد كبير من الجرار وضعوها فى الكرار بعد دفن الجزء الأسفل منها داخل الأرض وتلطيخ الجزء الأعلى منها بعناية بالطين الخزفى (الطفل) وبعد ثمانية أشهر بدأ النبيذ فى بعض الجرار يتخمر بشدة ففجر الطين الخزفى المصنوع منه الجرار وفاض بغزارة فغطى الارض من حوله بفيض شكل فى الواقع بركة كبيرة على الارض ، فلما رأى الخدم ذلك ملأتهم الدهشة وتمكنوا من ملء عدد كبير من الكؤوس منه ، ثم بعد ذلك بايقاف النزف من تلك الجرار وذلك باعادة ختمها بالطين الخزفى ولم يتحدثوا عن الأمر لأحد ، ولكن عندما رأوا أن ذلك الوضع تكرر مرات عديدة فى نفس اليوم قاموا بابلاغ الأمر الى

---

(١٢٤) اهتم بروكوبيوس بذكر احوال بليزاريوس فى القسطنطينية ، ومازال حديثه كله فيه اعتقاد فى النبوءات .

(١٢٥) وهى حاليا مدينة بندك Pendik على الشاطىء الاسيوى .

(١٢٦) جليمر Gelimer هــو ملك الوندال الذى انتصر عليــه بليزاريوس فى شمال افريقيا .

سيدهم ، فقام هو من جهته بجمع عدد كبير من أصدقائه هناك واطلعهم على تلك الظاهرة ، فتنبؤوا بأن نعما كثيرة ستحل على ذلك المنزل وتيقنوا من هذه النتيجة على تلك الظاهرة •

هذا ما كان عن مصير بليزاريوس ، ولكن فيجليوس — رئيس أساقفة روما — هو والايطاليون الذين كانوا فى المدينة فى ذلك الوقت (وكان هناك عدد كبير من الرجال المرموقين بينهم) كانوا لا يعطون للامبراطور أية مهلة بمطالبته بأن يقف على قدميه وبكل قوته كبطل لايطاليا ، ولكن الامبراطــور لــم يتــأثر بهــذا المطلب تــأثره بمطلب جوثيجــوس Gothigus — وهو رجل يحمل رتبة رفيعة كان يشغل منذ وقت طويل رئاسة مكتب القنصل — الذى حضر مؤخرا الى بيزنطة لنفس هذا الغرض،وبالرغم من أن الامبراطور قد أعطى وعدا بأن يهتم بنفسه بشئون ايطاليا ، الا أنه كان ما زال يكرس أغلب وقته لعقائد المسيحين[١٢٧] ، يبحث بحماس وباهتمام كبير عن ردود مرضيه تحسم الأسئلة المتنازع عليها فيما بينهم •

هكذا كان الوضع فى بيزنطة ، وفى أثناء ذلك هرب أحد اللومبارد الى الجيبداى للسبب الآتى ذكره :

لــا كان فاسيس Vaces حاكما على اللومبارد كان له ابن أخ يدعى ريسيلوموس الذى كان لابد ان يعتلى — طبقا للقانون — السلطة الملكية بعد وفاة فاسيس ، وهكذا فان فاسيس — وهو يبحث عن شرط أن تؤول المملكة الى ابنه — افتعل اتهاما ظالما ضد ريسيلوموس وحكم

---

(١٢٧) كانت سياسة جستينيان ترمى الى السيطرة على شئون الدولة والكنيسة معا ، وقد ساند المونوفزتيين فى بداية حكمه الا انه تأثر بزوجتــه ثيودورا واضطر فى النهاية الى القبض على فيجيليوس هذا الذى سيصبح بابا على روما وفرض المونوفزتية على الغرب ايضا .
انظــر :
Vasiliev op. cit., vol I. p. 199.
« المترجمة »

عليه بالنفى خارج البلاد ، فرحل هذا من موطنه مع قليل من أصدقائه وفر على الفور الى الفارنى Varni مخلفا طفليه الاثنين ، ولكن فاسيس رشى هؤلاء البرابرة ليقتلوا ريسليوفوس ؛ أمــا فيما يتعلق بطفلى ريشيلوفوس فقد مات أحدهما مريضا ، بينما هرب الآخر — وكان يدعى ايلديجز — الى بلاد السكلافينى •

بعد ذلك بقليل مرض فاسيس ورحل عن العالم ، وانتقل حــكم اللومبارد الى فالداريس Valdarus — ابن فاسيس — ولكن حيث أنه كان صغيرا جدا فقد عين أوديوين Audouin وصيا عليه وأدار بذلك جهاز الحكومة ، وحيث أنه كانت له سلطة كبيرة لهذا الوضع فقد اغتصب الحكم لنفسه بعد وقت قصير وبعد أن رحل الطفل عن العالم بميتة طبيعية ، ولما نشبت الحرب بين الجيبداى واللومبارد ، وذلك كما سبق ذكره ، توجه ايلديجز رأسيا الى الجيبداى آخذا معــه ليس فقط أولئك اللومبارد الذين تبعوه ، بل أيضا كثيرا من السكلافينى ، وأمــا الجيبداى فقد راودهم الأمل فى ارجــاعه الملكة ، ولكن بالنظــر الى المعاهدة التى تم ابرامها مع اللومبارد فان أودوين طلب على الفور من الجيبداى وكأصدقاء — أن يسلموا ايلديجز ، مع ذلك فقد رفضوا تماما تسليم الرجل ولكنهم أمروه أن يرحل عن بلادهم وينجو بنفسه بالتوجه الى أى مكان يريدم ، فعندئذ — وبدون أى تأخير — أخذ معه رفاقــه وتابعيه وبعض المتطوعين من الجيبداى وعاد الى السكلافينى ، ثــم ذهب من هناك لينضم الى توتيلا والقوط مصطحبا معه جيشا لا يقل عن ستة آلاف رجل ، وعند وصوله الى البندقية تقابل مع بعض الرومان تحت قيادة لازاروس Lazarus وبالاشتباك معهم هزم القوة المعادية وقتل منها الكثير ، ومع ذلك فلم يتحد مع القوط بل عاد وعبر نهر استرا ولنسحب مرة أخرى عائدا الى السكلافينى •

بينما كانت هذه الاحداث تأخذ مجراها على النحو الموضح ذهب الى توتيلا والقوط — وبلا سبب واضح — أحد حراس بليزاريوس هو

اندولف Andulf بربرى المولد شخص حاد الطباع ولكنه نشيط كان قد ترك فى ايطاليا ، فقام توتيلا على الفور بارساله مع جيش كبير وأسطول الى دالماشيا ، وهكذا وصــل الى المكان المســمى مويكيورام Mouicurum وهى عبــارة ن بلدة ساحلية تقع قريبة جدا مــن سالونى Salones وكانت فى بداية الأمر رومانية وجزءا من محميات بليزاريوس ، فاختلط بأهالى البلدة ومع ذلك فقد رفع سيفه وحث تابعيه على أن يفعلوا مثله ، ثم وعلى حين غرة قتلهم جميعا وبعد أن قام بنهب كل ما هو ثمين من هناك رحل هناك ثم نزل حصن آخر يقع على الساحل يسميه الرومان لوربيت Laureate ، وهنا دخل البلدة وأخذ فى ذبح كل من يعترض طريقه •

ولمــا علم كلوديان Claudian — قائد شالونى فى ذلك الوقت — بذلك أرسل جيشا ضده على سفن الدرومون [(١٢٨)] كما كانت تسمى ، وعندما وصلت هذه القوة الى لوربيت اشتبكت مع العدو ولكنها هزمت فى المعركة وأخذت تلوز بالفرار الى حيث يستطيع كل فرد منها أن يجد منفذا لذلك ومتخلية عن نفسها فى الميناء ، وقد تصادف أن كانت هناك قوارب أخرى محملة بالقمح والامدادات الأخرى فأستولى عليها اندولف Andulf هو والقوط ، وبعد أن قاموا بقتل كل من صادفهم ونهب كل ما هو ثمين عادوا الى توتيلا ، وأقترب الشتاء من نهايته وأنتهت بذلك السنة الرابعة عشرة من هذه الحروب ، التاريخ الذى كتبه بروكوبيوس ٥٤٩ بعد الميــلاد •

---

(١٢٨) سفن خفيفة الحركة وسريعة . وكلمة الدرومون Dromones عن مصطلح يستخدم للدلالة على سفن الحرب . « المترجمة »

انظر : على محمود فهمى « التنظيم الاســلامى فى شرق المتوسط » ص ١٣٥ •

المصادر والمراجع

أولا — العربيـــة :

— اســحق عبيـــد : روما وبيزنطة ، القاهرة سنة ١٩٧٠ •

— الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ، القاهرة سنة ١٩٧٢ م •

— اسـمت غنيـم : امبراطورية جستنيان ، الإسكندرية سنة ١٩٨٢م •

— بينز « نورمـان : الامبراطورية البيزنطية ، ترجمة حسين مؤنس ، القاهرة سنة ١٩٥٧ م •

— توينبى « أرنولد » : الفكر التاريخى عند الاغريق من هوميرالى الى هيراكليس ، ترجمـة لمعى المطيعى ، القاهرة ، سنــة ١٩٦٦ م •

— جيبـون ادوارد : اضمحـلال الامبراطورية الرومـانية وسقوطها ، ترجمة للمختصر الذى شرح فى الولايات المتحدة فى ثلاثة أجزاء ، سنة ١٩٦٠ م ، ج ٢ ترجمة نجيب اسكندر •

— هارولـد لام : « هانيبال » ، ترجمة رشـدى السيسى ، القاهرة ســنة ١٩٦٥ م •

— سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا العصـــور الوسطى ، جـ ١ ط ٦ ، القاهرة ســـنة ١٩٦٥ .

جزءان القاهرة سنة ١٩٧٥ .

— السيد الباز العريني : الدولة البيزنطية ، القاهرة سنة ١٩٦٠ .

— ســـيد الناصري : تاريخ الامبراطورية الرومانية ، القاهرة ســـنة ١٩٧٥ م .

— عفاف سيد صبرة : الامبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية ، القاهرة سنة ١٩٨٢ م .

—————— العلاقات بين الشرق والغرب ، القاهرة سنة ١٩٨٣

— فشر هـ ٠ أ ٠ ل ٠ : تاريخ أوربا العصـــور الوسطى ، ترجمة زيـــادة والعريني ، القاهرة سنة ١٩٦٩ .

— موس هـ ٠ : ميلاد العصور الوسطى ، ترجمة عبد العزيز حامد جاويد القاهرة سنة ١٩٧٠ م .

— هارتمان ٠ ل ٠ م ٠ وبارا كلاف ف ٠ ج : الدولة والامبراطورية فى العصور الوسطى ، ترجمة جوزيف نسيم ، القاهـــرة ســـنة ١٩٧٠ م .

— هسى ٠ ج ٠ م ٠ : « العالم البيزنطى » ، ترجمة رأفت عبد الحميد ، القاهرة سنة ١٩٨٢ ط ٢ .

ثانيا — الأفرنجيـــة :

1 — A gathias. Historiarum Niebuhr. Bonnae - Md. XV.

2 — Corpus scriptorun, Historiae, Byzantinae. Bon - 1828.

3 — Proccopius « Historia Arcana » ed, haury 1906 English trans. by dewing .

— Barclough : The Medieval Empire. London, 1950.

— Barker : Social and Political thoughts in byzantium Oxford 1957.

— Baynes, and Moss. (ED). : Byzantium. Oxford 1948.

— Bryce, J. A. : The Holy Roman empire. London 1950.

— Bury S. B. : History of the later Roman empire. London 1931.

— Cam, med, Hist. : vol. IV. Cambridge 1966, 1967.

— Cantor. N. F. : Medieva History. N. Y. 1964.

— David. T. Rice. : The Byzantines M. B. E. 1962.

— Deanesly, M. A history of Europe. London 1960.

— Depelais. S. L, habitation Byzan tine. Paris 1923.

— Donald, M. Nicola. : Byzantium its icclestastical and relation with western world. London 1968.

— Dudley. D. R. : The civilization of Rome N. Y. 1962.

— Encydopedia, Britannica. william Betnton pulisher. U,S,A. 1968.

— Eyre. : « European civilization » vol III The middae ages London 1935.

— Fliche, : A La chretienl Midievle Paris 1929.

— Finlay. g. History of the Byzantine empire Lindin 1906.

— Gerald, Simons. The Birth if Europe. N.Y. 1968.

— Gerrn. V. H. H. : Medieval civilization in western Europe London 1968.

— Gurdan, R. : Byzantium its triumph and theology. London 1975.

— Strayer J. L. Munro, O. : The middle ages. N. y. 1970.

— Thompson. S. w. : The middle ages ». 2 vols London 1920.

— Tout T. F. : The empire and the papasy ». London 1924.

— Ure. P. N. : Justinian and his age ». Benguin Book. 1951.

— Vasiliev, A. A. A : history of The Byzantine empir ». Wisconsim 1956.

— Gwatkin H. M. . The Arian controversy London 1914.

— Hodgkin, T. Italy and her invaders 4 vols. Oxford 1896.

— Holmes. W. G. : The age of justinian and Theadora 2. vols. London 1912.

— Jones. A. H. M. : Thi Greek city from ALEXANDER to justinian Oxford 1940.

The decline of the ancient World London 1975.

Later Roman empire 3 vol Oxford 1964.

— Jordan. : Topographie Dlr stadt « Rome »

— Lindsey. J. : Byzantium into Europe London 1952.

— Lot. F" : The end of the ancient World. London 1931.

— Marian weuzel : The finding out about Byzantines. London 1965.

— Mcglais H. J. Byzantihn christinity. Emperor church, and the west. London 1970.

— Maurice keen. : The pelican history of Medieval Europe London 1968.

— Obllensky. D. : The Byzantine common wealth London 1971.

— Oman. C. : The Dark ages London 1914 .

The Byzantine empire. London 1902.

— Ostrogorskey . : A. history if the Byzantine state London 1968.

— Painter - S. : History of the middle ages. N.y. 1954.

— Romelly Jenkins. : Byzantien the imperial centuries. London. 1960.

— Runciman. S. : Byzantien civilization.

Britain 1975.

— Setton. K. M. : A history of the crusades Wisconsin 1969.

فهرس المحتويات

الجزء الثانى

الحروب القوطية

صفحة

٤ ـ ترجمة الكتاب السابع الحروب القوطية

صفحة

مطبعة الجبلاوي
٢٠٢ شارع الترعة البولاقية

رقم الايداع بدار الكتب ٣٩٠٣ / ١٩٨٧